رحلات في أمريكا الجنوبية :

بين الأرغواي والبارغواي

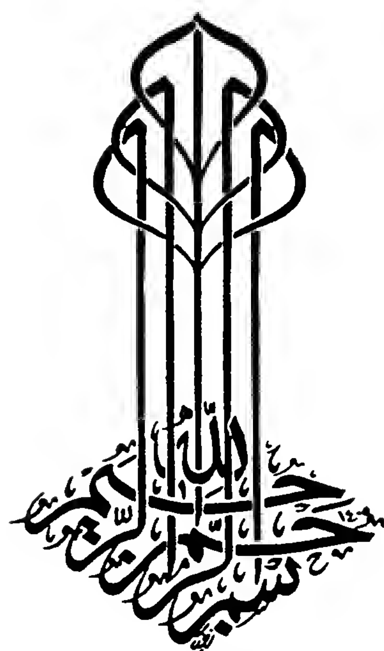
بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ

مطابع الفرزدق التجارية


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تشترك دولتا الأرغواي والبارغواي في أمور كثيرة لعل أظهرها هذا التشابه الغريب بين الاسمين، وإن يكونا لمعنيين مختلفين، ولكن أصل الذين أطلقوا التسمية واحد وهم قوم من السكان الأصلاء الوطنيين الذين أسماهم الغربيون بالهنود الأمريكيين، ولن نمضي في سبب تسميتهم بذلك ولا تعليلها هنا الذي زعم بعض الناس أن لها دليلها وربما يأتي الحديث عن ذلك في ثنايا الكتاب، وفي طوايا الحديث عن أولئك الهنود الأمريكيين.

كما تشترك الأرغواي والبارغواي في كونهما بلدين متجاورين كانا مأهولين بأقوام متقاربين في الأصول من أولئك السكان الأمريكيين الأصلاء ثم صارا بلدين مستعمرين تحت حكم استعماري واحد هو الحكم الإسباني وإن كانت حدود كل منهما مثل أكثر الحدود في أمريكا الجنوبية بعد الحكم الإسباني مباشرة لم تستقر إلا في عهود متأخرة.

وتشترك الأرغواي والبارغواي أيضًا في كونهما تكادان تكونان من البلدان المجهولة لقراء العربية إلاّ نتفًا من الحقائق المتعلقة بالموقع وعدد السكان فيما مضى من الزمان وشيء عما تنتجه الأرض أو يصنعه الإنسان.

وذلك كله متغير ومتطور وفق ما يشمل البلدان من تغيير وتطوير.

وكل ما هو موجود لدينا من معلومات أخذت تتأكد في كتبنا حتى حسبناها حقائق أو نحن جعلناها كذلك إنما هي مأخوذة من أقوام من الأوروبيين أو خلفائهم الأمريكيين وليس فيها عن إخوتنا وبني قومنا العرب من المشاهدات والمعلومات مايفيد اليقين.

ومع أن الحقائق والمعلومات الثابتة لا أصل لها ولا (جنسية) وإنما هي مشتركة في إدراكها من الشعوب فإن الشعوب نفسها هي التي تغير من طبيعة تلك الحقائق إما بالفعل وهو التحريف والتصحيف أو المبالغة عن طريق التأثر بالمعتقد أو الهوى والقصد أو بالترك وهو هنا الغفلة عن ملاحقة الأمور وملاحظة الأحوال وترك الإشتغال بذلك لأقوام آخرين وهذا ما حصل مع الأسف الشديد لنا نحن العرب في كثير من الأمور في هذه العصور المتأخرة.

فقد وقفنا موقف اللامبالاة من كثير من الأمور المهمة المتعلقة بالشعوب فضلاً عن إدراك المطلوب من المكانة الرفيعة والعلاقات الوثيقة المؤثرة عند تلك الشعوب.

وذلك رغم كوننا في القديم، بل كون أسلافنا الأقدمين هم أكثر من رحلوا في زمانهم إلى القصي من الأقطار وجابوا القفار والبحار ووصفوا الديار والأمصار من خلال الأسفار لا من خلال التذكار حتى صارت اللغة العربية تضم بين خزائنها عشرات بل مئات الكتب من الرحلات التي تصف الدروب والشعوب وتحدد الأقاليم، وناهيك بكتاب واحد منها هو كتاب: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لصاحبه البشاري المقدسي الذي وصف البلدان وصف مشاهدة وتكلم على طبائع أهلها بكلمات خالدة بل ناهيك بكتب المسعودي التي من أهم ما وصل إلينا منها: (مروج الذهب ومعادن الجوهر) كيف وصف الأقاليم الحارة والباردة وفصّل القول في بلاد الزنج والصين فضلاً عن بلدان الروس والصقالبة وهم سكان بعض دول أوروبا الشرقية في الوقت الحاضر.

ثم إذا أردنا أن ننوه بالرحلات ونقارن بين ما حظيت به العربية في القديم فإنه حسبنا أن نشير بالذكر إلى الرحلة المشهورة بل الدرة المذكورة رحلة ابن بطوطة -رحمه الله - التي ذكر فيها من الحقائق عن بلاد مهمة كثيرة مثل الصين والهند وأقاليم السودان الغربي فضلاً عن (مالديف) وسيلان مالو محي من ذاكرة التاريخ لمحيت من ذاكرته حقائق كثيرة عن أحوال البلاد في تلك القرون الوسيطة لأنه هو الوحيد الذي سجل تلك الحقائق دون غيره من المصادر حتى من مصادر أهل البلاد أنفسهم.

ولقد توفرت الإمكانات في العصور الحديثة لأبناء العربية من مال وافر وعدد كاثر وتجارة عالمية، وعلاقات دولية ولكن فن الرحلات العربية لم يواكب تلك الكثرة ولاكان على شيء من القرب من تلك الوفرة.

والعيب هنا ليس عيب التجار، ولاعيب السفار من السياسيين ورجال المال، وإن كان عيباً لهم بالنسبة لما كان عليه أسلافهم الأماجد الذين لم تكن تنسيهم تجارتهم الدعوة إلى دينهم ولا تسجيل المعلومات لأمتهم.

وإنما العيب كل العيب على الأدباء الذين كسلوا أو تكاسلوا عن الترحال وإذا رحلوا عجزوا أو تعاجزوا عن التسجيل، وإنما كانوا يطلبون في ترحالهم هدوء المزاج، عند شاطئ تداعبه الأمواج أو في قمة جبلية ذات نسيم عليل، ولاينسون أو ينسى أكثرهم أن يبحث عن مكان يتوفر فيه الطعام اللذيذ واللحم الحنيذ ثم لاشيء مع ذلك بعد ذلك.

وأما التسجيل والتعليل للمشاهدات، ووصف حالة الشعوب بطريقة صادقة خالية من المبالغة أو المعاندة فإنهم قد تركوها لغيرهم من أدباء الأمم الأخرى فأراحوا أنفسهم وأراحوا قومهم من ادعاء المجد بأعمالهم فكانت هذه الاتكالية الثقافية بل القحط الذهني المريع، وكان نصيب الرحلات من ذلك هو النسيان والتضييع.

وبعد: فقد شط بنا القول في اللوم على ماحصل مما أحسسنا به، ذلك من أجل أن نقول قولة نبرّأ بها إلى القارئ الكريم من أن يعتبرها فخراً من الفخر، أو حتى سبباً لإدعاء نباهة الذكر من الكاتب أو الإدعاء بأن الكاتب قد جاء بما لم يأت به الأواخر فضلاً عن الادعاء بأن عمله سيكون مفخراً من المفاخر، وإنما هي تقديم لما سبقه من تصميم من كاتب هذه السطور على تسجيل مشاهداته وملاحظاته عما يراه أو يسمعه في أنحاء العالم.

ولقد بدأ من ذلك بكتابه: «في إفريقية الخضراء» فكان التشجيع العظيم، والإقبال الكريم الذي لقيه ذلك الكتاب من قراء العربية الكرام حافزًا على مواصلة الكتابة في الرحلات حيثما أتيح للكاتب أن يحل في أي مكان من العالم.

وقد قدر له أن يحل في أنحاء العالم كلها أو أكثرها.

فتعددت كتب الرحلات التي أصدرها وزاد مقدارها عندما رأى أثرها، فكان آخرها هذا الكتاب الذي ضم الحديث عن قطر من أقطار أمريكا الجنوبية التي أسموها باللاتينية نسبة إلى لغات أهلها التي يرجع نسبها إلى اللغة اللاتينية القديمة مثل الإسبانية والبرتغالية والإيطالية.

وهو (الأرغواي) وقد زرته زيارة قصيرة لأنها كانت إلى بلدين مجاورين له زيارة عمل لازيارة سياحة وإن لم ننس نصيبها من ذلك.

فقيدت في مذكرتي شيئًا قليلاً عنه ثم قدر لي أن أزور المنطقة الأمريكية الجنوبية بعد ذلك زيارة عمل أخرى مركزها البرازيل للإعداد للمؤتمر الإسلامي الذي تقيمه رابطة العالم الإسلامي التي تعمل من مكة المكرمة وأتولى وظيفة الأمين العام المساعد فيها.

فانتهزت هذه الفرصة وقررت زيارة قطرين آخرين في أمريكا الجنوبية هما اللذان كانا قد بقيا من أقطار هذه القارة الواسعة لم أزرهما من قبل وهما (بوليفيا) و(بارغواي) وذلك من أجل استطلاع أحوال المسلمين في البلدين واختيار الأشخاص الذين سيدعون منهما إلى المؤتمر الإسلامي المقرر عقده في البرازيل.

فكانت البداءة ببوليفيا والنهاية بالبارغواي وكان ذكر الأقطار الثلاثة بادئًا بالأرغواي ومنتهيًا بالبارغواي ولذلك سميت هذا الكتاب: (بين الأرغواي والبارغواي).

وكان لابد لي مع الاعتذار عن الاقتصار في ذكر أحوال البلاد على المشاهدات والملاحظات الشخصية من القول بأن هذا هو كتاب رحلة وهذه هي طبيعة كتب الرحلات، وليس من كتب الدراسات أو الإحصاءات.

وللقارئ الكريم على المؤلف المقصر -إذا اعتبره مقصراً - العتبى إذا عتب، وعلى الله الاتكال، في المبدأ والمآل.

المؤلف

ريو دي جانيرو - البرازيل

محمد بن ناصر العبودي

موقع أورغواي :

تقع (أورغواي) في القسم الجنوبي من وسط القارة الأمريكية الجنوبية وتقع عاصمتها (منتفديو) على أعرض نهر في العالم هو (لابلاتا) أو النهر الفضي الذي يبلغ عرضه في المتوسط ٤٥ كيلو متراً ولها ميناء عليه عظيم كما يكون للدول البحرية على البحار ولذلك تمخر السفن عبابه إلى أن تصل إلى المحيط الأطلسي عندما يصب النهر فيه وهو ذاهب جهة الشرق.

تحدها الأرجنتين من جهة الغرب والبرازيل والمحيط الأطلسي من جهة الشرق، كما تحد بالبارغواي من جهة الشمال.

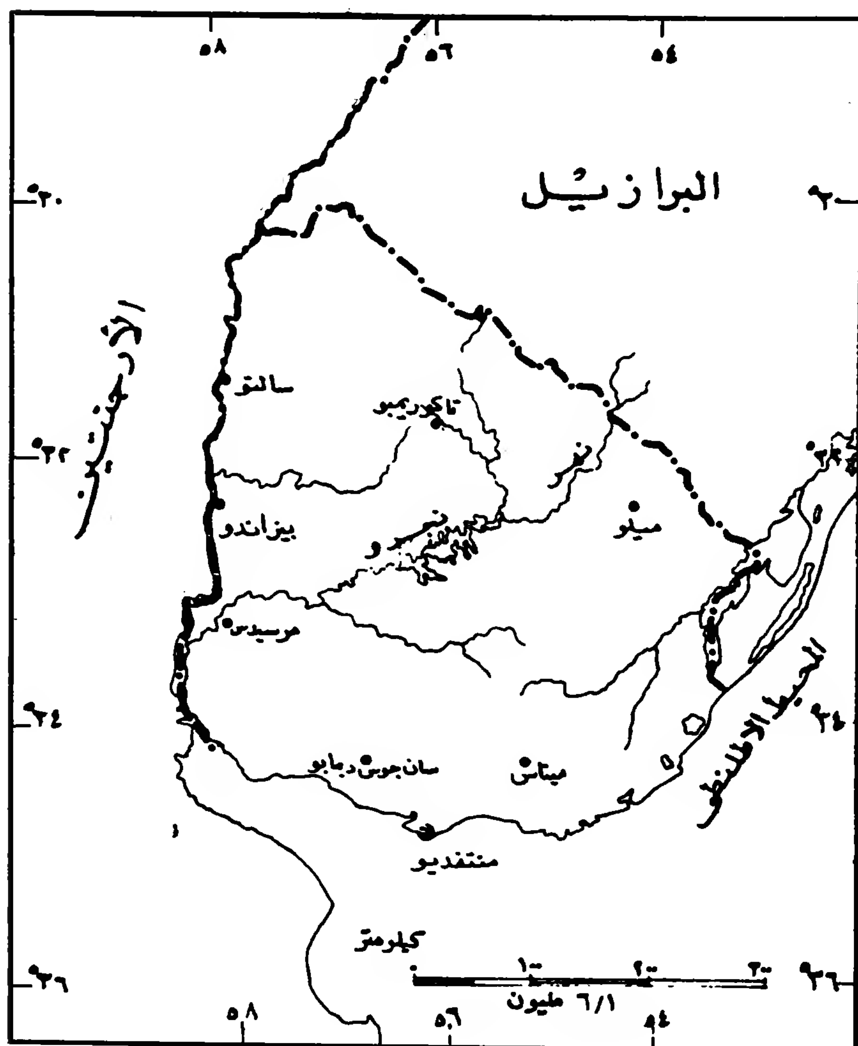
ومن جهة الجنوب يحدها نهر لابلاتا الذي يفصلها عن الأرجنتين من تلك الجهة.

وتبلغ مساحتها ١٧٦,٢١٥ كيلو متراً مربعاً.

وكانت مستعمرة إسبانية حصلت على استقلالها عن إسبانيا عام ١٨٢٥م.

ويبلغ عدد سكانها مليونين وتسعمائة ألف نسمة معظمهم من الأوروبيين اللاتينيين - نسبة إلى لغاتهم التي ترجع في أصلها إلى اللغة اللاتينية وليس نسبة إلى أصل لهم لاتيني.

وذلك لكونهم جاءوا من بلاد واقعة في أوروبا الجنوبية كإسبانيا والبرتغال وإيطاليا وفرنسا انضم إليهم عدد من المهاجرين الأوروبيين واختلطوا مع سكان من أهل البلاد الأصلاء الذين كانوا موجودين في البلاد قبل أن يصل إليها الأوربيون وهم الذين يسميهم الأوروبيون بالهنود الأمريكيين، إلا أن عدد هؤلاء قليل في (الأرغواي) وبذلك يحسب نفسه من يدخل إلى بلادهم أنه قد دخل بلاداً من بلاد أوروبا الجنوبية كإيطاليا مثلاً.



خريطة الأرغواي في القارة الأمريكية الجنوبية

وصل الأرغواي طائفة من العرب المسيحيين من سوريا ولبنان في وقت مبكر من وقت الهجرة العربية إلى أمريكا الجنوبية فأثرى أغلبهم، وتقلد أولادهم وظائف لابأس بها في الدولة.

وقد بنوا كنائس خاصة واستقدموا رجالاً من رجال الدين المسيحي لقيادتهم في عباداتهم ولتعليم شيء من العربية لأولادهم إلا أن أكثرهم لايعرف العربية وقد ذابوا في هذا المجتمع المسيحي الأوروبي الذي لايبعد كثيرًا عنهم في المذهب ويماثلهم في المظاهر الخارجية.

والمسيحيون أغلبهم موجود في العاصمة وهم أغنياء.

أما المسلمون فإنهم أقل غنى منهم وذلك لتأخر هجرتهم إلى هذه البلاد بالنسبة إلى هجرة العرب المسيحيين إلا أنهم ليست لهم مؤسسة إسلامية يجتمعون حولها فلا مسجد ولا إمام لهم ويقدر عدد المسلمين في (أورغواي) بـ ٥٠ أسرة.

يوم الثلاثاء ١٤٠٤/٢/٦هـ -١٩٨٤/١٠/٣٠م

من البرازيل إلى الأورغواي :

قامت طائرة شركة الطيران البرازيلية الرئيسية (فارج) من مدينة (كومبوناسا) في جنوب البرازيل في الساعة الثالثة من بعد الظهر ولم يكن على متنها إلا حوالي عشرة ركاب إذْ كان ركابها الكثر الذين ركبوا معنا من مدينة (سان باولو) أكبر مدن البرازيل قد نزلوا في هذه المدينة.

كما أنه لم يركب من هذه المدينة إلى مدينة (منتفديو) عاصمة الأرغواي أحد، بل كان العشرة الذين بقوا على الطائرة ومنهم أنا ورفيقي في السفر الشيخ محمد بن قعود كلهم قد ركبوا من (سان باولو).

كان الجو في هذه المدينة البرازيلية التي أقلعنا منها ماطرًا ولذلك عندما أسرعت الطائرة وهي تهم بالإقلاع أحالت قطرات المطر المتساقطة على زجاجها إلى خيوط من حرير أبيض ما أن ترتسم عليها حتي تتلاشى بسرعة.

وعندما ارتفعت الطائرة بدت هذه المدينة البرازيلية الجنوبية كبيرة متسعة واقعة على نهر في منطقة مترعة بالمياه.

إلا أن ارتفاع الطائرة بسرعة قد عاقنا عن مشاهدة المناطق التي بعد هذه المدينة لاسيما وقطع من السحاب المتطفل قد أسهمت في منعنا من التمتع برؤية هذه الناحية من أرض أمريكا الجنوبية من الجو.

وكانت الضيافة أيضاً غير مناسبة فهي لم تزد على شطيرتين (ساندويتش) بينهما جبن أصفر ولحم خنزير أحمر ومعهما شيء من الكعك اللين (الكيك) وشراب من البرتقال ثم القهوة البرازيلية المعتادة التي يأتون بها في فنجان صغير لايبعد كثيراً عن فنجان القهوة عندنا، ومع ذلك لايملأونه بالقهوة، وإنما يسرفون في وضع السكر فيه.

وبعد قليل صحا الجو فكان منظر هذه الناحية من شرق القارة الإمريكية الجنوبية تلالاً خضراً غير مرتفعة بينها مسايل مياه ربما كانت من الأمطار التي سقطت في هذا اليوم.

وظهرت الطرق في هذه الأرض الخضراء ترابية حمراء كأنما تربتها في حمرتها تربة خط الاستواء مع أنها بعيدة عنه.

ثم تحول المنظر إلى سهول منبسطة قليلة الجبال ولم تفارقها الخضرة الكثيفة وكانت الشمس مشرقة لذلك كان المنظر من الطائرة واضحاً فكان من الأشياء الواضحة على الأرض أن الأرض كلها عامرة بزراعة منظمة أكثرها الحقول ولكن المنازل فيها قليلة، ويتخللها نهر شحيح المياه ولكن ليس معنى ذلك أن هذه المنطقة تشكو شحًا في المياه لأنها مجاورة لنهرين عظيمين أحدهما (بارانا) الذي عليه أكبر سد في العالم وهو الواقع في مثلث الحدود مابين البرازيل وبارغواي والأرجنتين، والثاني: نهر (لبلاتا) أعرض نهر في العالم وهو الذي تقع عليه عاصمتا الأرجنتين والأرغواي، وكلما أمعنت الطائرة في الجو ظهرت الحقول المنسقة التي على حواشي أكثرها أشجار عالية مثلما نفعل في بلادنا في زراعة الأشجار التي تستعمل لصد الرياح عن الحقول.

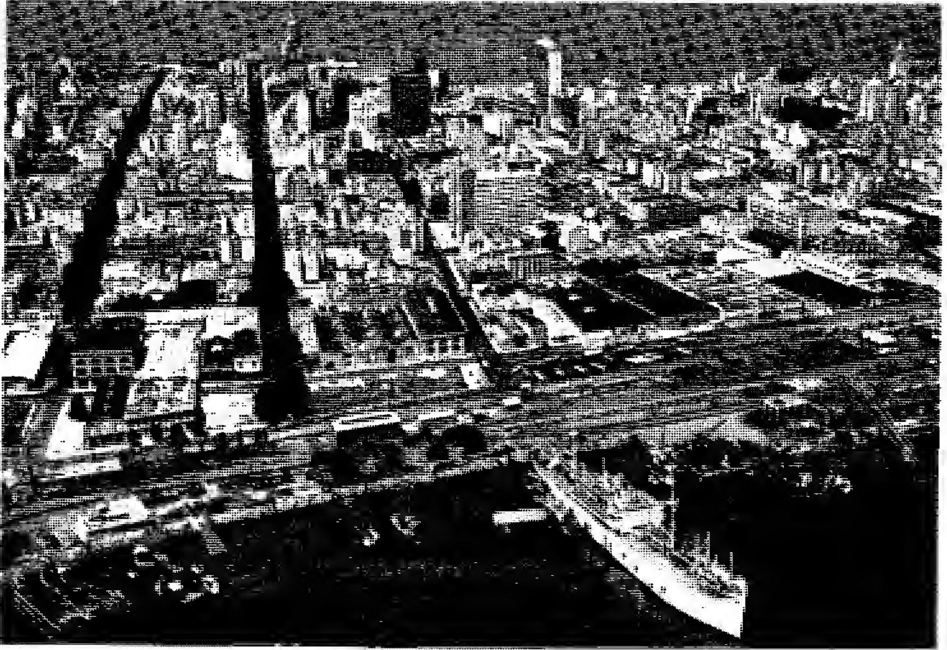
فوق الأرغواي :

لمحنا على البعد النهر الفضي أو (لبلاتا) ضخم المياه كأنه البحر الخضم، ولكن يميزه عن منظر البحر حمرة عجيبة في مياهه تميزها حتى على البعد عن مياه البحر الزرقاء.

وهو هائل الاتساع حتى لايكاد المرء يصدق بأنه نهر وليس بحراً لولا هذا الفارق الواضح في لون المياه لاسيما إذا رأى المرء شواطئه ذات الرمل الأبيض الذي لايكون في الغالب إلا على شواطئ البحار تضربها أمواج خفيفة لاتكون في العادة على شواطئ الأنهار.

بل إن الأمواج كانت تبدو على صفحته أيضاً كما تكون على صفحة مياه البحر الهادئة، لكونها ليست قوية وبدت مدينة (منتفديو) عاصمة الأرغواي كثيرة الأشجار والحدائق، وإن لم تكن خضرتها كثيفة مثل كثافة مدن البرازيل القريبة من خط الاستواء وتقع على النهر الفضي العظيم أعرض أنهار العالم يحف بها سهل أخضر خال من الجبال العالية ترصعه بيوت ريفية ذات سقوف مسنمة أكثر طلائها البياض.

أما ضواحي المدينة الحديثة فإن سقوف منازلها حمر.



مدينة منتفديو كما تبدومن الجو

في مطار منتفديو :

هبطت الطائرة في المطار في الرابعة والربع عصراً بعد أن أمضت ساعة وربعاً من الطيران من (كومبوناسا) في جنوب البرازيل.

وعندما كانت الطائرة تدرج في المطار كانت تطل من حواشي المدرج حشائش مهذبة بينها زهيرات الربيع متقاصرة كأنما تطل مستحية من الغرباء على هذه الطائرات أو كأنما هي (عيون الربيع) تستطلع أخبار الدفء بعد فصل الشتاء البارد الشديد.

والمطار متسع المساحة إلا أن مدارجه المزفلتة ليست بذاك وأبنيته صغيرة قديمة الطراز، وحتى سيارات تموين الطائرات التي سارعت إلى طائراتنا تستعجل وقوفها هي أيضاً من طراز قديم.

لم نقف عند ضابط الجوازات إلا قليلاً لأنه ليس مايدعوه إلى ذلك أما ضابط الجمرك فعندما رأى جوازي سياسياً انحنى وهو يقول (دبلوماتيك) ويفسح الطريق من دون أن ينظر في جواز رفيقي الشيخ محمد بن قعود.

بعد ذلك سألنا موظفة في مكتب السياحة عن الفندق وحجزنا من عندها في فندق وسط المدينة اسمه (فيكتوريا بلازا) كما طلبت لنا سيارة أجرة صار سائقها يعتني بأمتعتنا لأنني ذهبت أبحث عن مصرف في بناء مجاور في المطار فكان الموظف يتعجب من جوازي ثم يريه غيره وبخاصة من ملابسي العربية في الصورة في الجواز ثم أخذ يدقق في الصك السياحي (الشيك) مع أنه صادر في الولايات المتحدة ولكن لحساب أحد البنوك في المملكة وعليه اسمه بالعربية والإنكليزية.

في مدينة منتفديو :

إنطلق سائق أبيض ضخم الجسم بسيارته إلى قلب المدينة حيث يقع الفندق الذي يدل اسمه على ذلك (بلازا) وسألته عن المسافة مابين المطار وقلب المدينة فذكر أنها أربعة وعشرون كيلو متراً وعندما رأيت الناس وطريقة البلاد ذكرني ذلك ببلاد عربية بعيدة معاكسة في الموقع لهذه البلاد من حيث المسافة وهي بلاد الشام فالناس هنا بيض كأهل الشام أو أكثر ولكنهم هنا ذوو تقاسيم غليظة وأجسام ثقيلة وقل أن

ترى فيهم متوسط الجسم فضلاً عن الخفيف، حتى في تقاسيم الوجوه قلَّ أن ترى فيهم من هو ذو تقاسيم دقيقة والمراد بذلك دقة الأنف والشفتين أو صغر الوجه مثلاً.

وكنا ذاهبين إلى فندق (فيكتوريا بلازا) الذي كنا قد حجزنا فيه في المطار وأجرة الغرفة الواحدة فيه اثنان وستون دولارًا أمريكيًا.

واستمر الطريق أسفلتيًا لابأس به.

وكان كل مافي الطريق يذكرنا ببلاد الشام من حيث ألوان الناس، واستقامة الأشجار المغروسة قرب الطريق التي تبدو كأشجار الحور عالية مستقيمة وليست كالأشجار في وسط البرازيل التي قدمنا منها لأن تلك يبدو أكثرها كثيفًا كثير الأوراق كالأشجار الاستوائية وذلك لاختلاف الجو الناشيء عن موقع البلاد فهو هنا بعيد من خط الاستواء ومن تأثيره على الناس والأشجار.

هذا إلى جانب أشجار تشبه أشجار الصنوبر التي تذكرنا بجبال الشام أيضًا ثم وصل الطريق إلى شارع الشاطئ الذي يسمى مثله (شارع الكورنيش) وهو هنا شاطئ النهر العظيم الفضي أو (لبلاتا ريو) ولاحظنا الرمل الأبيض الذي جلبته أمواجه إلى الشاطئ كما تفعل أمواج البحر.

ويرى المرء الاختلاف الكبير مابين ملابس الناس هنا وملابس الناس في البرازيل التي قدمنا منها، فهم هنا لايزالون يلبسون ملابس الشتاء وذلك لبرد بلادهم وإن لم نكن في فصل الشتاء عندهم فالفصل هنا فصل الربيع.

وبالقرب من شاطئ النهر حيث بدأت ضواحي المدينة كانت المنازل في هذه الضواحي على هيئة دارات (فيلات) جيدة تنتشر في حدائقها بعض الزهور.

وكثير من المتنزهين رأيناهم جالسين في الشمس يستلذون بذلك لبرودة الجو، لاسيما على شاطئ النهر الذي تلطف مياهه الغزيرة الهواء.

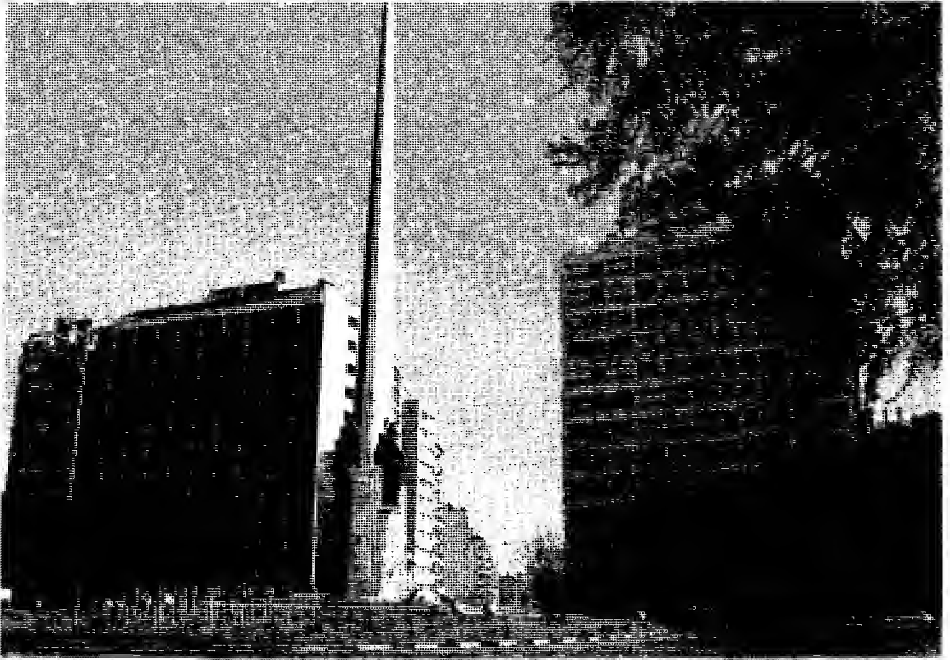
وعند الدخول في المدينة رأيناهم غرسوا أعدادًا كثيرة من نخل الزينة ذات القوام الغليظ التي لاتؤتي أكلاً كنخيل الزيت أو النارجيل فضلاً عن نخيلنا المباركة نخيل التمر مما ذكرني ببلاد كثيرة في جنوب أوروبا تكثر من غرس هذا النخيل في شوارعها مثل (برشلونة) المدينة الأندلسية المشهورة، وإن لم يعتبرها الإسبانيون الآن في منطقة الأندلس.

ويمتد شارع الشاطئ الذي استيقظت أشجاره بعد نوم الشتاء في منظر جيد.

ومررنا ببناء على هيئة مسجد سألنا عنه السائق فقال: إنه متحف الجغرافيا بني على هذه الهيئة.

مدينة منتفديو :

دخلنا إليها مع قلبها التجاري الذي كان أكثر الأشياء فيه ظهورًا الأبنية المرتفعة المتعددة الطوابق على شارع الشاطئ الممتد طويلاً وهي عالية تشبه الأبنية العالية على شارع شاطئ البحر في مدينة ريو دي جانيرو في البرازيل، وإن كانت أقل منها عددًا، وشارع الشاطئ يقل جمالاً وأناقة عن رصيفه البرازيلي في تلك المدينة.



منظر من قلب مدينة منتفديو

وظهر ميناء المدينة العظيم وهو على شاطئ النهر يبدو كالميناء العميق على شاطئ بحر محيط وقد أرست فيه بواخر كثيرة من كبيرة وصغيرة.

ثم وصلنا إلى وسط المدينة حيث يوجد فندقنا (فيكتوريا بلازا) الذي يدل اسمه على أنه في وسط المدينة.

وجميع السكان الذي رأيناهم من النظرة الأولى التي لاتُخلف في الغالب لأنها هي الحقيقة الأولى التي ترتسم في ذهن القادم إلى البلاد قبل تأثير المؤثرات الأخرى الغالب عليهم البياض وغلظ الأجسام والتقاسيم، وكأننا لسنا في أمريكا الجنوبية وإنما في بعض أقطار جنوب أوروبا.

ويقع فندق (فيكتوريا بلازا) الذي نزلنا فيه على ساحة جيدة وسط قلب المدينة التجاري.

وكانت غرفنا في الطابق السادس عشر، وتطل نافذتها على كنيسة قديمة البناء فاخرة ترى من خلفها صفحة مياه النهر الفضي الذي هو أعرض أنهار العالم.

وقد صورت هذا المنظر وغيره من مناظر مهمة في المدينة غير أن المصوِّرة التى كانت معي خذلتني ففسدت أكثر صورها.

أصيل منتفديو :

خرجنا في الأصيل لرؤية هذا البلد الجليل في تمشية على الأقدام في الحي التجاري الذي يقع فيه فندقنا، فعجبت من كون هذه العاصمة لم ينوه بها الكتاب والصحفيون كما نوهوا بعواصم كثيرة هي أقل منها تقدماً وتنظيماً.

ومتاجر هذا الحي حافلة بالسلع، والأرصفة فاخرة وإن كان يبدو عليها القدم في الطراز ولاتجد في الناس أسمر فضلاً عن أسود كما لاتجد فيهم من هو متسخ الثوب، أو عليه علائم الاعتلال في الصحة، ولا مظهر الفقر الذي يوجد عند بعض الناس في البرازيل مثلاً.

والحوانيت التي تصرف العملة وهي مصارف (بنوك) متعددة موجودة حتي بعد الخامسة دخلنا أحدها فوجدنا كثرة العمل فيه وصرفنا الدولار الأمريكي باثنين وعشرين بيزة.

وذكرني هذا الصرف القليل للبيزة بالدولار بما كنت قد صرفت الدولار به من (بيزات) في بوينس أيرس في الأرجنتين قبل ثلاث سنين، حيث صرفته بعشرة آلاف وأربعمائة بيزة وحدثنا إخواننا في السفارة السعودية هناك أنه وصل بعد ذلك إلى سبعين ألف بيزة.

والجو هنا بارد كأيام الشتاء في بلادنا في وسط المملكة وسائر من تراهم من الناس من رجال ونساء عليهم ملابس الشتاء وهي المعاطف فوق الثياب، مع أنه عندهم فصل ربيع وقد جعلنا نشعر بالنشاط فكنت أقفز في سيري لأنه لا أحد يعرفني في هذه الشوارع بل ربما في مدينة منتفديو كلها ماعدا رفيقي الشيخ محمد بن قعود، وبخاصة أن جميع ماتراه وتحس به باعث على السرور لأنه ليس أكثر متعة لعدد كبير من الناس وأنا منهم تعادل متعة التجول في بلدة يصلها المرء لأول مرة، إضافة إلى توفر النظافة والجمال في المناظر.

ولاحظت أن الكهرباء مضاءة هنا أكثر من المعتاد وإن شئت قلت أكثر من الحاجة.

وعندما أعيينا من السير جلسنا في استراحة في مقهاة وطلبنا عصيراً من البرتقال فجاءوا به طبيعياً جيداً كما هو عليه الحال في البرازيل وكانت فرصة للأطلاع على رواد هذه المقهاة فرأيناهم -كما قدمت- قوماً من البيض الذين لاتخالط بياضهم تترة من أثر أشعة الشمس أو قشف من قشف البرد.

وذلك لأن بلادهم رغم بردها هي ندية وهي من موقعها على ضفة نهر (البلاتا) أو النهر الفضي كأنها على مياه البحر مع أنها تبعد عن شاطئ البحر مائة وأربعين كيلو متراً وهو هنا المحيط الأطلسي الذي كان مؤرخونا القدماء يسمون جانبه الشرقي الذي يلي إفريقية وأوروبا بالبحر المحيط الأعظم، وهو بالفعل بحر عظيم وهو أعظم بالنسبة إلى ماهو معروف في ذلك الزمان من البحار والمحيطات غير أننا نعلم الآن أنه أعظم من سائر البحار ماخلا البحر المحيط الهادي هو أعظم منه.

ولم أر عند النوم فضولاً في النظر إلى الغرباء أمثالنا مع أننا ليس فينا مايلفت النظر إلا السمرة الخفيفة بالنسبة إليهم ولكنها ليست بالقدر الذي يلفت النظر كثيراً هنا.

جولة ليلية :

إقامتنا في مدينة منتفديو محدودة بسبب ضيق الوقت الذي كنا قد أنفقنا أكثره في البرازيل إذْ زرنا فيها أربع عشرة مدينة وبقيت بلدان علينا أن توفر الوقت لزيارتها أيضاً في هذه الرحلة وهي الأرجنتين وسور ينام وغيانا وترينداد وفنزويلا وقد قصصت القصص عن الرحلات فيها في كتب غير هذا الكتاب فالحديث عن الأرجنتين هو في كتاب «إلى أقصى الجنوب الأمريكي» وعن فنزويلا وسورينام وغيانا في كتاب «رحلات في أمريكا الجنوبية» وعن تيرنداد في كتاب «جولة في جزائر البحر الكاريبي».

أما البرازيل فقد أفردتها بكتاب أسميته: «الحل والرحيل في بلاد البرازيل»، وكون وقتنا قصيراً في هذه البلاد جعلنا نبحث عن جولة ليلية (تور) نرى فيها مالم يستطع الوقت أن يوفره لنا نهاراً.

وقد قطعنا تذاكر الجولة من مكتب في فندقنا (فيكتوريا بلازا) وبدأت الرحلة في التاسعة ليلاً حيث حضرت إلى الفندق دليلة في منتصف العمر وأخذتنا إلى حافلة كبيرة (أتوبيس) فيها كراس تحتمل أكثر من خمسين راكباً ولكن لم يكن فيها مع الدليلة والسائق غيرنا.

وتوقعت أن يأتي الركاب بعد ذلك بعد أن نلتقطهم من الفنادق المتفرقة كما يكون في العادة ولكنها بدأت بالشرح حالما تحركت الحافلة فسألتها عن الرفاق فقالت: إنه ليس معها غيرنا فعجبت من تحرك هذه الحافلة براكبين اثنين وأرجعت ذلك إلى قلة السياح وإلى أنهم ربما لايعرضون في الرحلة شيئاً ذا أهمية.

معنى منتفديو :

سألت الدليلة عن معنى اسم هذه المدينة (منتفديو)؟ فأجابت إنه: (أرى الجبل) بالإسبانية فمنتو هي الجبل وهي شقيقة (ماونتن) الإنكليزية بمعنى جبل وفديو أرى.

وربما لاتكون لهذا أهمية غير أن الأكثر أهمية من ذلك أنها ذكرت أن سكان العاصمة (منتفديو) مليون نسمة وهو ثلث سكان الدولة كلها.

وهذه ظاهرة من الظواهر التي تميز القارة الأمريكية الجنوبية فكثير من أقطارها يكون عدد سكان العاصمة كثيراً بالنسبة إلى سكان الدولة فمثلاً عاصمة الأرجنتين (بوينس أيرس) سكانها ٩ ملايين من ٢٦ مليوناً هم سكان الدولة كلها و(بنما) سكان العاصمة فيها مليون نسمة وهو نصف سكان الدولة كلها.

وهكذا وإن لم يكن ذلك قاعدة مطردة حيث لايبلغ سكان (برازيليا) عاصمة البرازيل أكثر من مليون نسمة على حين أن سكان الدولة مائة وثلاثون مليوناً ، وربما كان السبب هو أن برازيليا حديثة النشأة لم يمض على إنشائها إلا ربع قرن من الزمان.

أخذت الحافلة تتجول في قلب المدينة الذي تجولنا فيه قبل قليل والدليلة تسمى أشياء لاتستحق التنويه مثل أسماء الشوارع الصغيرة والميادين ومن أسسها والأبنية التي تقع في هذه الشوارع مثل البلدية والمصرف المركزي مما جعلنا نستنتج قلة الأشياء المهمة التي يرونها السياح في بلادهم.

وكان هذا هو الواقع إذْ لم نر شيئاً واحداً مهما في نظرنا يستحق أن يزار أو أن تستأجر له هذه الجولة.

(البار) الذي بار :

وصلنا إلى قسم قديم من المدينة ضيق الشوارع أوقفت الدليلة الحافلة فيه وتقدمتنا قائلة: سندخل في هذا المشرب القديم وسوف تشربون كأساً من الشراب الخفيف الذي يروقكم على حساب الشركة وتستمعون إلى الموسيقى التي تحبونها.

ودخلناه سيراً على الأقدام مع ممر ضيق وفي داخله أيضاً دخلنا مع ممر ضيق متعرج إلى أن وصلنا إلى قاعة خافتة الأضواء وهي خالية تماماً من الناس فجلسنا في ركن منعزل منها على هيئة غرفة صغيرة من دون أن يكون فيه أحد أو من دون أن نسمع صوتاً لأحد.

وبعد قليل حضر رجل سمين وحيا بتحية مصطنعة وسأل عن الشراب فأخبرناه أنه عصير البرتقال.

ثم دخل رجل وانحنى بالتحية وهو يبتسم ابتسامة ممجوجة لأنه كان يخرجها من فمه لا من قلبه بل كان يقسر فمه على إخراجها وقال بإنكليزية لابأس بها: أنا عازفكم الليلة فأرجو أن تخبروني بالمقطوعة الموسيقية التي تعجبكم، ولم يكن فيما يعرفه من الموسيقى ما نخبره به فقلنا: اعزف ما يروق لك شخصياً فهو سيروقنا.

وبدأ يعزف وخيل إلينا أن الآلة التي يعزف عليها وهي البيانو تصرخ مستغيثة من طرق أصابعه عليها هذا وهو يهز رأسه ويذهب بها يميناً وشمالاً علامة التأثر الاستغراق في العزف.

وعندما انتهت المقطوعة كان النادل (الجرسون) الذي لم يكن لديه غيرنا كما قدمت قد فرغ من إحضار البرتقال فكان الوحيد الذي صفق له، لولا أننا تذكرنا ذلك في آخر لحظة فلم نبخل عليه بتصفيقة أو تصفيقتين ولا أقول (صفقتين) التي هي في لغتنا النجدية الدارجة بمعنى الصفعتين اللتين هو بهما جدير.

ثم بدأ يعزف قطعة أخرى من التانغو مع أنه ليس في المكان أحد يرقص بل ليس فيه مستمع إلا نحن والنادل (الجرسون) السمين.

وقد تضايقنا عندما فرغ العازف والتفت إلينا مبتسماً هذه المرة من قلبه معجباً بما عزفه مع أنه لايروقنا.

وكانت الدليلة قد ذهبت وتركتنا وإلا لكنا خرجنا لأننا لم نجد متعة هنا لاسيما وهذا (البار) قد بار وكسد إذ لايوجد فيه من أهل البلد أحد.

ثم أخذ يواصل العزف والضيق يواصل ضغطه على نفوسنا وأسماعنا ولكن ماذا نفعل؟

وزادنا ضيقاً ما فعله إذ جاء وكأنما كان قد عثر على شيء مهم يريد أن يتحفنا به فقال:

إنني سوف أغني لكم أغنية باللغة الإنكليزية لأنكم لاتفهمون الإسبانية فكان عمله إلى جانب كونه رثاً كان تقليداً فجاً.

وطلبنا من النادل (الجرسون) أن ينادي الدليلة وطلبنا منها أن تخرجنا من هذا المكان.

الميسر والإثم الكبير :

انطلقت الحافلة في الشوارع وقد خفت حماسة الدليلة للتعريف فقل كلامها وسألتها عن الجهة التي نقصدها لأننا لم نكن نحمل الورقة التي كان مكتب الجولات في الفندق أعطانا إياها فقالت: إلى (كازينو كاراكو) ويقع على شارع الشاطئ الذي يلي النهر ممتداً على امتداد المدينة عليه.

ووقفنا عند الكازينو، ويقع في قصر فخم واسع المدخل كثير الأضواء إلا أنه خافت الأصوات وتقدمنا وكأنما كانت تتقدمنا لترينا أثراً نادراً من آثار القرون الأولى ثم فتحت باباً أفضى إلى قاعة صغيرة خالية تجاوزتها إلى قاعة كبيرة مغلقة فتح لها رجل الباب ورأينا القاعة مملوءة بالناس وهم وقوف على موائد القمار ولم نكن - ولله الحمد والمنة - ممن يعرفون أصول لعبهم لذلك لم نفهم إلا التعبيرات على الوجوه التي أكثرها تعبيرات تتجلى في تقلص الوجوه وتقطيب الحواجب واكفهرار المظهر فذلك شأن المغلوبين.

وهناك رجال من رجال الشرطة بملابسهم الرسمية يحفظون النظام، بل يحافظون على هذه الآثام، ومدير الملعب معه عصا طويلة يصرف بها النقود من جهة إلى أخرى هي جهة الغالب بعد أن يبعدها عن جهة المغلوب.

وكانت الدليلة تتوقع أن يعجبنا المنظر، بل ربما كانت تتوقع أن نشارك فيه، ولكننا بادرناها قائلين: إن ذلك لم يعجبنا، ولو أعجبنا لم نقدم عليه لأنه مخالف لديننا الإسلامي الحنيف.

وقد فوجئت بسرعة خروجنا.

والواقع أننا لم نر فيه مايدعو إلى إضاعة وقت ولو قليل، ليس ذلك لكونه حراماً فنحن لم نشارك فيه ولم نقدم عليه ونحن نعرفه ولكن حتى لمجرد التفرج برؤيته.

في مطعم أورغواي:

لا أعرف النسبة إلى الأرغواي إلا أن تكون (أرغوياً) وهو ما لايختلف بالزيادة من الحروف عن الاسم المنسوب إليه.

وهو مطعم جيد إلا أنه معتاد في كل شيء فليس فيه حتى مايكون في بعض المطاعم الكبيرة من الرقص بعد الانتشاء على العشاء.

وذهبت الدليلة إلى مالا ندري من دون أن تذكر ذلك وهي حقيقة بأن تذهب فنحن لم ندعها وليس هناك مايدعو إلى بقائها.

أما ما في هذا المطعم فإنه الطعام الجيد فقد طلبنا شواء من شواء هذه البلاد التي تشتهر بتصدير اللحوم فجاءوا به وافر الكم، لذيذ الطعم، إلا أنه كثير الدسم، فعرفت سبباً من أسباب غلظ الأجسام وغلبة السمن عليها في بلادهم.

وقد فرغنا من الطعام قبل أن تحضر الدليلة ولا السائق ولاندري أين كانا إلا أننا عندما طلبنا حضورهما من صاحب المطعم.

وقالا: إن هناك فقرة باقية في مشرب آخر وكنا قد سئمنا هذه الجولة فطلبنا العودة إلى الفندق وعدنا قبل الموعد المحدد وهو الواحدة بعد منتصف الليل بكثير، وقد شعرنا أننا خسرنا وقتاً من دون أن نربح علماً أو معرفة ماعدا السير بهذه الحافلة الضخمة في شوارع عاصمة الأرغواي في الليل.

وعلى ذكر السيارة والشوارع في الليل لاحظت أن القوم ليسوا ممن يتأخرون في أعمالهم في الليل، إذ أغلقت المتاجر ما عدا الحوانيت التي تبيع المأكولات وقلت حركة السيارات في الشوارع.

يوم الأربعاء ١٤٠٤/٢/٧هـ -١٩٨٤/١٠/٣١م

وجولة نهارية :

استأجرنا سيارة أجرة في صباح هذا اليوم واشترطنا على سائقها أن تكون الأجرة بالساعة على أن يخرج بنا إلى المطار بعد أن نحمل أمتعتنا من الفندق وأن يمر بنا على ما تحسن رؤيته في الطريق إلى المطار.

وهكذا كان ومما سبب الإشكال أن السائق لايحسن الإنكليزية إلا شيئًا لايكاد يذكر وإنما يتكلم بالإسبانية التي أعرف كلمات منها وفيها كلمات كثيرة مشتركة مع الإنكليزية وأكثر من ذلك مع الفرنسية وهو إسباني الأصل اسمه (فلال الفريرو) بدأ الجولة بالمرور في وسط المدينة الذي رأيناه أمس وأشار إلى منزل حاكم العاصمة وكنيسة بالغ في التهويل بأهميتها الأثرية وقال؛ إنها بنيت قبل مائة وستين سنة، ومن هذا يتضح أنه ليس لهذه البلاد تاريخ قديم لذلك يحرصون على إبراز ما ليست له أهمية عند غيرهم.

ورأيت في حواشي هذا الحي بيوتًا قديمة قد هدمت لغرض إعادة بنائها فرأيتها كانت قد بنيت بالفخار وليس بالحجارة أو بالطين كما هو كان عليه الحال في معظم الأبنية الإسبانية القديمة في مدن القارة الأمريكية الجنوبية وأمريكا الوسطى.

ومما يلفت النظر هنا رؤية بعض النساء النظيفات الثياب وهن يكنسن الشوارع وقد ذكرني هذا بما كنت قد رأيته في الصين الشيوعية وذكرته في كتاب: «داخل أسوارالصين» إلا أن كون النساء هن اللآئي يتولين تنظيف الشوارع في الصين هو الأغلب إن لم يكن هو الواقع في البلاد كلها ونادرًا مايتولاه الرجال، فإن عدد الكناسات هنا من النساء قليل ويوجد رجال يتولون ذلك.

ثم مررنا بمصرف (بنك) أرغواي، ورغم الدفء الظاهر في الجو في هذا الصباح ربما بسبب كون الشمس صاحية فإنني رأيت طوائف من الناس وهم قد

جلسوا يتشمسون، ولاشك أن هذا من الجري على عادة عندهم من الجلوس في الشمس أيام البرد كما كنا نفعل في شمال الجزيرة العربية في القديم قبل أن نحصل على ثياب كافية ومدافئ تحيل المنازل إلى شمس حارة وإن لم تكن هناك شمس شارقة.

وضواحي المدينة غير التجارية القريبة من قلبها التجاري جيدة البناء، نظيفة الشوارع وإن لم تكن فاخرة.

ومن أبرز ما يلاحظه المرء في هذه المدينة عناية القوم بالتشجير فحتى الأجزاء القديمة من المدينة قد شجرت بأشجار كبيرة مما يدل على قدم عنايتهم بذلك.

وهذا بطبيعة الحال غير الحدائق التي سيأتي الكلام عليها.

واحتجت إلى شريط للمصورة فدلني السائق على متجر كبير غير أنني رأيت المشترين فيه (طابورًا) طويلاً لا أطيق الصبر عليه وإلا لنفذ الوقت الذي كنا حريصين على توفيره، فطلبت من موظفة في المحل أن تبدأ بي لأنني غريب وليس لدي وقت كثير فأسرعت تخدمني بنفسها قبل الآخرين الذين كانوا واقفين أمام امرأة أخرى وباعتة لي بـ ٣٦٠ بيزة وهذا يعادل ضعف قيمته عندنا، وأعطتني بطاقة أسمتها (بطاقة مراجعة) يعطونها المشتري أشبه ماتكون بالفاتورة حتى إذا حدث إشكال أو تبين في السلعة عدم صلاح راجعهم.

ولقد عجبت من كثرة المشترين مع غلاء البضائع وبخاصة المستورد منها.

في مجلس الأمة :

وقف السائق بنا أمام مبنى فخم ذي درج عالٍ عريض جدًا وقال: هذا هو (البرلمان) ولايجوز لي أن أقف عند مدخله، وإنما يمكنكم أن تدخلوا وسوف أنتظركم وكانت زيارة هذا المجلس هي أنجح مافي الجولة هذا الصباح لأنني وجدت فيه موظفة تعرف الإنكليزية فأفادتني بشرحها.

أول مايدخل منه الإنسان قاعة واسعة قد زينت بالرسوم واللوحات الفاخرة وهي على طراز يوناني وأعجب مافيها رخامها الملون والمرمر الموجود في أطرافها وزجاجها ملون بشكل غالٍ وجميل.

ثم دخلنا إلى قاعة اجتماع أهم مافيها لوحة كبيرة تمثل معركة الاستقلال بين الوطنيين من أهل البلاد وبين الإسبانيين المستعمرين حدثت عام ١٨٢١م، وهي أول معركة كبيرة تحدث من هذا النوع.

قالت الموظفة وهي إيطالية الأصل: إن ملك إسبانيا جلس هنا مع رئيس البلاد عندما زار أورغواي قبل فترة قصيرة، فقلت لها: كيف كان شعوره وهو يرى هذه اللوحة التي هي في الحقيقة دعاية ضد إسبانيا؟

فضحكت وقالت: لاشك أنه استاء لذلك ولكنه لم يبد شيئًا منه ثم قالت: إنه قد زار أماكن في الأرغواي خارج العاصمة (منتفديو).

كانت الموظفة تحاول أن تشرح كل شيء بسرعة فهي موظفة استقبال فيه، وذلك أنها ذكرت أن هذا الموعد هو موعد جماعة من الطلاب سيزورونه وإنها لكوني غريبًا أحبت أن تشرح كل شيء عن (البرلمان) وإلا فإن واجبها لايلزمها بذلك لأنها ليست ملزمة إلا بمساعدة الزوار الرسميين الذين يأتون بناء على موعد مرتب من قبل، ولقد صدقت في ذلك لأنني عندما خرجت رأيت الطلاب مع مدرسات لهم ينتظرون عند الباب الخارجي لايسمحون لهم بالدخول إلا إذا حضرت الموظفة الرسمية.

وعندما سألتها عن الرسم المقرر للزيارة؟ أجابت بأنه لاشيء فنفحتها حلوانا (بقشيشًا) أرضاها وانحنت من أجله بالتحية.

مواصلة الجولة:

استمر سائق سيارة الأجرة في جولة في مدينة منتفديو فمررنا بميادين صغيرة متعددة فرأينا أن أهم مافيها عندهم هو تزيينها بالتماثيل التي يكادون يزيدون في إقامتها عن المعتاد مما جعلني أستدل بذلك على كون طائفة من أبناء الشعب ينتمون

في الأصل إلى إيطاليا لأن الإيطاليين هم أهل النحت والمغرمون أكثر من غيرهم بإقامة التماثيل ثم وصلنا إلى حديقة واسعة مستطيلة فيها بركة صغيرة عليها تمثال لعربة تجرها الجياد وتقع في ضاحية من المدينة متوسطة الأبنية أهم مايميز الأبنية فيها أنها على طراز قديم، فليست حديثة لذلك كانت بيوتها وحوانيتها متلاصقة.

ويلاحظ المرء أن حركة المرور في الشوارع منظمة والناس يحترمون إشارات الطريق ولايتجاوزونها كما يفعل أهل البلدان المتخلفة.

أما السيارات التي تسلك هذه الشوارع فهي متوسطة المقدار فلا هي بالكثيرة ولا بالقليلة فهي تماثل مثلاً السيارات في شوارع عمان عاصمة الأردن وهي أكثر من عدد السيارات في شوارع دمشق.

ما أكثر الحدائق:

للقوم ولع عجيب بالحدائق فقد كنت أعجبت بحرصهم على تشجير الشوارع بغرس الأشجار الكبيرة فيها، ولكنني رأيت اليوم أن ولعهم بالحدائق العامة لايقل عن ذلك إن لم يفقه.

فقد مررنا بحديقة متسعة أخرى في ضاحية أخرى من المدينة وأكثر ما في هذه الحديقة الأشجار الباسقة وأشجار الظل التي ذهبت فروعها يميناً وشمالاً.

ولم نقف عند هذه الحديقة فربما كان السائق رغم ما عرفه من إعجابنا بهذه الحدائق لايراها معجبة لأنه قد ألف رؤيتها فظن أنها من الأمور المعتادة غير أنه وقف بنا عند حديقة أخرى وأشار بأن ندخل ونتفرج برؤية مافي الحديقة ثم نعود فرأينا بركة صغيرة في جانب من الحديقة حولها تمثال جواد ممتاز وتماثيل لعربات تجرها الخيول ورأيت فيها نوعاً من الحمام كبيراً أكبر من الحمام المعتاد عندنا بكثير.

ثم تعددت الحدائق وصرنا لانقف عندها، ولاشك في أن السبب في ذلك كثرة الأمطار ووقوع المدينة على شاطئ أعرض نهر في العالم وهو النهر الفضي (لبلاتا).

على شاطئ النهر :

وكدت أكتبها على شاطئ البحر ، لأن كل المناظر تذكرك بأنك على شاطئ البحر من رمل كثير قد غسلته المياه ، وقوم قد تمددوا فوق هذه الرمال كما يفعل النا س في شواطيء البحار ، ورغم البرد فقد رأيت بعضهم قد تخفف من ملابسه ونام في الشمس .

إلا أن الشيء الوحيد الذي يشدك إلى التذكر بأنك لست على شاطئ بحر وإنما أنت على شاطئ نهر هو لون المياه فهي هنا حمراء كأنها مياه الفيضان وليست زرقاء كمياه البحر .



ميناء القوارب على نهر لبلاتا في منتفديو

وفي هذا الشاطئ ميناء صغير لقوارب النزهة الصغيرة اسمه (فيدال الفريدو)

ولقد وقفت أتأمل أعشاب الربيع التي نمت فيه ففوجئت بأنها أو بعضها هي أعشاب الربيع في بلادنا عرفت منها (النفل) وهو عشب بري طيب الرائحة بل إن العامة عندنا تضرب المثل بطيب رائحته وناديت رفيقي الشيخ محمد بن قعود ينظر إليه وليتأكد منه فقال: إنه النفل الذي عندنا أو مثله تماماً ورائحته أقل قليلاً من رائحة النفل الموجود في بلادنا الذي لاينبت إلاَّ في الربيع في الرياض بالأماكن الطينية خاصة ، ومن الغريب أنه نابت بل نام على الشاطئ لأن مياهه عذبة كما هو ظاهر.

ثم انتقلنا إلى شاطئ آخر وهو البلاج بالعامية وهذا رملي إلا أنه أقل اتساعاً من الأول فهو ضيق وليس فيه أناس.

وإن عجبي ليتزايد من كثرة مياه هذا النهر ومنظرها الذي يقرب من الأحمر بالنسبة إلى ما ألفته العين من رؤية مثل هذه المياه الغزيرة في لون غير هذا اللون.

ولعله من السذاجة أن نذكر أن المرء لايرى إلا تلاصق مياه النهر بلون السماء في الأفق البعيد لأن هذا النهر هو أعرض من أن يرى المرء ضفته الأخرى حتى من الطائرة فهو عريض بحيث يتراوح عرضه مابين اثنين وثمانين كيلو متراً إلى أربعين متراً وهذا هو أضيق جزء فيه.

ثم وصلنا إلى (بلاج) ثالث رأيت فيه قوماً يمشون بلباس البحر، وبعضهم قد استلقى في الشمس بهذا اللباس ونحن قد لبسنا الصوف بل وتدثرنا به لشعورنا بالبرد.

وفي هذا النهر جزر كثيرة متعددة كما تكون الجزر في البحار ويرى المرء منها جهة الجنوب وفي الشاطئ في هذه المدينة تلالاً خضراً قد نهضت من مياه النهر مرتدية حللاً خضراً وهي صغيرة فهي بذلك أضيق عن أن تكون فيها عمارة.

إلا أن القوم لايشكون ضيقاً في الأرض بالنسبة إلى عدد السكان عندهم.

مساكن الأغنياء :

تركنا الشاطئ النهري الجميل الذي يشبه شاطئ البحر وأماكنه التي مررنا بها سرية لاينقصها الجمال ودخلنا في ضاحية من المدينة قال السائق: إنها للأغنياء خاصة وهي دارات (فيلات) وقصور غارقة في الجنات ورأينا أعداداً من الطالبات خارجات من مدرسة وبعضهن يركبن الدراجات لقرب بيوتهن في منظر أنيق يتميز بالعناية الكاملة بملابسهن ، وبمظاهر الغنى بل الترف على وجوههن .

ثم خرجنا إلى المطار مع طريق غير الطريق التي جئنا منها التي تمر بشاطئ النهر ، فاخترقنا حدائق أخرى أكثر ما فيها الأشجار الكبيرة الغناء التي غرست قديماً بلاشك .

وخلاصة القول: إن مدينة (منتفديو) هذه هى عاصمة جميلة وتستحق أن ينوه بها المنوهون .

ولكن سائر عواصم أمريكا الجنوبية جيدة بالنسبة إلى ما في أذهان الناس عن أهلها من أنهم يصنفون مع الدول النامية التي يراد بها الدول المتخلفة، ماعدا استثناءات قليلة تكون العاصمة منها تجمع بين النقص في الجودة أو الرداءة مثل (ليما) عاصمة بيرو أو تكون رديئة كلية مثل (جورج تاون) عاصمة غيانا التي تختلف أختلافاً جوهرياً عن بقية أقطار القارة الأمريكية من حيث السكان والثقافة، لأنها مختلفة من حيث السيطرة الأجنبية عليها في أول الأمر فهي مستعمرة إنكليزية وأكثر أمريكا الجنوبية كانت مستعمرات إسبانية أو برتغالية، ولايزال عامة أهلها من الأقوام اللاتينية نسبة إلي لغاتهم المنتمية إلى اللغة اللاتينية وهي الإسبانية والبرتغالية وليس نسبة إلى أصولهم العرقية فهم ليسوا كلهم من اللاتين في الأصل وإن كان بعضهم على قلة في ذلك ينتمون إلى ذلك الجنس .

وأما بالنسبة إلى سكان أهل هذه المدينة الأرغوية، فإنهم يختلفون عن البرازيليين في الأخلاق كما يختلفون عنهم في الأعراق، فأهل البرازيل أسهل أخلاقًا، وأكثر لطفًا وإن شئت قلت أبسط أخلاقًا والبسيط هنا معناها غير المركب أو المعقد وليس القليل ومن ذلك أن التفرقة العنصرية غير موجودة في البرازيل رغم تعدد الأجناس في سكانها ووجود طائفة من أهلها هم من السود، بل إن بلادًا متعددة فيها كثيرًا ما تجد سكانها من السود مثل ولاية (بهية) وكذلك بعض السكان في ولاية الأمازون.

أما هؤلاء فأنك لاتكاد تلمح فيهم الأسودأو الأسمر شديد السمرة وتلاحظ على الفور هذا الغلظ الظاهر في أجسامهم، الذي يوحى بغلظ مماثل في أخلاقهم وتصرفاتهم.

في مطار منتفديو ثانية :

وصلنا المطار في الثانية عشرة والنصف ظهرًا فوجدنا مكاتب الترحيل فيه كمكاتب الاستقبال في القدوم صغيرة غير لائقة بهذه المدينة العظيمة ولكن السبب في ذلك أنها كلها قديمة لم تجدد ولم توسع ووجدناهم قد جعلوا للرحلات التي تذهب إلى (بوينس آيرس) عاصمة الأرجنتين التي سنسافر إليها الآن مكاتب خاصة بها لاترحل منها الطائرات الأخرى.

وذلك لقرب العاصمتين وكثرة الرحلات بينهما فكلتاهما واقع على ضفة النهر الفضي (لبلاتا) هذه أي منتفديو في شاطئه الشمالي وتلك في شاطئه الجنوبي.

ولقد وقفت امرأتان تعملان في مكاتب الترحيل كثيرًا عند رؤية جوازينا ونحن في الصورة فيهما بالملابس العربية وأخذت إحداهما تريهما الأخرى وتتعجبان والركاب خلفنا واقفون ينتظرون حتى خفت أن يكون في الأمر لبس لطول ما نظرتا فيه.

والسبب في ذلك هو قلة مرور من يحملون الجوازات السعودية بهم ولم يتقاضوا ضريبة المغادرة للمطار على جوازينا بسبب كون جوازي سياسياً وللجواز السياسي عندهم أهميته البالغة فلم يقربوا أمتعتنا عند القدوم مع أن رفيقي الشيخ محمد بن قعود يحمل جوازًا معتادًا، كما أن فندق (فيكتوريا بلازا) قد خفض لنا الأجرة بسبب الجواز السياسي، وبينما كنا ننتظر الخروج للمطار سمعنا رجل أجنبي نتحدث بالعربية فحيانا وذكر أنه إسباني كان قد زار الرياض، وقال لنا: إننا نحن الإسبانيين عندما نزور أمريكا الجنوبية لانجد مشكلة في اللغة فهي لنا مثل المغرب العربي بالنسبة لكم.

فقلت له: هذا صحيح وقلت في نفسي: ولكن الذي غير ذلك مختلف جدًا فأنتم علاقتكم القديمة بأهل هذه البلدان هي علاقة مستعمر متسلط، ونحن علاقتنا بأهل المغرب العربي هي علاقة أخ بأخيه.

وقد اتحفنا هذا الإسباني في هذا الركن القصير من الأرض بكلمة (مرحبا) ومن مظاهر عدم استعمال اللغات الأجنبية هنا في أمريكا الجنوبية أن إعلانات المطار لرحلتنا وأمثالها كانت بالإسبانية وحدها ليست معها الإنكليزية.

وهذا ظاهر في البرازيل أيضًا حيث تكون إعلانات الطائرات في بعض الرحلات الداخلية بالبرتغالية فقط من دون الإنكليزية أو أية لغة أخرى.

ولذلك تطوع صاحبنا (الإسباني) بأن يخبرنا عما يتضمنه الإعلان لأننا لانفقه منه شيئًا، كما أن التفتيش على الحقائب اليدوية التي يحملها المسافرون كان يتم بطريقة يدوية أمام الركاب وليس هذا بالنقص الوحيد في هذه الرحلة وإنما هنالك ترقيم المقاعد في الطائرة فهو غير موجود بل يمكن من سبق أن يجلس في أي مكان يريده.

وكان هذا مهما بالنسبة إليّ لأنني أريد أن أكون بجانب النافذة حتى أرى الأرض وبخاصة منظر هذا النهر العظيم واتفقت مع رفيقي الشيخ محمد بن قعود

جزاه الله خيراً على أن يبادر كل واحد منا مقعداً لدى النافذة وإذا لم نجد إلا واحداً فإنه يؤثرني به وهكذا كان.

مغادرة الأرغواي :

قامت طائرة خطوط الأرغواي المسماة بلوتا في الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والثلاثين ظهراً ميممة وجهها شطر الضفة الأخرى من نهر (لبلاتا) العظيم حيث مدينة (بوينس آيرس) التي معنى اسمها (الهواء العليل) بالإسبانية وتوقيت هذه البلاد يساوي توقيت البرازيل الذي يتأخر عن توقيت المملكة بست ساعات.

وهي من طراز بوينج ٧٣٧.

وعندما نهضت الطائرة تجلت الصورة الرائعة لمدينة منتفديو أو (انظر الجبل) بالإسبانية وهي واقعة على نهر لبلاتا الذي لايدرك البصر ضفته الأخرى ولو كان ذلك من الطائرة.

وأجمل ما في منظرها شاطئ نهري على هيئة الهلال الداخل في الأرض.

ثم تشعبت ضفته وصارت خلجانا أو أخواراً صغيرة كما كان قومنا العرب القدماء يسمون الجزء الصغير من البحر الداخل في البر.

فوق النهر الفضي :

من المنظر الجميل المتكرر الخضرة المطبقة على ضفاف هذا الخضم الضخم من المياه وهو منظر معجب لمن اعتاد أن ينظر إلى شواطئ البحار التي لاتكون عليها خضرة شاسعة قريبة من الماء إلا إذا كانت ضفاف البحر عالية والمطر فوقها كثير بحيث يغسل أرضها من ملوحة ماء البحر.

ثم تركنا ضفة النهر الشمالية كما تركنا مدينة (منتفديو) غير آسفين لأن الغلظة الظاهرة في أجسام أهلها قد تركت أثراً من الغلظة في تعاملهم مع الغريب أو هكذا

خيل إلينا إلاَّ أن الشيء المؤكد أنهم في مجاملة الغريب وإكرامه دون أهل البرازيل بكثير.

واستمرت هذه الطائرة النفاثة وهي تلهث فوق مياه النهر الفضي لايرى الراكب فيها لون الفضة في مياه النهر وإنما يرى لونًا يشبه الكدرة من الحمرة لاشك في كونه قد أكتسب النهر ذلك مما حمله من تربة حمراء من منابعه العليا ذات الطمي الوافر.

وقد تطاولت الأعناق وتطلعت الأحداق إلى الضفة الأخرى من النهر فلم ترها إلا بعد فترة من الوقت حسبناها طويلة بالنسبة إلى الطيران فوق نهر من الأنهار.

الضفة الأخرى:

ووصلنا الضفة الأخرى وهي الجنوبية من النهر وكان الطيران كله الذي يبلغ واحداً وثلاثين دقيقة فوق النهر إذْ لم تكن الطائرة تطير في أي وقت من الأوقات فوق اليابسة غير أنني لم أتأكد مما إذا كان الطيران كله قاصداً من الشمال إلى الجنوب فوق عرض النهر أم أنه كان يساير النهر بعض المسايرة.

ولم يقدموا ضيافة في الطائرة لضيق الوقت.

وبدت مدينة (بوينس آيرس)بمينائها الضخم العظيم على ضفة النهر العظيم (لبلاتا) وكأنه الميناء الكبير العميق على بحر محيط.

فهو يعج بالسفن من الأحجام المختلفة ومابين كبير وصغير.

وظهرت المدينة بعد ذلك بأبنيتها الضخمة الفاخرة التي تنافس بها مدينة (سان باولو) أكبر مدن البرازيل وإن لم تستطع أن تنافسها في عدد السكان الذي زاد في (سان باولو) على خمسة عشر من الملايين.

وجددت عهداً بهذه المدينة الكبيرة ولن أمضي في الحديث عنها لأنني قد فعلت مثل ذلك قبل ذلك في كتاب «إلى أقصى الجنوب الأمريكي..».

إلى بوليفيا

قبل الوصول إلى بوليفيا

تقع (بوليفيا) في وسط القارة الأمريكية الجنوبية وأكثر أرضها واقعة في جبال الإنديز العالية في أمريكا الجنوبية.

تحدها بيرو وتشيلي من جهة الغرب، وبارغواي والأرجنتين من جهة الجنوب، كما تحدها البرازيل من جهة الشرق والشمال.

وتبلغ مساحتها مليونًا وتسعمائة ألف كيلو متر مربع.

وهي الدولة الوحيدة في أمريكا الجنوبية التي يؤلف الهنود الأمريكيون الأغلبية من سكانها وهم سكان البلاد الأصلاء الذين كانوا موجودين قبل وصول الأوروبيين، بل إن أهل هذه البلاد البوليفية من السكان الأصلاء كانوا يؤلفون جزءاً من حضارة الانكا الذين كانوا قد أسسوا مدنية خاصة بهم ليست لها صلة معروفة بحضارات العالم القديم ومركزها في بيرو المجاورة.

وقد ذكرت مشاهداتي في بلاد الإنكا في بيرو في كتاب «على قمم جبال الإنديز» المطبوع.

واسمها على اسم (سيمون بوليفار) الذي يسمى في منطقة أمريكا الوسطى المحرر وهو زعيم وطني ساعدت جهوده على تحرير كولومبيا وبوليفيا وفنزويلا من الاستعمار الإسباني وكان يهدف من عمله إلى إيجاد دولة أمريكية جنوبية واحدة متحررة من الاستعمار الإسباني ولكن لم يتم له ذلك.

وقد نالت (بوليفيا) استقلالها عن إسبانيا في عام ١٨٢٥م.

العرب في بوليفيا:

يبلغ سكان العاصمة (لاباز) زهاء مليون نسمة وهم مختلطو الأعراق فيهم الأوروبيون الجنوبيون الخلص والهنود الذين هم السكان الأصلاء الذين كانوا موجودين قبل وصول الأوربيين إلى أمريكا وفيهم أنسال المختلطين مابين الهنود والأوروبيين.

ولكن جمهورية بوليفيا هي الجمهورية الأمريكية الجنوبية الوحيدة التي يزيد عدد الهنود (هنود الإنديز) فيها على غيرهم من أجناس السكان الآخرين إذ يبلغ عدد السكان في بوليفيا كلها خمسة ملايين منهم ٤ ملايين هندي (من هنود الإنديز).

ويبلغ عدد العرب في (بوليفيا) كلها ثمانية آلاف نسمة فيهم من اختلطوا بالسكان فذابوا أو كادوا وفيهم من لايزالون عرباً خُلصاً.

و٩٩٪ من العرب الموجودين في بوليفيا هم من المسيحيين.

ونصف العرب في بوليفيا كلها تقريباً من الفلسطينيين المسيحيين ونصفهم من اللبنانيين المسيحيين وفي مدينة (كوستايامبا) البوليفية ٩٠٪ من العرب فلسطينيون وهم في جملتهم فيها من المسيحيين أما العرب في العاصمة (لاباز) فإن عددهم يبلغ ألف نسمة (٥٠٠) منهم من الفلسطينيين و(٥٠٠) من اللبنانيين، وللعرب في (بوليفيا) مكانة رفيعة وأكثرهم تجار كبار ورجال أعمال تجارية مرموقة، حتى قال لي بعض الناس هنا إن ٥٠٪ من المصانع هي بأيدي العرب وأن ٤٠٪ من المحلات التجارية مملوك لهم.

والشعب البوليفي يحترم العرب، وإذا قال أحدهم: إنني عربي، أو قيل عنه ذلك كان علامة تشريف له، وقد درجنا في مجال ذكر حالة اللبنانيين وخاصة منهم المسيحيين القدماء أن يقول الناس عنهم إنهم رجال أعمال ناجحون.

ولكننا في (بوليفيا) كما في (بيرو) و(تشيلي) يصح أن ننعت الفلسطينيين المسيحيين بأنهم كذلك رجال مال وأعمال تجارية ناجحة فهذا هو الواقع.

ويجتمع العرب في (لاباز) الذين أكثرهم من المسيحيين في النادي العربي وهو نادٍ قوي من جهة المال، لكون القائمين عليهم من العرب الأغنياء.

المسلمون في بوليفيا:

عدد المسلمين في بوليفيا قليل جداً، إذ يقدر في جميع أنحاء البلاد بمائتي شخص يوجد منهم (٣٥) شخصاً في العاصمة (لاباز).

وثقافتهم الدينية، بل حالتهم الدينية كلها متدنية بشكل كبير فليس لهم جمعية تضمهم، وليس لهم مركز إسلامي فضلاً عن أن يكون لهم مسجد.

وهذا نقص ظاهر لايجوز أن يبقى على ما هو عليه.

والمؤسف أنني لم ألمس فيمن لقيت من المسلمين في (لاباز) شعوراً جماعياً بالحاجة إلى مركز إسلامي تقوم عليه جمعية إسلامية معترف بها من الدولة.

ولكننا سمعنا أن جماعة من الإخوة المسلمين العرب، المقيمين في مدينة (سانتا كروز) في بوليفيا يسعون في إنشاء أول مركز إسلامي في بوليفيا، وأنهم الآن بصدد شراء الأرض أو الحصول عليها من الحكومة نسأل الله لهم التوفيق.

ومن سوء حظ الأخوة في (لاباز) أنه لم يكن بين الموجودين منهم من درس العلوم الدينية، أو حتى من حصل ثقافة إسلامية مناسبة وإن لم يكن متفرغاً.

ومن سوء فعلهم أو من سوء عدم فعلهم أنهم لم يتصلوا بأخوتهم المسلمين في الحواضر الإسلامية كبلادنا السعودية أو مصر فيطلبوا أن تساعدهم بإرسال شيخ يعلمهم أمور دينهم فيرشد كبارهم ويعلم صغارهم مايجب أن يعرفوه من أمور دينهم.

وماذا عن اليهود؟

ذكرنا أننا نقلنا عن بعض أهل بوليفيا أن نسبة كبيرة من المصانع والمحلات التجارية هي بأيدي العرب، ويأتي السؤال إلى الذهن عن البقية وأية طائفة من الناس هي بأيديها.

والجواب أن قدراً كبيراً منها بأيدي اليهود، بل قال بعض العرب إنهم فيما يتعلق بالمصانع والمصارف (البنوك) يملكون مثلما يملك العرب وإن كانوا أقل عدداً منهم.

فعدد اليهود في بوليفيا كلها لايتجاوز أربعة الآف نسمة منهم (٥٠٠) في لاباز العاصمة.

ولدولة اليهود سفارة في بوليفيا هي من أقوى السفارات في البلاد، وتتدخل في شئون كثيرة من شئون البلاد وتتميز بإرسال الخبراء في الزراعة والمشروعات الاقتصادية، كما ترسل بعثات من أهل البلاد إلى فلسطين.

السفارات العربية :

لاتوجد سفارة عربية متكاملة ماعدا السفارة المصرية، إنما يوجد مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية وقنصل فخري للأردن وقنصل فخري أيضاً للبنان.

وما عدا ذلك لاتوجد سفارات عربية ولا سفارات إسلامية في بوليفيا.

لقد تحدثنا عن العرب واليهود ومايملكون من المصانع والمحلات التجارية وأن ذلك كثير فماذا عما تملكه العامة من شعب بوليفيا الذين يتألف في أكثريته – من هنود الإنديز؟

والجواب الذي أخبرنا به إخوتنا الذين لقيناهم هنا واستقريناه من شواهد الحال التي شاهدناها إنه شعب كسائر شعوب أمريكا الجنوبية الأصلية يعيش ليومه بكده وجهده ولاينظر إلى تنمية المال والعمل الجاد في المشروعات التجارية التي تحتاج إلى مال ومهارة وصبر وبعد نظر.

فأكثر الشعب هنا هم من الموظفين أو من التجار الصغار أو من الفلاحين.

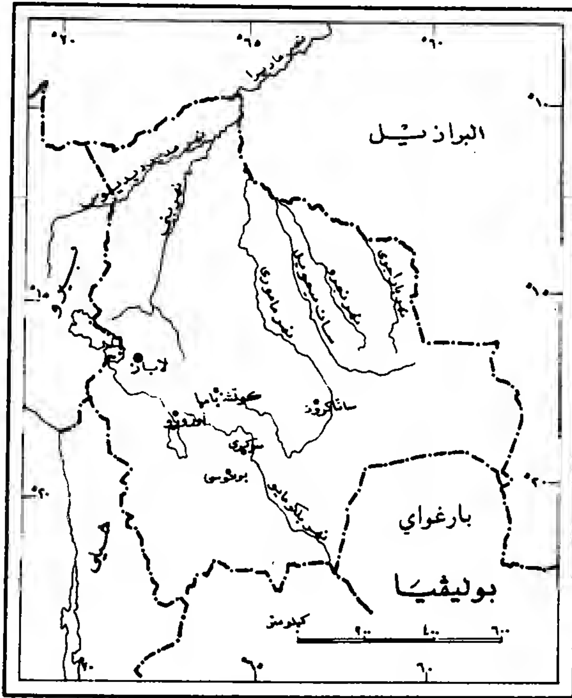
وطبيعي أن هذا القول هو في الأغلب الأعم وإلا فإن لكل قاعدة شواذ.

مع أن البلاد غنية بثرواتها الطبيعية وبخاصة المعدنية فمثلاً هي الدولة الأولى في وجود القصدير وكذلك الكروم والذهب الذي يستخرج من مناجم غنية فيها ولكن الجميع يقولون لك: أن أهل البلاد لاينالهم شيء من فوائد هذه المعادن إذْ تتولاها شركات أجنبية أغلبها أمريكية يسيطر عليها اليهود فتحمل الذهب بالطائرات إلى خارج البلاد لتبيعه هناك بالعملة الصعبة لأن عملة (بوليفيا) منهارة في الوقت الحاضر.

فعلى سبيل المثال كان الدولار الأمريكي قبل ثلاث سنوات يباع بـ ٢٥ بيزة والآن يبلغ عشرات الآف كما سيأتي، ويعزو العارفون بالأمور سبب انهيار العملة بكون الحكم الحاضر في بوليفيا وإن يكن مدنياً فإنه ينحو منحى يسارياً ويتوقعون أن تتغير الحكومة بعد الانتخابات فيتحسن الاقتصاد وتتغير قيمة العملة إلى الأحسن.

وحتى اليورانيوم تلك المادة المشعة التي تستعمل في صناعة الأسلحة النووية هو موجود هنا ويسيطر اليهود على استخلاصه وتصديره.

وفي البلاد ثروه حيوانية ضخمة تتألف من الأبقار ويسيطر عليها العرب فمثلاً رئيس جمعية تربية الحيوان في بوليفيا عربي اسمه الدكتور (سعد) وهو من أبناء العرب المولودين في هذه البلاد وحتى زعيم منظمة العمال الرئيسية في بوليفيا عربي الأصل اسمه (لاتشيه اكندو).



خريطة بوليفيـــا

يوم الخميس ١٤٠٥/٧/٧هـ ١٩٨٥/٣/٢٨م

من سان باولو إلى لاباز :

كنت وصلت الليلة البارحة من برازيليا حيث كنت ومعي الأخ الأستاذ عدنان باشا من كبار موظفي رابطة العالم الإسلامي قد أتممنا عملنا مع السفارة السعودية في برازيليا فيما يتعلق بالإعداد للمؤتمر الإسلامي الذي ستقيمه رابطة العالم الإسلامي في البرازيل للمؤسسات والجمعيات والشخصيات المسلمة في أمريكا الجنوبية.

وذلك لأنه لاتوجد رحلات مباشرة من عاصمة البرازيل (برازيليا) إلى (لاباز) عاصمة بوليفيا.

وكان معنا الأخ محمد أحمد أبوفارس الذي يعمل بمثابة الممثل المعتمد لرابطة العالم الإسلامي في البرازيل وهو لبناني مقيم في البرازيل.

غادرنا فندقنا في وسط المدينة العظيمة (سان باولو) كبرى المدن الأمريكية طراً بعد مدينة المكسيك (مكسيكو) وقد ذكرت شيئاً من مشاهداتي فيها وفي عاصمة البرازيل في كتاب «الحل والرحيل في بلاد البرازيل».

وركبنا سيارة أجرة إلى المطار الدولي الجديد في (سان باولو) في الساعة الثامنة صباحاً وقد افتتح حديثاً وكنت قبل خمسة أشهر في (سان باولو) ولم يكن قد افتتح بعد فكنا نركب وننزل من مطارها القديم الذي تحاصره الأبنية (العمارات) الضخمة التي تبدو كالحصون التي تحرس الأماكن المهمة في البلدان القديمة وذلك أن المدينة الكبيرة كانت تتسع بسرعة وكانت تلتهم المنازل الصغيرة القديمة لتقيم بدلاً منها الأبنية الشاهقة ذات الطوابق الكثيرة وقد دفعنا للسائق أجرته ستين ألف (كروزيرو) ويساوي ذلك اثنى عشر دولاراً أمريكياً وقد ذكرت في ذهني أول زيارة لي لهذه المدينة البرازيلية (سان باولو) قبل خمس عشرة سنة عندما صدر

قرار لجنة الشئون الإسلامية في مجلس الوزراء ووافق عليه الملك فيصل بن عبدالعزيز -رحمه الله -بأن أمثل المملكة في حضور الاجتماع الأول للجمعيات الإسلامية في أمريكا الجنوبية الذي عقد في هذه المدينة وكان أول مؤتمر من نوعه يقام في هذه القارة.

وبين ذلك التاريخ البعيد بالنسبة إلى علاقاتنا مع المسلمين في مهاجرهم وبين هذا اليوم حدثت أمور كثيرة، وتغيرت أمور أكثر ومن أقرب ذلك إلى الذهن أن البرازيل لم يكن فيها في ذلك العهد إلاَّ مسجد واحد هو مسجد المركز الإسلامي في (سان باولو)، واليوم يوجد في البرازيل أربعة وعشرون مسجداً بعضها يمكن لأهل البرازيل أن يفاخروا بمظهره وقوة بنائه أخوتهم المسلمين الذين يقيمون مساجد جدداً في البلدان الإسلامية ويكفي أن يقارن بجامع (سان باولو) أول مسجد في أهم مدينة برازيلية ليعرف الفرق بين همة المسلمين الأوائل وهمة هؤلاء الأخوة المسلمين الذين نهضوا نهوضاً سريعًا لم يكن تفاؤل المتفائلين يصل إليه.

ولاتزال نعرف بين آونة وأخرى عن جمعية إسلامية تؤلف ومسجد لها ينشأ، ومدرسة إسلامية أو فصول لدراسة اللغة العربية والدين الإسلامي تفتح في هذه البلاد الأمريكية الجنوبية (البرازيل) التي هي دولة واحدة تزن من حيث المساحة وعدد السكان كل أقطار أمريكا الجنوبية مجتمعة إذا وزنت بها، ومن الأشياء المهمة في هذا الصدد تطور علاقات المملكة العربية السعودية بالأخوة المسلمين في مهاجرهم بين ذلك التاريخ البعيد نسبيًا (خمس عشرة سنة) وبين ماهي عليه الآن وقد أصبحت متينة قوية تنتظم أكثر الجمعيات الإسلامية وتتناول مساعدتها أو لنقل التعاون مع القائمين عليها فيما يعود على الدعوة الإسلامية بالرعاية ويعصم أبناء المسلمين فيها من الذوبان حتى إنه قل أن يوجد مسجد من مساجد البرازيل إلا وأسهمت المملكة العربية السعودية عن طريق إحدى المؤسسات العاملة في ميدان الدعوة فيها بشيء من الإسهام في نفقاته أو تجهيزه، ولايزال الأمر مستمراً بل ناميًا ولله الحمد.

ومن الفروق الواضحة مابين تلك الزيارة البعيدة للبرازيل وزيارتي هذه الأخيرة حالة العملة البرازيلية فكنت صرفت الدولار الواحد في ذلك الوقت - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م - بسبعة كرويزرات إلا ربعاً وكنت قد اشتريت الدولار الأمريكي بأربعة ريالات ونصف.

أما الآن فقد صرفت الدولار الأمريكي بأربعة آلاف وتسعمائة كروزيرو وكنت قد اشتريت الدولار الأمريكي في المملكة بأقل قليلاً من أربعة ريالات إلا ثلثاً.

وإذاً يكون الفرق في قيمة (الكروزيرو) البرازيلي هو كبير جداً والفرق على هذا الاعتبار في قيمة الريال السعودي بالنسبة للكروزيرو كبيراً جداً صعوداً وإن كان الأمر ليس على إطلاقه الظاهر فالحقيقة أن الفرق الحقيقي بالنسبة إلينا نحن السعوديين الذين نزور البرازيل هو مابين قيمة الدولار الأمريكي بالريال في عام ١٩٧٠م وبينهما الآن وهو ماسبق ذكره وليس بهذه النسبة.

ومما تجدر ملاحظته أن كلمة (كروزيرو) هذه التي سميت بها العملة البرازيلية تعني الصليبي لأن (كروز) هو اسم الصليب باللغة البرتغالية التي هي لغة أهل البرازيل، وإذاً يصح أن يقال إن الصليب سقط إذا كان المراد بذلك العملة البرازيلية، فهل يصح القول أيضاً بأن الصليب سقط في البرازيل إذا كان المراد بذلك ما تدل عليه كلمة الصليب المسيحية؟

لاشك أن الأمر ليس كذلك ولعل الإجابة على هذا السؤال بل بحث هذا الأمر كله أولى بأن يكون في كتاب: «الحل والرحيل في بلاد البرازيل» الذي سيطبع قريباً بإذن الله.

إلى سانتا كروز :

لا أدري لم يلازمنا ذكر الصليب في صباح هذا اليوم فمن الحديث عن (الكروزيرو) المنسوب إلى صليب البرازيل إلى الحديث عن صليب آخر إسباني اعترضنا اعتراضاً فتحدثنا عنه عرضاً وهو الذي سميت به المدينة التي ستنزل بها طائراتنا قبل الوصول النهائي إلى لاباز عاصمة بوليفيا.

ولن نقف عند هذا الصليب الإسباني إلا لماماً كما فعلت طائرتنا لأن الوصول إليه، ورؤيته ليس من هدفنا.

لم أطلب من الموظفة في مطار سان باولو الدولي أن تعفيني من رسم مغادرة المطار لأنه قليل ولكنها هي سارعت بدون طلب بالذهاب إلى رئيس لها عادت بعد ذلك تقول: إنك لن تدفع الرسم لكون جوازك سياسياً والسمة - التأشيرة -التي حصلت عليها لدخول البرازيل هي سمة سياسية.

ولم يكن في هذه الطائرة البرازيلية التي تتبع شركة (فارج) كبرى شركات الطيران البرازيلية العاملة في الداخل وهي الشركة الوحيدة للبلاد التي تعمل في الخارج لم تكن فيها درجة أولى مع أنها في رحلة دولية وكانت تذكرتي مقطوعة على الأولى فختمت الموظفة في مكتب للشركة بهذا المطار ذلك على غلاف التذكرة حتى يمكنني أن أتقاضى الفرق من السعودية بعد العودة.

دخلنا إلى منطقة المغادرة في المطار فلم أجده فاخراً، ولا واسعاً جداً ربما كان ذلك بسبب ما وصلنا إليه في بلادنا من تقدم في اتخاذ المطارات الحديثة الجميلة ومنها على سبيل المثال مطار الملك خالد الدولي في الرياض الذي يمكن أن نفاخر به أفخر مطارات العالم طرأ بدون أن يكون في هذا الأمر شيء من الشطط في القول، أو المبالغة في التعبير.

قامت طائرة شركة (فارج) من مطار (سان باولو) قاصدة (سانتا كروز) ثم لاباز، في العاشرة والدقيقة العاشرة ضحى متأخرة عن موعدها الأصلي بنصف ساعة.

وكل المضيفات بها من البرازيليات المجاملات اللاتي لم يجاملهن الطقس ولاالهواء في هذه البلاد البرازيلية فأذهبا شيئاً من أصلهن ذي الرونق الأوروبي، ولكنه عوضهن عن ذلك لوناً خمرياً خالطته سمرة تميل إلى الحمرة لا إلى الكدرة وعوضهن عن ذلك أيضاً بساطة في التصرفات، وحسناً في المعاملات، وعدم ترفع في النظر إلى الآخرين.

فمجتمع البرازيل هو متعدد الأجناس، ولكنها كلها انصهرت في بوتقة واحدة، طابعها التسامح في عدم الشعور بالعنصرية أو التفريق بين لون ولون فضلاً عن العنجهية بالتعيير بفقد الحسب والنسب فالقوم ليس عندهم من ذلك شيء إلاَّ فيما يتعلق بالمال والأعمال التجارية فالثري يستطيع أن يترفع عن الفقير بأجنحته التي أكتسبها بعرق جبينه أو عرق جبين أبيه أو جده، لابعراقته في النسب.

ومع ذلك فإن المرء إذا شاهد المضيفات البرازيليات يعرف أنهن الأوروبيات الآئي كن أصيلات ولكنهن الآن من المتغيرات فلم يحافظ موقع البلاد على أوروبيتهن، كما حافظت على ذلك جواء أخرى من مهاجر الأوروبيين مثل أجواء أستراليا، ونيوزلندا وكندا.

سارعت المضيفات بتوزيع الهدية التقليدية التي تقدمها شركة (فارج) لمن يسافرون معها سواء أكانوا على الدرجة السياحية أو الأولى وهي كيس من اللدائن داخله مشط ومعجون للأسنان ومعه فرشاة، و(ملبسة) للخف أو لسان من اللدائن اللطيفة يستعمل في تسهيل لبس الخف.

ثم إنهم عملوا هنا عملاً جيداً وهو أنهم وزعوا بطاقات الدخول إلى بوليفيا علينا والطائرة لاتزال جاثمة على الأرض لم تطر بعد فقطعت الوقت بملئها وكان هذا أيسر علي من ملئها وهي تطير أو أن أترك الكتابة في الطائرة من أجلها.

ومن الأشياء التافهة ولكن لها معنى في نفس الغريب الذي ليس معه أحد وهو أن إحدى المضيفات جاءت إليَّ مبتسمة ابتسامة عجبت لها لأنني لا أعرف لها سبباً وهي تقول: لقد عرفتك، فازداد عجبي أيضاً من هذه المعرفة التي لا أعرف عنها شيئاً وقالت: لقد ركبت معنا منذ خمسة أيام من (ريو دي جانيرو) إلى برازيليا وكنت أخدم في تلك الطائرة.

فشكرتها على مجاملتها وعلى تذكرها لهذه (العلاقة) الحميمة التي لم ألق لها بالاً وقلت لها حينما سمعت منها مجاملتها: إن الوقت سيكون وقت غداء وأنا مسلم لا آكل لحم الخنزير فأرجو أن تقدموا لي طعاماً خالياً من لحم الخنزير.

فقالت : كنت أود أنك نبهت على ذلك قبل الركوب حتي يجهزوا لك طعاماً خاصاً ثم سألتني أأنت نباتي؟ (فيجتيريان)؟

فقلت لها : أنا مسلم آكل ما تأكلون من اللحم إلا الخنزير.

وهذه الحادثة التافهة تدل على لطف البرازيليات ومعاملتهن الرقيقة غير المتكلفة لاسيما إذا أضفت إليها ذكر حقيقة تافهة أيضاً تذكرتها بنفسي ولنفسي وهي أن هذه الرحلة التي أقوم بها الآن هي أول رحلة لي بعد بلوغي سن الستين - بالتوقيت الهجري - فقد بلغت الستين من العمر قبل شهرين وأيام من الآن.

وفي ذلك قلت أبياتاً ربما يشفع لايرادها هنا رغم ردائتها كونها قيلت في هذا الجو الاعجمي:

أقول وقد جاوزت ستين حجةً ... ألا ليت شعري مايؤول له أمرى

رأيت بقاع الأرض طراً وطوّفتْ ... بي الرحل من برّ بعيد إلى برّ

وزرت بلاد الهند والسند كلها ... وما كان خلف الهند قطراً ورا قطر

من الصين واليابان والمشرق الذي ... يقيم به قوم من السّمر والصفِر

وفتشت بلدان الأفارقة التي ... يحل بها السودان من أقدم الدهر

من الزنج والحبشان والبوشمن الأولى ... منازلهم في جانب الرأس في البحر

ومن غانة السفلى، وتنزانيا إلى ... سفالة ذات الذكر في سالف العصر

وأمريكة الوسطى ومن في جوارها ... من السُّود والكاريب في الأرض والجُزْر

* * *

وعاشرت في كلّ خليلا مفارقا ... لمدة يوم أو أقلَّ من القدر

فلست بمحصٍ من لقيت ولا الذي ... رأيت من الأصحاب في الريف والمِصْرِ

إذا قال منهم قائل ذو مودةٍ ... متى العود ياهذا؟ أجبت بلا أدري

* * *

وألفت في الرحلات كتبًا كثيرة سبقت بها الكُتَّاب في العد والحصر

فلم أر من قد كان في كل عمره يؤلف هذا القدر في سالف الدهر

ولا كان فيهم قط من كان كاتبًا من الكتب في الرحلات مازاد عن عشر؟

وقد بلغت رحلاتي الآن عدها ثلاثًا وأربعين سفرًا ورا سفْرِ

فلله ربي الحمد والمدح والثنا ولله ربي الشكر في العسر واليسر

وقلت لهذه المضيفة المجاملة التي لولا المجاملة لما قالت ما قالته لراكب في الستين من عمره: إنني أسافر مع هذا الطريق أول مرة ومقعدي فوق الجناح فأرجو البحث لي عن مقعد آخر أستطيع أن أشاهد الأرض تحتي وأصور ما أريد تصويره فأخذتني قبل امتلاء الطائرة بالركاب إلى مكان عند النافذة مناسب وقالت: إن جاء صاحب المقعد أقنعته بالجلوس في مكان غيره.

امتلأت الطائرة بالركاب أو كادت وكلهم (لاتيني) وهذا التعبير يشمل سكان البلاد التي تتكلم لغة ترجع في أصولها إلى اللاتينية مثل الإسبانية والإيطالية والبرتغالية وقد تغيرت ألوانهم قليلاً من المقام في هذه البلاد الحارة كما أن أشكال بعضهم قد تغيرت تغيرًا خفيفًا بسبب التزاوج.

ومع ذلك هم لايزالون من البيض كاللبنانيين والسوريين وليسوا من الشقر كالأوروبيين الشماليين رغم وجود أعداد قليلة بينهم من ذوي الأصول الشقر.

وليس بينهم من هو أسود اللون رغم وجود نسبة من السود في البرازيل ولا أظن أن فيهم من لايحسن البرتغالية أو الإسبانية غيري، أما لوني فإنه لايبعد كثيرًا عن ألوانهم ولذلك يظنني من يراني دون أن يكلمني غريبًا عن سكان أمريكا الجنوبية.

أعلنوا إعلانًا طويلاً بالبرتغالية وآخر مختصرًا بالإسبانية ولاشيء غيرهما مع أنها رحلة دولية ولم أفهم شيئًا عن المسافة فسألت إحدى المضيفات فقالت إنها إلى مدينة (سانتا كروز) في بوليفيا تبلغ ساعتين ونصفًا.

وأن المسافة بعد ذلك من (سانتا كروز) إلى (لاباز) هي خمس وأربعون دقيقة.

عندما أقلعت الطائرة فوق مدينة (سان باولو) ذات الخمسة عشر مليونًا من النفوس الممتدة في مساحات واسعة شاسعة منظمة من الأرض لم يستغرقني النظر إليها لأن ذهني كان مستغرقًا في التفكير في شيء آخر ألا وهو الرحلة إلى هذه البلاد الأمريكية الجنوبية التي لم أزرها قبل ذلك.

ولقد جربت متعًا كثيرة من متع الحياة فما وجدت في نفسي متعة هي أكثر من متعة الوصول إلى بلد في العالم لم أصل إليه من قبل، وإن كانت هذه المتعة قد أخذت تتلاشى لأن عدد البلدان التي لم أزرها أخذ يتلاشى وعلى سبيل المثال فإنني سبق أن زرت جميع أقطار القارة الأمريكية الجنوبية ماعدا بوليفيا و(بارغواي) التي أنا ذاهب إليها الآن.

وعندما عدت ببصري إلى الأرض لأستجلي منظرها وجدت أن سحابًا ثقيل الظل - على الأرض - قد حال بيني وبين ما اشتهيته.

وبعد قليل انكشف السحاب عن أرض البرازيل الخضراء الواسعة التي تسعى الطائرات النفاثة لاهثة لفترة طويلة دون أن تصل إلا إلى جزء منها.

وكان في جيب المقعد أمامي مجلة باللغة البرتغالية فيها مقالة عنوانها: البرازيل ثانية الدول في العالم في إنتاج الأبقار، فقلت: سبحان من يعطي من يشاء ما يشاء. (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء، وتذل من تشاء بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير).

ثم بدأت المضيفات بتقديم موائد الغداء وكان أولها صحونًا من مقدمات المائدة (المازات) وبعدها الشراب المنوع من الثقيل إلى الخفيف يوزعونه مجانًا على ركاب السياحية ولاتفعل ذلك أكثر شركات الطيران وإنما تقصره على ركاب الدرجة الأولى وتبيع الثقيل على ركاب السياحية بيعًا.

وقبل الشراب كن وزعن النقل وهو ماتسميه العامة بالمكسرات مع أن الطائرة ليست فيها درجة أولى وإنما هي كلها سياحية كما قدمت.

ثم رفعوا مائدة المقدمات وجاءوا بالأطباق الرئيسية وكانت كلها ممامسه لحم الخنزير ففي الطبق الرئيسي شواء من لحم البقر مظهره جيد، إلا أنهم قد أحاطوه بشريحة من لحم الخنزير ولا أدري لم فعلوا به ذلك إلا أن يكون طلباً للدسم لأن من يتعاطون المسكرات يقولون: إنه لابد من التقديم للخمر بالدسم لأنه يقي المعدة فعل الغول (الكحول) كما وضعوا فوق طبق السلاطة شريحة عريضة رقيقة حمراء من لحم خنزير كريه المنظر وحتى البطاطس الذي أحضروه مطحوناً مع الطبق الرئيسي فيه قطع صغيرة من لحم الخنزير مطبوخة معه.

وناديت المضيفة الودود التي جاملتني قبل أن أعرف من أمرها شيئاً وطلبت منها أن تستبدل لي هذا الذي هو أدنى بما هو خير منه، فقالت: إننا ليس عندنا غيره ولكن من السهل إبعاد الخنزير وأهوت إلى الطبق لتبعد شريحة الخنزير التي غلفت بها قطعة الشواء البقري وشربت من دسم الخنزير ماشربت.

فتركت ذلك كله وعافت نفسي الغداء ولم يكن في الأطباق ما آكله إلا قطعة صغيرة من الخبز في حجم الأصبع الواحدة أكلتها مع زبدة مغلفة وحتى قهوتهم جاءوا بها كالعادة قليلة نزرة مليئة بالسكر لاتعجب من كان مثلي قد اعتاد على شرب القهوة خفيفة خالية من السكر.

هذا وقد مرت الطائرة فوق نهر صغير ثم نهر آخر أكبر منه والأنهار والمياه الكثيرة في البرازيل لاتلفت نظر أحد، بل لايرون أنها تستحق أن تذكر لأن بلادهم حافلة بالأنهار الكثيرة وناهيك بنهر الأمازون أكبر أنهار الدنيا كلها.

ثم واصلت الطائرة طيرانها والأرض من تحتها تواصل امتدادها وخضرتها والطيار أو المضيف - لا أدري - يتكلم من مكبر الصوت باللغة البرتغالية وحدها وربما كان يذكر اجتياز الطائرة للحدود التي تفصل مابين بوليفيا والبرازيل.

ولذلك عندما وصلنا إلى بحيرة كبيرة لم ندر في أي البلدين تقع.

في مطار سانتا كروز :

و(سانتا كروز) إسبانية معناها: الصليب المقدس فسانتا مقدس وكان القياس أن يقال فيها (سان) كما في سان سلفادور بمعنى المقدس المنقذ وهو عيسى عليه السلام جعلوا كلمة الصليب الذي هو مذكر عندنا مؤنثا في لغتهم فقالوا: (سانتا) وكروز: صليب وهي هي الكلمة الإنكليزية (كروس).

بدأت الطائرة تتنزل من عليائها فوق السحاب فصار منظر الأرض كالبساط الأخضر الذي ترقشه قطع من السحاب الأبيض الناصع البياض.

وقد بدا السحاب كأنما هو لاصق بالأرض وذلك لارتفاع الطائرة وارتفاع المنطقة التي تطير فوقها لأنها في جبال الإنديز.

ثم تضافرت هذه القطع البيض الجميلة الخفيفة الظل على أن تثقل علينا فتغلق المنظر أمامنا فلم نعد نرى شيئًا إلا أن الطائرة اخترقت حجاب هذه السحب البيض ونزلت عن مستواها فظهرت أسافلها سودًا بعد أن كانت أعاليها تبدو من الطائرة بيضًا ناصعة البياض.

واتضح منظر هذه الأرض البوليفية خضراء مزروعة بزراعة حقلية منسقة وليست كالخضراء التي خضرتها من أشجار الغابات ماعدا بعض الأماكن المرتفعة التي كانت تركبها بعض الأشجار الكثيفة الملتفة.

وقد أعلن مكبر الطائرة ما لم أفهمه لأنه ليس فيه من الإنكليزية شيء فسألت المضيفة عنه: فقالت: إنهم يقولون: إنه ينبغي على الركاب الذين سيواصلون سفرهم معنا إلى (لاباز) أن يبقوا في الطائرة.

وعندما نزلت الطائرة في مطار (سانتا كروز دي لاسيرا) نزل منها أكثر الركاب فظننت أنهم لم يفهموا الإعلان على وجهه غير أنه تبين بعد ذلك أنهم كانوا في الأصل من الركاب الذين ركبوا من (سان باولو) إلى هذه المدينة البوليفية (سانتا كروز دي لاسيرا) التي يغلب العنصر اللاتيني أو الأوربي الأصل على

سكانها بخلاف العاصمة (لاباز) التي يغلب على سكانها العنصر الهندي الأمريكي كما سيأتي.

لقد كنت أبحث عن البلدة أو شيء من مساكنها والطائرة تهم بالنزول غير أنها نزلت من دون أن أرى من البلدة أي شيء.

وقد استغرق الطيران من سان باولو إلى هذه البلدة (البوليفية) ساعتين وعشرين دقيقة فرأيت المطار الذي نزلت فيه الطائرة جيد المدارج وإن لم يكن واسعاً وأما أبنيته فإنها متوسطة إلا أنها حديثة المظهر جيدة الطابع.

وتحف بالمدرج أعشاب خضر مزدهرة مما يدل على أن المنطقة ندية وأنها من أراضي المراعي إلاّ أن يكون هذا في هذا الفصل خاصة، ولكن الأمر بلاشك هو الأول لأن الأشجار الكبيرة نامية مزدهرة والأشجار ليس عمرها عمر الأعشاب كما هو معروف.

وقفت الطائرة في ساحة الوقوف التي هي مبلطة بمربعات كبيرة من الأسمنت وليست من الإسفلت فاندفع الهواء قوياً إلى داخلها إلا أنه جبلي خفيف خالٍ من الرطوبة الكثيفة وشعرنا بالحاجة إلى الابتعاد عنه لبرده، مع أني في الأيام السابقة كنت في مدن البرازيل الرئيسية ريودي جانيرو وبرازيليا وسان باولو وكلها حارة وإن كان حرها ليس مزعجاً وجاء خادم هندي أمريكي قصير البدن، قصير الرقبة معه آخر يشبه الجنس المختلط مابين الهنود الأمريكيين أو الأوروبيين الجنوبيين لخدمة الطائرة.

إلى لاباز :

نهضت الطائرة من مجثمها بعد وقوف استمر أربعين دقيقة فتركت مطار (سانتا كروز دي لاسييرا) الصليب المقدس للجبال قاصدة العاصمة البوليفية (لاباز) ولم يصعد إليها إلا ركاب قليل بحيث كان عدد الذين فيها لايملأ عُشر مقاعدها.

وكان الوقت عند قيامها هو الواحدة والدقيقة العاشرة بتوقيت سان باولو الذي هو وقت مدن البرازيل الرئيسية التي مررنا بها في هذه الرحلة وإن كانت هناك مدن عدة في البرازيل يختلف توقيتها عن توقيت هذه المدن مثل (ماناوس) عاصمة ولاية الأمازون، وعندما حلقت في الجو كان المنظر تحتها ريفًا أخضر يشقه نهر أحمر المياه ثم حال سحاب بيننا وبين الأرض فترة إنقشع بعدها فأبصرنا نهراً صغيراً ثم نهراً صغيراً آخر إن لم يكن قناة قد شقت من نهر كبير.

ثم جاءت المضيفات بصحن من الطعام كل شيء فيه عليه لحم الخنزير فرددته.

فوق قمم جبال الإنديز :

لا أدري لِمَ يعتريني شعور من الغبطة المزوجة بالروعة.عندما أكون فوق منظر مهيب من جبال عالية أو غابات كثيفة أو حتى بحار هائجة وإن كان السبب هنا ظاهراً وهو شهرة هذه الجبال الإنديزية التي هي من أشهر جبال الدنيا بعد جبال الهملايا ولذلك عنونت كتاباً لي عن رحلة سابقة في قطرين من أقطار أمريكا الجنوبية هما: بيرو والاكوادور - بعنوان : «على قمم جبال الإنديز».

ولكني رأيت هنا من أمر هذه الجبال مافاق ما رأيته في المرات السابقة، وتعدى الوصف الذي كنت قد قرأته عنها.

فقد رأيت في هذه الجبال الشاهقة بل العاتية جبالاً راكبة في الجبال وهي تشبه حيطان القلاع الضخمة الواقفة وقد تفرق السحاب الأبيض عن قممها وتطامن عاجزاً عن أن يعلو عليها.



من الطائرة ثلوج وسحاب على قمم جبال الأنديز في بوليفيا

وكلما قربت الطائرة من محاذاتها ازداد ارتفاعها في مرأى العين.

ومازاد منظرها روعة بل رهبة وجود وديان سحيقة بينها تجري في بعضها مياه قليلة ولكنها تكاد تكون شاملة لتلك الوديان.

ثم قربنا من منطقة أشد روعة وأعتى جبالاً وأكثر سموقًا في الجو، وذكرت عند ذلك أخوات لها من قمم جبال الإنديز رأيتها في منطقة (كيسكو) في بيرو وهي المدينة الوعرة التي توجد فيها وفيما حولها آثار حضارة شعب الإنكا الأمريكية الخالصة التي دمرها الإسبانيون بمجيئهم عندما فتحوا القارة الأمريكية الجنوبية.

ولا أثر لوجود عمارة في هذه الجبال البوليفية الوعرة خلاف جبال بيرو تلك فإنها معمورة في كثير من جهاتها.

ثلوج الاستواء :

وقد أسميتها بذلك لغرابتها كما كنت قد شعرت بمثل ذلك عندما رأيت الثلوج الكثيفة تجلل أكتاف جبل (كلمينجارو) في إفريقية الاستوائية الحارة مابين حدود كينيا وتنزانيا ولكن هذه الجبال الاستوائية ـ إن صح التعبير – الأمريكية الجنوبية هي أكثر سموقاً في الجو وعتوا على الإدراك من جبل كلمينجارو الاستوائي الإفريقي.

وناهيك بثلج ناصع دائم على جبال لاتبعد إلاَّ عشر درجات أو تسعاً من خط الاستواء ومثل هذه المنطقة من طبيعتها أن تكون حارة بل لاهبة، ولكنه الارتفاع الشديد.

وقد أعلن مكبر الطائرة عن ربط الحزام فوق هذه الجبال الوعرة العاتية ومجرد التفكير في اضطرار الطائرة إلى النزول في غير مطارها أمر مزعج فوق هذه الرماح الطبيعية الضخمة التي هي أولى ببيت عمرو بن كلثوم من جبل اليمامة الذي قال فيه:

فاعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدي مصلتينا

وهي بوصف الأسياف ذات الحدود البيض المرهفة أولى لأنها بالفعل ذات حدود عالية تجللها ثلوج بيض، بل ناصعة البياض بخلاف اليمامة التي لايوجد في رءوسها بياض ناصع إلاَّ ما قد يركبها من غبار الصحراء أو خيال الشعراء.

ومضت الطائرة تقصد مطار (لاباز) وخيل إليَّ أنها ترتفع في تحليقها مع أنها في الحقيقة كانت تهبط وذلك لارتفاع منطقة (لاباز) في قمم جبال الإنديز.

وأطلت القمم الثلجية من كل اتجاه لتثبت وجودها وهي تحيط بالمطار.

أعلى مطار في العالم :

ومع وعورة هذه الجبال فقد رأيت في قمم بعضها أو أكنافها عندما كانت الطائرة تقترب من المطار سكانا ومنازل قليلة وعجبت لهم على صبرهم على السكن في هذه الأماكن الوعرة وتذكرت سكان الصحراء وسكان المناطق الحارة الرطبة وكيف كانوا لايرون بها بديلاً (وكل بلاد لها ساكن) كما كان العرب الأقدمون يقولون.

كما رأيت الطرق تتلوى في أكتاف هذه الجبال وهي طرق لا أقول ترابية وإنما هي جبلية غير (مزفلتة).

ثم أقبلنا على المطار تحيط به على البعد قمم ثلجية مخيفة تذكرت أن إحداها وهي المسماة (اليمان) سقطت فيها الطائرة قبل مدة فلم يستطيعوا الوصول إلى جثث ركابها لأن الثلوج قد طمرتها وإذا حركوها للبحث عنها فإن انهيارات الثلج تكون خطراً عليهم، وقد تركوا الجثث وذكروا أنهم سيعودون إليها بعد أربعة أشهر عندما تخف الثلوج قليلاً عارفين أنهم سيجدونها كيوم سقوطها من دون أن تتغير لأن الثلج يحفظها من التغير.

ثم اتسعت الوديان التي كنا نراها ضيقة ومنها سهل واسع بالنسبة إلى هذه المنطقة الجبلية البالغة الوعورة وفي هذه الوديان مساكن ريفية غير بهيجة المنظر، وأشجار تبدو مغروسة بينها الأعشاب غير الكثيفة.

ثم أقبلنا على المدينة فرأيتها من الطائرة في واديين ضيقين جداً، وقد تشعبت المنازل في شعاب هذين الواديين تتبع السهل وتترك التلال الوعرة في منظر عجيب غريب في هيئته وشدة وعورته.

هل أنا في الهملايا ؟

هبطت الطائرة في مطار كل المناظر التي فيه تذكرني بمناظر المطارات والمدن في بلاد لاتبعد كثيراً عن جبال الهملايا مثل (كتمندو) عاصمة نيبال و(سرنقر) عاصمة ولاية كشمير التي استولت عليها الهند، وكلتاهما تشاهد منها القمم الثلجية من جبال الهملايا.

كما ذكرني المنظر بعدة مناظر في بعض البلدان الباردة في شمال الصين سواء في مناظر القمم الجبلية الثلجية أو في لون التربة والجبال.

إلاَّ أن الفرق هنا هو أن هذه المدينة تقع في أشد المناطق الجبلية وعورة في العالم كله الذي شاهدته.

ومع ذلك فقد لاحظت أن معظم المنازل في ضواحيها خالية من الخضرة، ربما لصعوبة وصول المياه إليها وكونها تشهد فصلاً جافًا أو ربما يكون شديد الجفاف في بعض فصول السنة.

وليس معنى هذا أن هذه الجبال خالية من المرعى وإنما المراد أن بعض أحياء مدينة (لاباز) هذه التي أراها الآن خالية من الحدائق والبقع الخضر.

ولقد قارنتها في ذهني بالمنازل في مدينة الرياض التي هي صحراوية بل هي عاصمة الصحراء وبكون أكثر منازلها وبخاصة خارج قلب المدينة لاتخلو من الحدائق أو الأشجار أو النخيل.

ويرى المرء من الطائرة في ضواحي هذه العاصمة (البوليفية) منازل للفقراء بدليل أن طرقها ترابية وحالتها سيئة وسقوفها من الصفيح الصدئ.

أما الريف حول المدينة فإنه يكاد يخلو من الغابات وإنما هو حقول غير متسعة مزروعة بزراعة غير شاملة.



منظر من الطائرة لريف لاباز

وبخاصة في عين المسافر الذي يأتي من أرض البرازيل الخصبة ذات السهول التي تتقطع الأبصار دون إدراك حدودها، بل ربما انقطعت البصائر عن ذلك.

هبطت الطائرة في أعلى مطار في العالم فوق مدرج طويل وإنْ لم يكن متسعًا وقد قال لي الإخوة من سكان هذه البلاد بعد ذلك إن الطائرات تحتاج إلى مدارج أطول من المدارج المعتادة لأن ارتفاع المطار يقلل من مقدار الأوكسجين الذي تحتاج إليه محركات الطائرة، ولذلك لاتنزل فيه إلا طائرات معينة لابد من أن تكون خفيفة الجسم وأن تقل حمولتها قليلاً عن الوزن المعتاد في المطارات التي تقع على البحر.

ويبلغ ارتفاع مطار لاباز أربعة آلاف متر عن سطح البحر وأكرر أن المقياس هنا هو المتر وليس القدم.

وقد قضت في طيرانها مابين مطار (سانتا كروز دي لاسييرا) وبين مطار لاباز هذا خمسين دقيقة.

وكان الوصول في الثانية من بعد الظهر حسب توقيت سان باولو الذي تبين أنه يتقدم على توقيت لاباز بساعة واحدة فهي هنا الساعة الواحدة.

وكان مما يلفت النظر عند الهبوط أحواش من الطين بجانب المطار ولا أدري لم تكون ولكنها واسعة، وحشائش غير متشابكة بجانب المدرج.

ثم رسم كبير على واجهة مبنى المطار فوق المدخل يشبه إلى حد كبير الرسوم التي خلفها المصريون القدماء.

وقد استوحوه من الفن الهندي الأمريكي القديم وهو فن فيه مما يشبه الفن الفرعوني في مصر أشياء كثيرة حتى في أطرزة البناء وقد ذكرت لمحة من ذلك في كتاب : «على قمم جبال الإنديز».

ودخلت إلى مبنى الاستقبال في المطار فإذا به صغير غير متسع وهناك رجال ثلاثة وقوف يفحصون جوازات الركاب الواصلين، ويختمونها ويسرعون في ذلك.

ولم يتوقفوا عند رؤية جوازي كما يفعل أمثالهم في البلدان البعيدة وإنما أسرع أحدهم بختمه وهو يقول، (دبلوماتو) ووقفت على بعد مترين منهم في قاعة الجمرك والقاعة واحدة للجوازات والجمرك وغيرها في انتظار وصول الأمتعة ومعي بعض الواصلين الذين كان عددهم في طائرتنا لايزيد على ٢٥ شخصاً وانتظرنا فترة طويلة من الوقت قرب سير واحد لايدور أو يتكرر كالموجود في أكثر المطارات وإنما هو سير واحد يقذف بالحقائب من حيث تأتي من خارج المبنى إلى داخل القاعة.

وكان الأمر عند ضابط الجمرك أسهل من الجوازات على سهولته عند الأول فقد ألقى نظرة عجلى على غلاف جوازي وقال: دبلوماسي وهو يشير إلى بوابة

الخروج، والتفت أبحث عن مكتب للفنادق في هذه القاعة، ولكنها كانت أصغر من أن تتسع لذلك وقد تبعت حمالاً هندياً كهلاً حمل حقيبتي فإذا به يقف عند صف لسيارات الأجرة ملاصق للقاعة من الخارج.

فسألته وسألت غيره عن مكتب للفنادق فلم يفمهوا مني ولم يفهموني لأنه لا أحد منهم يعرف الإنكليزية إلا أن سائقًا هنديًا أقترب مني وهو يشير إلى سيارته ويقول: تاكسي؟ فقلت له: إنني أريد فندقًا مناسبًا وهنا رجعت إلى كلمات قليلة كنت أحفظها من الإسبانية فأسعفتني بما أردت لأنني تعلمتها في مثل هذه الأماكن خلال أسفار لي سابقة في أمريكا الجنوبية مثل قولي: (هوتيل سنترو) أي فندق في وسط المدينة.

فقال الرجل: أو تيل قلوريا بلازا دي سان فراتسيسكو سنترو لاباز فقلت له: سي أي نعم ثم سألته قائلاً:

كوانتو؟ بمعنى كم الأجرة؟ فذكر لي رقمًا لم أفهمه إلا أنني طلبت منه أن يحدد ذلك بالدولار الأمريكي فحددها بعشرة دولارات.

النزول إلى أعلى عاصمة:

سألت السائق عن المسافة مابين المطار وقلب المدينة؟ فأجاب: اثنان وعشرون كيلو مترًا وهذه المسافة هي في الحقيقة ليست كما نعرفها في بقية بلدان العالم من السير على طريق ممتدة مستوية وإنما هي في الحقيقة مسافة من النزول من المطار المرتفع الذي هو أعلى مطار في العالم ويبلغ ارتفاعه أربعة آلاف متر إلى أعلى عاصمة في العالم (لاباز) التي يبلغ ارتفاعها ثلاثة آلاف وستمائة متر.

فالفرق بينها وبين المطار في العلو عن مستوى سطح البحر هو أربعمائة متر.

ولذلك فإن مسافة الاثنين والعشرين كيلو مترًا هي في الحقيقة نزول وهو نزول عجيب إذ هو نزول إلى أعلى عواصم العالم.

تحركت السيارة من المطار ولاتزال المناظر تشدني إلى بلاد شمالية بعيدة أهمها كما قدمت هذه القمم الثلجية التي ترى على البعد من كل الاتجاهات التي ينظر إليها المرء وشيء آخر وهو تشابه اللباس في الثقل وبخاصة لباس النساء مابين هذه البلاد وبين بلاد الشمال الباردة في جبال الهملايا مثلاً. فجميع الناس الذين أراهم الآن خارج المطار يلبسون ألبسة ثقيلة ويضعون فوقها رداء صوفياً ثقيلاً يلفونه حول أكتافهم كما يفعل أهل شمال الهند الملاصقة للهملايا وأهل باكستان ممن يسكنون تلك المنطقة.

وحتى وجوه الناس على البعد تذكر المرء بالوجوه المغولية المنتفخة وإن كانت هناك فروق ظاهرة كثيرة.

فالشعب هنا حسبما رأيته الآن في منطقة المطار ويستثنى من ذلك بعض الموظفين العاملين في المطار هو شعب هندي أمريكي أو إن شئت الدقة قلت : هو شعب إنديزي -نسبة إلى جبال الإنديز - لأن الشعب الهندي الأمريكي كما كان الأوربيون الأوائل يسمونه يقطن منطقة ممتدة من شمال كندا والولايات المتحدة الأمريكية إلى تشيلي والباراغوي ولايمكن لمن يقطن هذه المسافة المتباعدة التي تبلغ في بعدها أكثر مما بين مدينة جدة في المملكة العربية السعودية ومدينة نيويورك أن يكون شعباً واحداً ولذلك يلاحظ المرء من الفروق الكبيرة في أفرادها من ناحية المظاهر مايلاحظه من الفروق العظيمة بين الشعوب المختلفة المتباينة بل المتباعدة في الاختلاف فضلاً عن العادات والألوان.

ولقد أرتأيت لنفسي أن أسمي بعض أهالي البلاد الأصلاء هنا بأسماء مميزة عندي لهم عن غيرهم فأسميت هؤلاء الهنود الموجودين في منطقة الإنديز من الإكوادور إلى بيرو بهنود الإنديز.

كما أسميت السكان الأصلاء الذين يقطنون في المناطق الاستوائية الحارة غير العالية في البرازيل وما جاورها بهنود الأمازون نسبة إلى ولاية الأمازون التي

سميت على اسم نـهر الأمازون أكبر أنهار العالم إضافة إلى هنـود الكاريبي وهنود أمريكا الوسطى فضلاً عن الهنود الحمر في الولايات المتحدة وكندا.

في مدينة لاباز :

لم تكد السيارة تنطلق من المطار حتى بدأت النزول إلى المدينة.

واعترضت الطريق بوابة عليها شـرطة يأخذون رسم الدخول فملأ السائق يده من عملتهم وأعطاها الموظف مما بدأ الانطبـاع في الذهن عن انهيار عملتهم أو على الأقل تدهورها بالنسبة إلى الدولار الأمريكي.

وبدأت منـازل المدينة من قرب المطار في السطح المرتفع نازلة من دون كثافة مع الطريق إلا أنها ليست عليه مباشرة وإنما هي تكاد تكون مـعلقة في جوانب هذه التلال التي تحاصر المدينة.



المؤلف في مكان يطل على ضاحية في لاباز

أما المدينة نفسها وإن شئت قلت : قلب المدينة التجاري فإنها في وادٍ سحيق ومن الصعب في الأمر أنني تأملت التلال الواقفة، المحيطة بالمدينة فإذا بأكثرها تلال طينية قد خالطها شيء من الحصى وليست جبالاً صخرية وإنما هي قائمة في الأصل على سفوح هذه الجبال العالية.

وقد زرعوا بعض هذه التلال الطينية بأشجار من أشجار الغابات من أجل تثبيتها ومنعها من الانهيار.



تلة طينية من التلال التي تحيط بمدينة لاباز

وذكرت بهذه المناسبة الشبه مابين هذه البلاد الأمريكية الجنوبية القصية وبين الصين الآسيوية البعيدة فقد كنت شاهدت في مقاطعة (كانسو) التي عاصمتها مدينة (لانجو) في الصين الشعبية تلالاً طينية هائلة الكثرة والاتساع ، وأحيانًا تكون هائلة الارتفاع ووصفتها في كتاب: «داخل أسوار الصين» إلا أنها في الصين تقع في منطقة غير جبلية بخلاف ما عليه الأمر هنا حيث تقع في منطقة جبلية شامخة.

أما طريق المطار إلى المدينة فإنه ينحدر انحداراً سريعاً في طيات متعددة وبالقرب منه تقع بيوت شعبية أكثرها من الفخار غير المطلي بأي طلاء وأكثرها غير سنية المظهر.

هبطنا إلى الساحة التي قال السائق: إنها هي قلب مدينة لاباز كلها وهي (بلازا سان فرانسيسكو).

ولاينبغي أن يظن ظان أن هذه الساحة مسماة على اسم المدينة الأمريكية الشهيرة الواقعة في ولاية كليفورنيا على ساحل المحيط الهادئ وهي (سان فرانسيسكو) فالحقيقة أن الذين سموا الموقعين كليهما بهذا الاسم هم الإسبانيون أو الذين نشأوا منشأهم في الثقافة لأن ولاية كليفورنيا كانت قبل مائة وخمسين سنة مملوكة للمكسيكيين الذين هم كانوا من تلاميذ الثقافة الإسبانية ولاتزال اللغة الإسبانية هي لغتهم.

كان أول ما لفت نظري في هذه الساحة التي كانت مزدحمة بالناس في هذه الساعة وقد تبين بعد ذلك أنها تكون مزدحمة في أكثر الساعات هو منظر الهنديات الأمريكيات بثيابهن الكثيرة المتعددة التي يركب بعضها بعضاً وتطل أسافل بعضها من أسافل الأخرى من دون استحياء وهي فوق ذلك تضع فوق هذه الثياب الكثيرة رداء سميكاً أشبه مايكون بالبطانية، ولابد من أن تغطي رأسها بقبعة عريضة وكثيراً ماتحمل على ظهرها كيساً فيه أغراضها أو فيه ولدها كما تفعل الإفريقيات مع الفارق العظيم في الجو بين المكانين من القارتين.

قاع الحفرة:

عندما تأملت هذه الساحة التي هي مركز مدينة (لاباز) أعلى عاصمة في الدنيا ورأيت التلال تحيط بها تتسلقها منازل المدينة من كل جهة ذكرت الحفرة، وأن (لاباز) في الواقع هي في حفرة من هذه الجبال الإنديزية الشاهقة وذلك رغم علو موقعها وأن هذه الساحة هي كقاع الحفرة.

وعندما ذكرت ذلك لبعض الإخوة من العرب الذين تعرفت إليهم بعد ذلك قالوا: إن ما ذكرته صحيح حقًا فمدينة (لاباز) عالية الموقع بالنسبة إلى وقوعها في جبال الإنديز العالية ولكنها منخفضة بالنسبة إلى الجبال التي تحيط بموقعها مباشرة.

وأضافوا قولهم : إن ميزان جودة الحي أو البيت في هذه المدينة هو في انخفاض موقعه فإذا قالوا: إنه بيت منخفض الموقع فإن معنى ذلك أنه جميل، دفيء بالنسبة إلى ما حوله، ومثل ذلك يقال في الحي من أحياء المدينة كما سيأتي.

وتنهض من هذه الحفرة أو الساحة طرق كلها مرصوفة بالحجارة الصغيرة ولاإسفلت فيها وتجاهد السيارات وهي تصعد معها وكأنها تتسلقها تسلقًا.

أرقام مخيفة :

وصلت فندق (قلوريا) وأنا لاأعرف عنه شيئًا إلا ما عرفته عن معنى كلمة (قلوريا) بالإسبانية التي هي لغة القوم وهو أنه الفوز أو (الجنة) ولكن ما للجنة وهذه المدينة ذات الموقع السيئ الذي هو أبعد ما يكون في الصفات عن صفات الجنة؟ ففيه البرد والمشقة والقشف والخوف من أنهيار الطين والحجارة من سفوح التلال التي تحيط بالمدينة.

وبعد: فإنني لم أكن قد جئت هنا وقطعت المسافات الطويلة ألتمس الفوز أو الجنة في عاصمة بوليفيا فللجنة مفاتيح كثيرة غير السفر إلى أعلى عواصم العالم.

وأول شيء جعلني أعرف أول وهلة بُعْد هذا الفندق المسمي بالجنة (قلوريا) هو الخوف الذي بثه في روعي موظف الفندق عندما سألته عن أجرة الغرفة ذات السرير الواحد فقال: إنها مليونان وثمانمائة وأربعة عشرألف بيزة أو (بيزوس) كما ينطقون بها.

ولك أن تطرح من ذهنك بمعنى أن تبعد هنا وليس من الطرح الحسابي مبلغ المليونين والثمانمائة ألف، وأن تبقى مبلغ أربعة عشر ألفًا فذلك وحده رقم مخيف،

إذْ كيف تسكن بمبلغ أربعة عشر ألفًا ولنفرض حتى أن الأربعة عشر ألفًا هي نوى من نوى التمر - مثلاً - فإنه كثير.

أما إذا أضفت إليه الرقمين الكبيرين وهما مليونان وثمانمائة ألف فإنه يكاد يتبادر إلى ذهنك الخيال بأن كاتب الفندق قد توهم أنك سألته عن قيمة الفندق كله فأخبرك بذلك بدلاً من أن يخبرك بأجرة الغرفة ذات السرير الواحد لليلة الواحدة.

ولذلك بادرته مندهشًا ومسرعًا في معرفة النتيجة قائلاً، أرجو أن توضح المبلغ بالدولار الأمريكي فرجع إلى الأوراق عنده وحسب حسابه ثم قال: حوالي أربعة وعشرين دولارًا بدون الخدمة.

وانقلب الخوف إلى فرح ممزوج بالدهشة، وقلت عجلاً أخشى أن يرجع عن قوله: لا مانع.

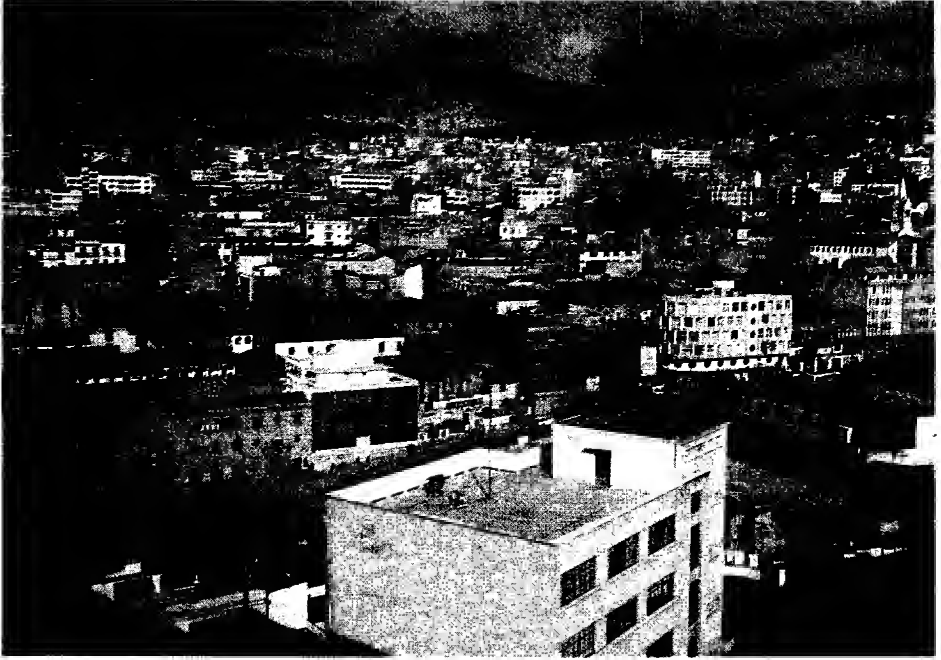
ونقل خادم هندي أمتعتي وأكثر الذين رأيتهم في الفندق من الهنود ماعدا كاتب الفندق وفتاة فيه فهما من أصل أوربي متغير حتى صارا في اللون أشبه الناس بالعرب.

فلما دخلت الغرفة التي تقع في الطابق العاشر من الفندق وجدتها ضيقة إلا أنها نظيفة نظافة فنادق الدرجة الأولى وفيها تلفاز وحمام خاص ومدفأة يحتاج إليها النزيل لاسيما إذا كان قادمًا من بلاد دفيئة مثلي فالجو بارد في كل فصول السنة، وإن كان يختلف شدة وقلة في بعض فصول دون بعض.

ووعدت العامل الهندي أن أعطيه الحلوان (البقشيش) بعد أن أصرف النقود لأنني خفت من الفرق الكبير مابين الفندق والسوق الحرة في الصرف مثلاً، ولم تكن معي عملة صغيرة مقبولة مثل الدولار.

أزحت الستارة عن نافذة في الغرفة فإذا بها تطل أو لنقل: تطل عليها وعلى المدينة قمم جبلية ثلجية ذات قلانس - جمع قلنسوة وهي الطاقية بالعامية - من الثلج الناصع البياض وكان الجو صحوًا لحسن حظي وعرفت بعد ذلك أن الغيم لايكون كثيرًا هنا إلاَّ في فصول معينة من السنة.

وأردت أن أصور قمة من هذه القمم من نافذتي غير أن برجًا لكنيسة إسبانية قديمة مبنية على الطراز الروماني قد حال دون وضوح الصورة من المصورة وإن كانت أظهرت جزءًا لا بأس بمشاهدته من الأبنية في قلب المدينة.



صورة التقطها المؤلف لجانب من مدينة لاباز

ومرة أخرى ذكرت الفنادق التي تطل على نافذتي بقممها الثلجية في أنحاء مختلفة من العالم ومنها مثلاً كاتمندو عاصمة نيبال وسرنقر عاصمة كشمير واورومى عاصمة تركستان الشرقية أو مقاطعة سينكيانغ في الشمال الغربي من الصين، ومدينة إفريقية هي (موشي) في تنزانيا حيث كنت أرى من نافذتي في فندق لغفقستون الذي غيروا اسمه بعد الاستقلال إلى الفندق الوطني كنت أرى قمة جبل كلمينجارو ذات القلنسوة البيضاء وهو يشبه بها الهرم - وهو الرجل المسن - الإفريقي الذي شاب رأسه فالجبل يبدو على بعد أسود اللون.

وعجبت من تقلب الأمور وتصاريف الدهور التي تيسر لي فيها أن أرى من أنحاء العالم ما رأيت وحمدت الله تعالى على ذلك.

ثم نزلت إلى قاعة الاستقبال فوجدت مكتباً مزدحماً بالناس كتبوا عليه أنه لصرف النقود فقلت: لأجرب صرف الدولار بنقد قليل فأخرجت عشرة دولارات أمريكية وأعطيتها العاملة فيه فأسرعت تعطيني نقوداً كثيرة لم يتسع لها كفي، وضاق بها جيبي.

فأسرعت إلى الغرفة لأحصيها عداً لأنني لم أرد أن أنشر هذه النقود الكثيرة أمام الناس وغفلت عن كونها كلها ثمن عشرة دولارات فقط.

فإذا بي أجدها مليوناً ومائتين وخمسين ألف بيزة بواقع مائة وخمس وعشرين ألف بيزة بالدولار الواحد.

والغريب أن فيها أوراقاً مسكوكة حديثاً من فئة خمسين ألفاً مما يدل على أن هذا الانهيار أو الانحسار لقيمتها قد بدأ منذ فترة ولذلك سكوا هذه الأوراق الكثيرة الأرقام.

وكان من الصعب علي أن أحمل قيمة هذه الدولارات العشرة في جيبي من دون أن ينتفخ بها فتركتها في الغرفة.

وترحمت على بيزة الأرجنتين التي كانت عندي المثل الأسفل في الانهيار فقد كنت صرفت الدولار في مطار بوينس آيرس قبل ثلاث سنين بأربعة عشر ألف بيزة وشيء من المئات وقيل لي بعد ذلك أن الدولار ارتفع حتى أربى على سبعين ألف بيزة.

وإن الحكومة الأرجنتينية عالجت تضخم هذه الأوراق بإلغاء مابعد الصفر الأول من قيمة الأوراق المالية فألغت مثلاً الصفر الثاني من فئة (٢٠٠) بحيث أصبحت تساوي عشرين، كما ألغت الأصفار الأربعة من الورقة التي كانت قيمتها مائة ألف لتصبح قيمتها بعد ذلك عشر بيزات فقط.

ولقد رأيت بنفسي عند مازرت الأرجنتين قبل خمسة أشهر أوراقًا من ذوات المائة ألف أعطاني إياها عامل في مقهاة مع مجموعة من الأوراق فرقًا لنقد قليل بقي من قيمة فنجان من الشاي شربته في تلك المقهاة.

أول نظرة :

جربت بنفسي أن النظرة الأولى التي يلقيها الغريب على البلد الذي يحل فيه وساكنيه تكون في الغالب نظرة صائبة لأن عينيه تكون خالية من تأثير مناظر سابقة عنه أو لنقل إنها لم تكن قد ألفت النظر إليه لذلك يكون حكمها عليه شاملاً لرؤية التفصيلات حتى الصغيرة.

وكان أول انطباع عن السكان الذين رأيتهم في مجموعات كبيرة تكاد تزدحم بها هذه الساحة الرئيسية غير الواسعة من قلب المدينة هو أنهم شعب هندي أمريكي من هنود الإنديز فهم في هذا يخالفون سكان عواصم أمريكا الجنوبية كلها إذْ لم أمر بسكان عاصمة أكثرية سكانها من الهنود الأمريكيين غير هذه وإن كانوا يوجدون بنسبة لابأس بها في كيتو عاصمة الإكوادور وفي (ليما) عاصمة بيرو، وفي (بوغوتا) عاصمة كولومبيا.

ووجودهم بكثرة في هذه العواصم الأمريكية الجنوبية هو الأمر الطبيعي لأنهم أهل البلاد الأصلاء غير أن المستعمرين والمغامرين ثم المهاجرين من الأوروبيين قد كاثروهم فكثروهم في سكناها.

ولكن بقيت هذه العاصمة البوليفية هي الشاهد الظاهر في العواصم الأمريكية على كثرة السكان الأمريكيين الأصلاء وربما كان ذلك بسبب اعتصامها بهذه القمم الثلجية من جبال الإنديز الذي جعل من الصعب على الأجناس الأخرى أن تشعر بالراحة في سكناها.

ويتميز الهندي الأمريكي (الإنديزي) الموجود في هذه البلاد وما قرب منها بقصر الجسم وغلظه بمعنى عدم النحول في الأجسام وذلك أمر عجيب إذْ هم قوم

جبليون محتاجون للتنقل في هذه المناطق الوعرة وهذا قد يناسبه الجسم الخفيف والقوام المشوق كالذي يكون لدى البدو من سكان الصحراء إلا أن الأمر يختلف هنا فالقوم غلاظ الأجسام وقل أن ترى فيهم نحيلاً بل لقد وقفت فترة في هذا اليوم أرقب الرائحين منهم والغادين فما رأيت فيهم نحيلاً قط، وكنت فعلت مثل ذلك في مناطق أخرى من المناطق التي يسكنونها.

وكما يتميز الهندي المذكور بكبر الوجه وسعته وصغر العينين وميلهما إلى الضيق ولكن دون أن يكون ذلك بشكل ظاهر كما هو عليه الحال عند أهل الصين ومن جاورهم، وإنما عيون هؤلاء غيروا سعة وقل أن تجد فيهم من هو ذو عينين واسعتين.

والميزة الظاهرة التي لايخطئها الناظر لهم هي قصر الرقبة فقل أن تجد فيهم من يسميه العامة عندنا بالأرقب وهو الطويل الرقبة الذي يبعد رأسه كثيرًا عن كتفيه بل إن بعضهم تكاد تسارع إلى القول بأنه لارقبة له إذا رأيته مدبرًا عنك وإن كان الواقع خلاف ذلك فهم مثل غيرهم من الناس في هذا الأمر غير أن رقابهم قصيرة.

إلاَ أن الشيء الظاهر أن رءوسهم ليست كرقابهم فهي تكون عادة كبيرة كبراً لافتًا للنظر بالنسبة إلى حجم باقي الجسم.

وماذا عن النساء؟

والكلام هنا عن نساء الهنود الأمريكيين لأنهن الأكثر عددًا هنا في (لاباز) وهن الأكثر إلفاتًا للنظر.

والواقع أنهن يبدين في شكل عجيب غريب فهن قصار كالرجال أو أشد قصراً ومع ذلك يلبسن من الملابس الكثيرة المترادفة مايعجب له المرء ويضعن فوق ذلك رداء – بطانية – من الصوف أو مايشبه البطانية منه، ويعتمرن فوق رءوسهن قبعات تكاد تكون ضرورية لهن.

وكثيرات منهن إن لم نقل أكثرهن وبخاصة من سكان الضواحي البعيدة يضعن أطفالهن علـى ظهورهن كما تفعل الأفريـقيات أو يحملن حوائجهـن وأشياءهن على ظهورهن في كيس مربوط عليها.

ومـن العـجيب الغـريـب في أمـر هؤلاء الـنسوة الهـنديات الأمـريكـيات أيضاً محـافظتهـن على زيهـن الوطني المـوروث لايبغين بـه بديلاً رغم بـعده الشديـد عن الرشاقة ومنافاته للأناقة، وهن في أمر المحافظة على اللباس أكثر من الرجال.

وهؤلاء الهنود لـهم الأكثرية في هذه العـاصمة وتأتي بعدهم أنـسال الأوروبيين الجنوبيين الخلص بخاصة من الإسبانيين والإيطاليين على قلة ظاهرة في ذلك.

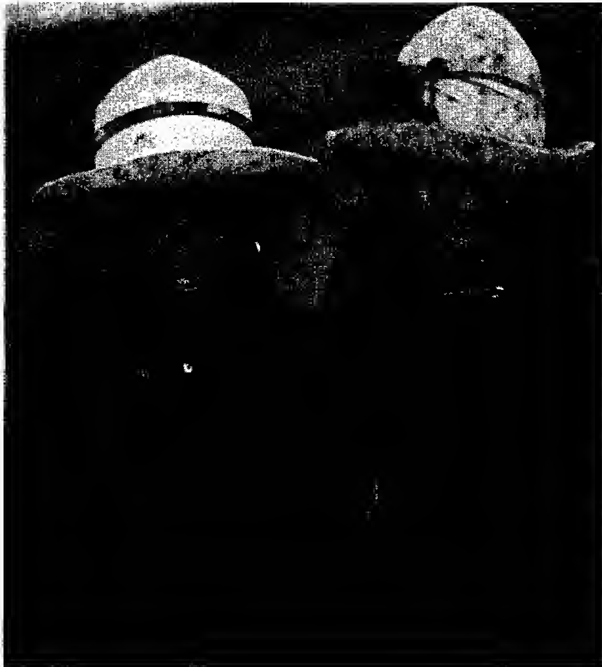
ثم يأتي المختلطون بـين الصنفين وعددهم قليل ولكنهم أكـثر وجاهة من الجنسين الخالصين المذكورين.



أمرأة من بوليفيا تحمل ولدها على ظهرها

والطابع الواضح على الألوان هو السمرة التي يعرف الناظر أن أصلها من الشمس وليست من أصل النسل وذلك أن الشمس بحكم موقع هذه البلاد من خط الاستواء تعتبر أشعتها نازلة عمودياً أو مايقرب من ذلك وهي إذا كانت كذلك فإنها تصبغ الأجساد بالسواد، ولكن موقع هذه البلاد في جبال الإنديز العالية جعل الشمس غير حارة والهواء بارداً، وجعل الناس بالتالي يعرضون أنفسهم للشمس يستدفئون بها فتؤثر في ألوانهم من حيث لايشعرون بحرارتها.

ولذلك يجد المرء أن هؤلاء الهنود الأمريكيين (الإنديزيين) ونقول مرة أخرى إن صحت هذه النسبة يشبهون في ألوانهم ألوان العرب الجنوبيين وهم بذلك يقلون بياضاً وإشراقاً في اللون بكثير بل بفرق واضح عن الأوروبيين اللاتينيين المتغيرين الذين يساكنونهم في هذه البلاد أو البلاد المجاورة لها.



من أطفال الإنديز في لاباز

وخلاصة القول إننا إذا أضفنا إلى عجائب خلق الناس في هذه البلاد عجائب الخلق في الموقع والجبال فإننا نسارع إلى القول بأن بوليفيا تستحق ممن يحبون السياحة أن يشدوا إليها الرحال، وينفقوا في ذلك مايتطلبه من المال.

في مطعم الفندق :

ولو كان موقع المطعم معتادًا لما استحق أن يذكر فضلاً عن أن يخصص له عنوان، ولكنه في الحقيقة أشبه مايكون ببرج المراقبة في هذه البلدة العجيبة، فهو يقع في الطابق الثاني عشر من الفندق ويطل من جدار زجاجي صافٍ على قاع الحفرة وهو وسط مدينة (لاباز) أو (السنترو) كما يسمونه بالإسبانية ثم يستجلي المرء منه منظر الأبنية المتعددة الطوابق الواقعة في مركز المدينة وفوقها المنازل المتنوعة التي تتسلق سفوح هذه التلال المحيطة بقاع الحفرة إلا أن المنازل تعجز عن أن تطاول التلال التي تحيط بقلب المدينة فتقف دون قممها.

كان قصدي من دخول المطعم هو شرب فنجان من الشاي فيه ولكن انضم إلى ذلك التمتع بهذا المنظر الأخاذ من مدينة (لاباز) العجيبة.

أما الشاي فإن قصته من حيث الثمن ليست كقصة غيره فقد أحضر العامل ورقة الحساب للشاي وحده فإذا بها واحد وستون ألف بيزة، ويساوي ذلك حوالي نصف دولار أمريكي فأعطيته ورقتين من فئة خمسين ألف فرد علي الباقي منهما وهما جميعًا أقل من الدولار الأمريكي الواحد وهو تسعة وثلاثون ألف بيزه ملأت جيبي بينها ٢٩ قطعة من فئة ألف بيزه والباقي أقل من ذلك، وقد أودعتها حقيبتي الكبيرة لأحملها إلى بلادي ذكرى البقية من قيمة الدولار الواحد في مدينة لاباز.

ومع طرافة هذه القيمة للشاي وكثرة الأوراق التي دفعت أو استحقت أن تدفع ثمنًا له، فإن المنظر من نافذة المطعم التي هي في الحقيقة أشبه بالجدار الزجاجي لأنها مؤلفة من عدة نوافذ لايستطيع البصر أن يفارقه بسرعة، ولقد فعلت ذلك وبقيت مدة أستملي منظره، وأستجلي مخبره من موظف يعرف كلمات محدودة

بل معدودة من الإنكليزية فهكذا عامة القوم في أمريكا الجنوبية لايتعلمون من اللغات الأجنبية مايتعلمه غيرهم أو هم يتعلمون ولكنهم يضيعونه لأنهم لايستعملونه، والاستعمال هو أساس حفظ اللغات في الذهن كما هو معروف.

والتقطت صورة بل صوراً له وذكرت وأنا كذلك أن وضع هذه المدينة العجيبة معاكس لوضع مدينة أخرى تقع في قارة أخرى أو هي بالأحرى لاتقع ضمن القارات وإنما هي في جزيرة ملحقة بالقارة الإفريقية إلحاقاً وهي جزيرة مدغشقر والمدينة هي عاصمتها (تاناناريف).

وقد بدأت العمارة فيها بقصر لملكة من ملكاتها بنته على قمة تلة جبلية، وأمرت رجالها ومن يريد من بني قومها أن يبنوا منازلهم حوله، فجعلوا يبنون ويهبطون بالبناء عكس ماهو معتاد بأن يبدأ البناء بالسهول ثم يصعد إلى التلال قالوا: فجعل الناس يبنون حول قصر الملكة الذي بنته في قمة التلة الجبلية من أجل الامتناع على المغيرين وهم ينزلون إلى الأسفل حتى بلغ سكانها الذين بنوا على هذه التلة ما مجموعه ألف شخص فأسموها (انتانانا ريفو) بمعنى بلدة الألف شخص.

وخفف اسمها بعد ذلك في الكتابات الدولية إلى اسم (تاناناريف): اختصاراً.

مع الإخوة العرب:

لم أكن قد حملت معي من المملكة عنواناً لأي شخص أو مؤسسة في بوليفيا ولا في البارغواي وذلك لقلة مالدينا من الاتصال بهذين البلدين حتى التمثيل السياسي للمملكة العربية السعودية لايوجد فيهما منه شيء بخلاف أرغواي التي توجد لها سفارة في المملكة ويعمل السفير السعودي في البرازيل سفيراً غير مقيم للمملكة في الأرغواي والمهم عندي هو عنوان الشخصيات الإسلامية لأنني أعرف أنه لاتوجد في البلدين مؤسسات إسلامية رسمية فعرضت الأمر على السفير الحصيف (عبدالله صالح حبابي) سفير المملكة العربية السعودية في البرازيل فأسرع ذهنه النشط إلى الحل وقال لي: الآن أتكلم مع مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية

في برازيليا وهو يتصل بمكتب المنظمة في (لاباز) وهكذا عاد الأمر بعد قليل إلى أخذ عدد من هواتف الإخوة الفلسطينيين المقيمين في (لاباز) فضلاً عن هاتف ممثل منظمة التحرير الفلسطينية (جورج سلامة) واقترح ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في البرازيل أن يهتف بممثل المنظمة هناك ليستقبلني مع بعض الإخوة العرب هناك في المطار ووافقه السفير ولكنني لم أوافق، وقلت إنني أفضل أن أصل وحدي دون أن يساعدني أحد فذلك هو الذي يعطيني الفرصة لمعرفة أحوال البلاد وكيف يستقبل أهلها الأجانب ويعاملونهم من دون تصنع.

ولقد هتفت قبل المغرب بهاتف الأخ صلاح بزبزى أحد الفلسطينيين فلم يرد، فهتفت بهاتف الأخ أحمد الصباغ ولم أكن أعرف أي شيء عن أحد منهما، وقد تبين لي بعد ذلك أن الأخ أحمد الصباغ هو أكثرهم وجاهة وأعلاهم مقاماً، وربما كان من أكثرهم ثراء.

وعندما هتفت به ردت علي امرأة لاتعرف العربية ولاتتكلم الإنكليزية إلا كلمات لا تغني من عوز وذكرت أنه غائب عن المكان.

وبعد فترة هتفت ثانية فأجابني الأخ أحمد الصباغ بنفسه فعرفته بنفسي وبالغرض من مجيئي وأنني مسافر إلى (اسنسيون) عاصمة الباراغواي بعد غد السبت.

فقال: إنني سوف أحضر إليك بعد قليل.

ثم جاء في السابعة مساء وقال إن التي كلمتك هي (السكرتيرة) وهي لاتعرف العربية.

مضايقات الموقع المرتفع :

بعد أن انتهى الحديث المهم مع الأخ أحمد الصباغ واتفقت معه على أن يبدأ برنامجي في صباح الغد لأنه لايمكن عمل شيء منه الليلة.

أخذ يعيد النظر إلى وجهي وهو يقول: الحمد لله لم أر في وجهك ولافي مظهرك مايدل على أن موقع (لاباز) المرتفع قد أثر فيك وهو يؤثر عادة في الغرباء الذين يصلون إليه أول مرة ويبقى هذا التأثير أو التأثر معهم فترة قد تستمر أسبوعين وربما استمرت شهرًا، حتى يتعودوا عليه، وبخاصة من يشتكي من ضغط الدم المرتفع.

وذلك لنقص الأوكسجين الظاهر في هذا الارتفاع العالي.

فقلت له : إنني بفضل الله لا أشكو من ارتفاع في ضغط الدم، ولم أشعر بشيء مما ذكرته من المضايقات.

فقال: هذا طيب ولكن هناك شيء مهم هنا وهو الهضم فهو صعب بالنسبة لمن يكونون وصلوا منذ وقت قريب إلى هذه المدينة فأنصحك ألا تأكل هذه الليلة إلا أكلاً خفيفًا لأن الوجبة الثقيلة لاتهضم هنا بشكل معتاد ثم عليك أن لاتتعب نفسك ولا تتمشى بل تستريح في هذه الليلة.

فشكرته ثم ودعته وانصرف.

وكنت بحاجة إلى الأكل إذ آخر عهدي بالطعام كان الفطور في هذا الصباح في فندق (سان باولو) بالبرازيل وأما الغداء فلم آكله بسبب وجود الخنزير في جميع أطباقه.

فسألت أهل المطعم عن السمك فلم يفهموا لي كلاماً حتى تطوع شخص على إحدى الموائد وجاء ليترجم إلى الإنكليزية وأخبرني أنهم يقولون: إنه لايوجد عندهم سمك في المطعم ولاطعام خفيف وإنما هو شواء البقر أو الخنزير، فطلبت شواء البقر وأمعنت فيه وما معه أكلاً للحاجة إليه ولم أبال بنصيحة الأخ (أحمد الصباغ) مادمت لم أشعر بمضايقات الجو المرتفع حسبما ما علمته من نفسي، وحسبما قال لي: إن ذلك هو مايظهر له من أمري ثم اطرحت نصيحة له أخرى في عدم المشي إذْ لم أستطع مغالبة الرغبة في رؤية هذا الجزء من قلب المدينة

التجاري في الليل وهو الذي يقع فيه فندقي فخرجت أتمشى في شوارعها بعد أن خف منها المرور فرأيت المحلات التجارية فيها معتادة لاتصل إلى درجة أن تكون فاخرة، ولاهي بالرديئة ولكن العجب لم يزل يتزايد في نفسي لرؤية أهل هذه البلاد من الهنود وبخاصة من نسائهم وبملابسهن التي يركب بعضها بعضاً يمشين مشية فيها من مشية الأوزة الشيء الكثير فهي قصيرة الخُطا وهي تتمايل في مشيتها قليلاً ذات اليمين وذات اليسار.

ورأيت فيهن عادة من عادات الإفريقيات غير حمل الولد في خرقة يربطه خلف الظهر وهي كثرة امتهانهن عرض بضائع صغيرة يبعنها على الأرصفة وفي الميادين العامة مثل ما رأيته من إحداهن وقد جلست فوق الرصيف أمام مقدار قليل من التين الشوكي الذي نسميه البرشومي وقد قشرته وهو أحمر اللون، وشوكه أقل في المظهر من شوك الموجود في بلادنا، وربما كانت هذه العادة وهي عادة امتهان المرأة ببيع أشياء صغيرة شائعة عند الشرقيات من الآسيويات الجنوبيات أيضاً كالتيلانديات مثلاً.

وقد اشتد البرد عندما حل الليل فعرفت بذلك الحكمة في لبس الهنديات هذه الثياب التي يركب بعضها بعضاً فهن يحتجنها لمثل هذا الوقت.

وبخصوص السير في شوارع المدينة في الليل وكنت بدأت المشي في التاسعة فإن الأخ أحمد الصباغ وهو فلسطيني من القدس وعضو في المجلس الوطني الفلسطيني وحضر جلسة المجلس الأخيرة التي عقدت في عمان قد قال لي: إنك لو أتيت إلى (لاباز) في الأسبوع قبل الماضي لما استطعت أن تستمتع برحلتك لأنه كانت هناك اضطرابات بحيث لم تكن توجد حافلات تسير ولاسيارات وذلك بسبب الفوضى والتفجيرات التي قام بها العمال.

أما الآن فقد رأيت الناس في حالتهم المعتادة، ولاأحد يعترض أحداً أو يسيئ إليه، وهناك شيء له معنى مهم وهو أنني رأيت النساء يسرن في الشوارع

وحدهن من دون أن يظهر عليهن أي خوف و هو أمـر لاتقدم عليه النساء في كثير من مدن العالم في الـليل، إلاً من كن منهن يردن ذلك من محـترفات الشوارع في الليل وعددهن قليل.

ولم أر هنا في وسط هذا الميدان التجاري شيئاً يـتعلق بالمباذل أو الإفعال المشينة، وقد سألـت إخواني العـرب بعد ذلك فـأجابوا: إن ماذكـرته هو صـحيح ولكن لـيس معنى ذلـك أن القوم مبرأون منه وإنما تـوجد للساقطين من الـناس ذوي المباذل أو الأفعال الدنيئـة مناطق معينة ليس منـها هذا الذي رأيته ومما يزيد التـعب في السير في شـوارع هذه المديـنة المرتـفعة جدًا أن شوارعهـا ليست مسـتوية بـل هي ترتـفع وتنخفض حسب طـبيعة الأرض فيجهد المرء في الصعود مع الـشوارع المرتفعة مع أن مجرد وجوده جـديدًا في هذه المدينة الـتي يرتفع قلبهـا عن مستوى البحـر بثلاثة الآف وستمائة متر هو في حد ذاته متعب.

واللافت للـنظر أنك ترى المرأة الهنـدية الأمريكية وهي تـسير في ثيابها الـكثيرة كأنها خيمة صغيرة متحركة تكون قد حملت ولدها على ظهرها وهي بدينة بطبيعتها ومع ذلك قد تكون معـها أشياء أخرى تحملها وهي تصعد فـي هذه الشوارع لاتبالي بذلك، ولاشك فـي أن لنشأتها علـى ذلك وتعودها عليه أثـرًا في تحمله، كما يـتحمل الرياضيـون مثلاً التعب الجسمـاني الكبير أكثر مـن غيرهم، وكما يتحـمل الجو من يعيشون في بلاد شديدة الحرارة أو البرودة قسوة الطقس في بلادهم.

وعدت إلـى الفنـدق في حوالـي الحادية عـشرة مـن دون أن أشعر بـضيق غـير البرد الـشديد ونمت إلا أنـني صحوت فـي منتصف الـليل علـى ضيق لم أعـرفه في بطـني حاولت أن أصـبر أو أتصـبر عليـه ولكن الأمر اشتد بي وفـارقني النـوم مع البرد الشديد في داخل الغرفة.

وطلبت ماء معدنـياً غازيا فخفف مما بي بعض الشيء إلا أنـني لم أنم إلا متكدرًا في آخر الليل، وكانت هذه نتيجة مخالفة نصيحة المجرب الأخ أحمد الصباغ.

يوم الجمعة ١٤٠٥/٧/٨هـ - ١٩٨٥/٣/٢٩م

صباح بوليفيا :

صعدت إلى مطعم الفندق في الطابق الثاني عشر وأنا أتمايل من السهر والتعب غير أنني ماأن أخذت مكاني حول إحدى الموائد وأطلقت لبصري العنان في موقع (لاباز) الفريد حتي نسيت كل شيء بحيث أن عامل المطعم الذي جاء إليَّ اضطر إلى تنبيهي بأنه كان واقفًا فأخبرته بما أريد بعد أن أكدت عليه ألا يقربه خنزير لأن القوم في أمريكا الجنوبية من أكلة لحم الخنزير بكثرة ربما لاينافسهم فيها إلاكفار الصينيين.

ثم أعدت النظر إلى المنظر والشمس مشرقة وإن كان الجو باردًا في هذا اليوم فقد تجلت حالة البيوت التي تتعلق بهذه التلال المحيطة بالمدينة، ثم يعجزها التعلق فتقف دون أن تبلغ قممها إلا أن أكثر هذه البيوت غير بهيج المنظر، فطلاؤها غير مشرق، بل بعضها قد ترك دون طلاء، والأبنية القديمة المهمة مثل الكنائس التي بناها الإسبانيون قد تركت من دون تحسين في مظهرها حتى أصبح طلاؤها باهتًا.

والناس يتشمسون أي أنهم جالسون في الشمس، وبعضهم من الهنود الكبار في السن وقد مدوا أرجلهم في الشمس، كما كنت قد عهدت قومنا من كبار السن يفعلون ذلك في أيام الشتاء الباردة في بلادنا في القديم عندما كانت الألبسة الثقيلة غير متيسرة إلا للأغنياء.

ووقر في ذهني قرب الشبه بين أهل هذه البلاد وبين البلاد التي تقع بالقرب من جبال الهملايا لاسيما مع رؤية الذين يخدمون في المطعم وكلهم من هؤلاء الهنود الأمريكيين السمر الألوان الثخيني الوجوه مع وجنات عالية وقامات تميل إلى القصر.

وعلى ذكر الغلظ في الوجوه عند هؤلاء الهنود الأمريكيين أقول: إن أخلاقهم ليست كذلك فهي رقيقة لطيفة، وطبائعهم لاتميل إلى الخصام أو المشاكسة.

فهم في الأمر الأول يختلفون عن هنود الأمازون الذين لالطف في طباعهم عندما يتعلق الأمر في التعامل مع الأجنبي وبخاصة من يعتبرونهم من البيض الذين استولوا على بلادهم وقد رأيت ذلك واضحاً فيهم في البرازيل وفنزويلا.

كما أنهم يخالفون الهنود الحمر في أمريكا الشمالية في ميلهم للقتال وشدة شكيمتهم.

أؤ هذا هوماينطبع في ذهن الغريب القادم إلى البلاد الأمريكية لأول وهلة.

وقد جاء العامل بثمن الفطور للتوقيع عليه وهو كامل إلا أنه دون البيض، وكتب قيمته على الورقة مائتين وتسعة وتسعين ألف بيزة ويساوي ذلك دولارين وربعاً أو ثمانية ريالات وربعاً من ريالاتنا السعودية، وهو رخيص جداً برغم ضخامة أرقامه بالبيزة.

وقد وقعت على الورقة وأخرجت من جيبي ورقة بخمسين ألف بيزة تركتها للخدم على المائدة فشكروا ذلك وانحنوا انحناءة طويلة علامة الاحترام مع أن المبلغ يقل عن نصف دولار أمريكي.

ثم نزلت إلى ما حول الفندق وهو الذي رأيته في الليل أتمشى فيه بالنهار فإذا بالبرد شديد مما اضطرني إلى العودة إلى الفندق ولبس (صدرية) من الصوف ذات أكمام كنت قد اصطحبتها معي من أجل التوقف في باريس لمدة يوم في الطريق من المملكة إلى البرازيل ولم أكن أظن أنني سأحتاج إليها في غير باريس ولم أحتج إليها بالفعل إلاّ في هذه البلاد البوليفية، ويشبه البرد هنا في الصباح برد الشتاء في نجد، كما أنه يشبهه في الفرق في الجو مابين الصبح ووسط النهار.

وقد فعلت الهنديات بأطفالهن اللآئي يحملنهم على ظهورهن شيئاً لم أره بالأمس وهو أن تلف المرأة ولدها وهو على ظهرها قد ألبسته ملابس ثقيلة ولكنها تلفه أيضاً بالرداء الصوفي الذي تلف به جسمها فوق ثيابها ويشبه البطانية كما قدمت.

هذا مع أنها قد تكون جالسة في الشمس أمام بضاعتها الصغيرة تبيعها على الناس.

وقد بكرن إلى عرض بضائعهن مع أن أهل الحوانيت لم يفتحوا حوانيتهم بعد، وربما دل هذا على أن حياتهن لاتزال حياة ريفية أو تشبه الريفية ولو كانت في المدينة وذلك من حيث عدم السهر والتبكير – نتيجة لذلك – في الذهاب إلى العمل.

وقد يكن فعلن ذلك عن اضطرار لا عن اختيار بسبب عدم وجود آلات التسلية وقطع الوقت في بيوتهن مثل التلفاز، وعدم القدرة على ارتياد الملاهي، أو محلات السهر في المدينة.

ولم ينقض عجبي عندما رأيت الماشيات وهن كثيرات يسرن الهوينا يقاربن الخُطا، ويتمايلن كما تفعل الأوزة غير الرشيقة فهن غير رشيقات أيضًا من لباسهن الثقيل ومن أجسامهن غير الخفيفة أيضًا.

والغريب أنني شعرت هنا شعورًا عظيمًا بالفرحة لشيء ربما لايأبه له بعض الناس فضلاً عن أن يفرح به أو يحزن له، وهو أن هذا الشعب الهندي الأمريكي الأصيل موجود في أصله العنصري هنا نقيًا لم يجهز عليه الغزاة الأوربيون فذلك له فائدة تاريخية فضلاً عن المتعة التي يحس بها المرء وهو يرى شعبًا غريبًا عريقًا متميزًا بتقاسيم خاصة وخصائص مظهرية وهو سليل أقوام كانت لها أو لأبناء جنسها من شعب الإنكا الأمريكي العظيم حضارة قامت منفردة بنفسها منعزلة عن بقية حضارات العالم لم تتأثر بها، ولم تؤثر فيها فصارت ذات طابع فريد.

والفرحة هي لهذا الأمر ولا مجال لابتغاء الجمال، أو وجاهة المظهر هنا بالنسبة لذوي الذوق العربي القريب من الذوق الأوروبي في مقاييس الجمال، فالشعب الهندي هنا جميع مظاهره وخصائصه توحي بالطيبة وعدم إرادة الشر أكثر مما توحي بالجمال والوجاهة.

ولكن لاينبغي أن يسارع القارئ الكريم إلى فهم هذه العبارة بأن هذا الشعب الهندي الأمريكي ليس فيه من الجمال شيء بل هو في نظرنا ونكرر القول بأن مقاييس الجمال عندنا هي التي نثبتها هنا وربما كانت لشعوب أخرى مقاييس للجمال مغايرة لما هو لدينا.

إن هذا الشعب أكثر وجاهة وجمالاً من سكان جنوب شرقي آسيا مثلاً أو حتى من بعض الأجناس المغولية التي تشبهه في المظهر شبهاً عاماً، وإن تكن هناك فروق كثيرة بين الجنسين فتبارك الله أحسن الخالقين.

جولة في لاباز :

معنى اسمها (دار السلام) مثل اسم بغداد عاصمة الخلافة العباسية إبان المجد الإسلامي الذي ضيعناه وهو مشابه لاسم (دار السلام) وهي العاصمة الحالية لدولة تنزانيا في شرقي إفريقية.

(فباز) بالإسبانية تعني سلام و(لا) هي أداة التعريف عندهم لمثل هذه المعنى مثل - ال - التعريفية عندنا، والترجمة الحرفية لاسم (لاباز) هي (السلام) ولكن المقصود من ذلك أنها دار السلام أو مكان السلام كما هو ظاهر.

وربما كان هذا الاسم فيه غرابة بالنسبة إلى موقع المدينة فأهلها من موقعها غير المناسب في تعب ومشقة وذلك ينافي السلام الذي يعني السلامة من المتاعب والمشكلات.

غير أن السلام الذي يعني الأمن وقلة الجرائم هو موجود هنا فالبلاد آمنة إلا أن الفقر قد يدفع كما قال لي إخواني العرب ببعض الناس إلى ارتكاب بعض الجرائم ولكنها قليلة نادرة، وأكثرها يتعلق بالحصول على قليل من المال وليس هدفها الحصول على أموال طائلة عن طريق الإجرام.

ثم إن هناك شيئاً ينبغي أن يذكر بين يدي الحديث عن الجولة وهو أنني كررت في السابق القول بأن (لاباز) هي عاصمة (بوليفيا) وهذا هو المعروف عند الناس

في الخارج ولذلك جاء قولهم الذي يشبه المثل السائر: إن (لاباز) أعلى عاصمة في العالم، وهذا أمر معروف مشهور في الخارج إلا أنني وجدت بعض الناس هنا يزعمون أن (لاباز) لاتسمى العاصمة عند أهل (بوليفيا) وإنما العاصمة بلدة أخرى أصغر منها واسمها: (سكري).

هذا مع العلم بأن تعريف العواصم الدولي ينطبق على (لاباز) ولاينطبق على تلك البلدة ومن ذلك أنها مقر الحكومة وفيها الوزارات المهمة المختلفة وهي مقر رئيس الجمهورية وفيها السفارات الأجنبية.

ولذلك لن نخشى من الخطأ إذا استمر قولنا بأن (لاباز) هي عاصمة بوليفيا لأن ذلك هو الواقع.

كانت الجولة في مدينة السلام - لاباز - مع الأخ الكريم (زياد الصباغ) وهو أخ للوجيه الأخ الفلسطيني أحمد الصباغ الذي جاء إليّ في الفندق الليلة البارحة وهذا شاب أقل شغلاً من أخيه أحمد الذي يملك مصانع تحتاج إلى إشراف وإدارة.

ركبنا مع الأخ زياد بسيارة له ألمانية من طراز (مرسيدس) فكان أول ما مررنا به شارعاً يسمى (بانا كوشا) فيه محلات تجارية متعددة لأبناء الجالية العربية من فلسطين ولبنان، وعليه (عمارة) للأخ أحمد الصباغ.

وتجولنا في وسط المدينة القديمة فلاحظت أن شوارعها كلها تخلو من الإسفلت وإنما هي مرصوفة بقطع من الحجارة حتى الأرصفة هي مبلطة بقطع كبيرة من الحجارة فقال الأخ زياد إن السبب في ذلك أن الأرض هنا ليست قوية بل طينية ومع انحدار شوارع المدينة وارتفاعها وقسوة الجو فيها فإن الأسفلت يتشقق ويتلف بسرعة لذلك يرصفونها بالحجارة.

في ميدان الحمام :

والحمام هنا بتخفيف الميم ويراد به الحمام الطائر وليس هذا هو اسم الميدان وإنما هذه التسمية من عندي فاسمه (بلاسا موريليو) وموريليو: قائد من قواد بوليفيا اشتهر في إحدى المعارك التي جرت في الباسفيك وبلاسا: تعني الميدان بالإسبانية.

وقد أسميته (ميدان الحمام) لأن الحمام يأتي إلى الجالسين فيه حين يطعمونه فيقع قريبًا منهم لأنه قد تعود هنا أن لاينفر أو يذار.

وهو ميدان صغير إلا أنه مهم إذْ تقع عليه رئاسة الجمهورية ويتوسطه تمثال (قلوريا) وكلمة (قلوريا) باللغة الإسبانية تعني الفوز.

قد كتبوا عليه هذا الاسم وموقعه في قلب المدينة وقد أكثروا فيه من الكراسي المريحة من أجل الجلوس لمن يأتون للمدينة من ضواحي بعيدة، ويحتاجون إلى الراحة ولقد أعجبني فيه منظر نادر بالنسبة إليَّ ألا وهو جلوس امرأتين هنديتين أمريكيتين على كرسي والحمام (البوليفي) ولانقول: الهندي فلا يذهب الظن بالقارئ الكريم إلى أن المراد بالهند هنا هند الهنود الآسيويين، وأردت التقاط صورة لهما، فقال الأخ زياد إن الأفضل أن التقط لك صورة معهما ولكي يبدو الأمر طبيعيًا ولايحتاج إلى استئذان منهما يمكنك أن تجلس وتنثر للحمام شيئًا من الحب فيقترب منك وكان هناك صبية يبيعون قليلاً من الحب لمن يريد أن ينثره للحمام.

وكان الجلوس طبيعيًا فهو مكان مشمس والناس يلتمسون الدفء من الجلوس في الشمس مع أن الوقت ضحى والملابس كلها ثقيلة ومنها ملابسي.

والتقطت هذه الصورة النادرة بالمجان ومن دون استئذان.



في (ميدان الحمام) لاباز

قال الأخوة العرب: إن المرء لم يكن يستطيع الاقتراب من هذه الساحة قبل أيام لأن العمال الذين كانوا يقومون باضطرابات خطيرة في العاصمة قد هددوا بأقتحام مقر رئاسة الجمهورية الذي يقع على هذه الساحة.

ثم انطلقنا مع شارع تجاري يسمى (بوتوس) أخبرونا أن أكثر المحلات فيه هي لتجار من أبناء العرب وأغلبهم من المسيحيين من فلسطينيين ولبنانيين.

والتقطنا من أحد المحلات أخاً مصرياً بل هو كل المصريين في بوليفيا كلها إذا استثنينا أفراد السفارة المصرية في بوليفيا وعددهم خمسة الذين هم يعتبرون ولاة الأمر للمصريين هنا والأخ وحده هو الرعية واسمه (علي عيد أبوالنور) وهو تاجر سيارات ناجح ولما استغربت أنه لم يكن من عادة إخواننا المصريين الهجرة إلى أمريكا الجنوبية والاشتغال بالأعمال الحرة فيها أخبرونا بقصة له طريفة فهو كان

طباخاً في السفارة المصرية جاء من مصر لهذا الغرض ولكنه اختلف مع السفير، فترك العمل في السفارة وأعطاه أحد التجار من العرب المسيحيين شاحنة كبيرة قسط عليه قيمتها لمدة أربع سنوات، فاشتغل الأخ (علي) بهذه الشاحنة بجد حتي أوفى ثمنها وبقي له شيء كثير استعمله في تجارة السيارات ونجح في ذلك.

وكان قد تزوج من امرأة تشيلية - من تشيلي - مسيحية وولدت له أولاداً إلا أنه اختلف معها وذهبت مع الأولاد إلى بلادها (تشيلي).

قلب المدينة الجديد :

والجديد صفة للقلب وليس للمدينة لأن قلب المدينة الحقيقي هو الذي يقع فيه فندقنا (فندق قلوريا) وما حوله ويتميز بأبنية متعددة الطوابق (عمارات) يغلب عليها القدم، وبشوارع غير متسعة ولكنها هي وأرصفتها نظيفة وفيه المتاجر العامرة بالسلع.

وقد رأيت عمارة جديدة تقام تزيد طوابقها على العشرة وهي كبيرة فسألت عنها الأخ أحمد الصباغ فقال: هذه ملك لأحد أبناء العرب من فلسطين وهو يبنيها لتكون فندقاً كبيراً في قلب المدينة المهم المطل على ساحة (بلاسا سان فرانسيسكو).

وقد أراد الأخ زياد الصباغ أن نلقي نظرة عجلى على شارع مهم جداً في المدينة واسع وربما كان هو الشارع المهم الواسع هنا وعليه الأبنية الشاهقة، تحتها المحلات التجارية الكبيرة وكل ذلك حديث متسع، كما يحفل بالمصارف (البنوك) وبالشركات الأجنبية.

ويصح أن يسمى موقعه (بالداون تاون) في عرف أهل المدن الأمريكية الشمالية، لأن مثله هو الذي يكون كذلك اسمه (شارع لبرادو).

وهو واسع جيد ولكنه لايصل إلى جودة الشوارع الحديثة عندنا في الرياض مثلاً ورأيت فيه شيئين لفتا انتباهي أولهما نساء هنديات يتحدين جدة هذا الشارع وحداثة ما فيه وهن يسرن بثيابهن التي ركب بعضها بعضاً وبوجوه خالية من أية

زينة عصرية وكأنما أردن أن يذكرن القوم الذين هم في هذا الشارع على الأكثر من غير بني قومهن الهنود الأصلاء فهم من ذوي الأصول الأجنبية.



قلب المدينة الجديد في لاباز وترى إحدى القمم الثلجية التي تطل على المدينة

ومن الشواهد على ذلك الشيء الثاني الذي لفت نظري وهو أن الأخ زياد أوقف سيارته بجانب الشارع ليحادث رجلاً تبين بعد ذلك أنه من أصل عربي فلسطيني وأنه مولود في هذه البلاد ولايعرف من العربية إلا قليلاً لايسمن ولايغني من جوع وهو شاب ناجح بدليل أنه يملك مطبعة جيدة.

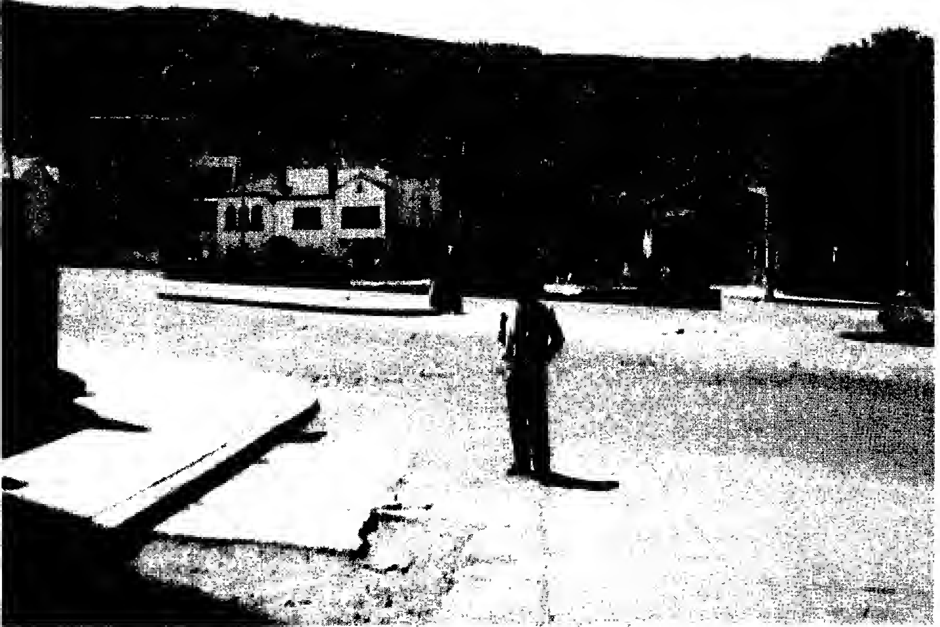
ومن المصادفات أيضاً أن وقوفنا كان أمام محل تجاري كبير يملكه عربي آخر لاصلة له بهذا الواقف معنا وقال الأخ زياد: إن كلا الرجلين من المسيحيين العرب.

تركنا هذا الشارع الحديث مسرعين وبخاصة عندما سمعني الأخ زياد الصباغ أقول إنني لا أهتم بالشوارع الحديثة لأن مثيلاتها موجودة في أكثر بلدان العالم بل إن في بلادنا ما هو أفخر منها بكثير وإنما يهمني الاطلاع على المعالم القديمة، وعلى المناظر الغريبة.

والأخ الصباغ يقود سيارته بسرعة لأنه شاب واثق بنفسه ومتمرس على القيادة في شوارع هذه المدينة غير المستوية، ولكن السير فيها يشجع على القيادة لأن المرور فيها ليس صعباً بسبب الحذر الشديد الذي يبديه السائقون في شوارعها المتقاطعة غير الواسعة وبخاصة شوارع قلب المدينة القديم.

انظر الزهور :

وصلنا إلى حي قال الأخ زياد الصباغ: إن اسمه حي (ميرافلورس) ومعناه فقاطعته قائلا: معناه، انظر إلى الزهور فقال: هذا صحيح من أين عرفته؟ فقلت من حي مماثل له في التسمية موجود في عاصمة مجاورة لبوليفيا هي (ليما) عاصمة بيرو وهو الحي الذي يقيم فيه أخونا الكريم (عيسى حميدة) رئيس الجمعية الإسلامية في ليما، بيرو وهو فلسطيني مثلك، بل هو مثلك كان من سكان ضواحي مدينة القدس التي أنت من سكانها.



المؤلف في حي ميرا فلورس في لاباز وترى البيوت المتسلقة على حافات التلال

وكنا في هذه الأثناء قد أمعنا السير في هذا الحي ولم أر فيه زهوراً من التي يدل عليها اسمه، ولا رأيت فيه شبهًا بحي (انظر إلى الزهور) الفاخر الموجود في ليما، بل ليس في أكثر بيوته حدائق منزلية أصلاً وقال الأخ زياد: إن هذا الحي كان في السابق حيًا جيدًا يسكنه الأغنياء والقادرون والآن تحولت الأولوية عنه إلى الحي الذي يسكن فيه أخي (أحمد الصباغ) واسمه حي (كالاكوتو) وحتى شوارع هذا الحي غير مستوية لأن الحي نفسه ليس في أرض مستوية يستوي في ذلك مع سائر أنحاء مدينة (لاباز) فيجهد المرء نفسه في السير على حجارته التي رصفت بها شوارعه، كما تجهد السيارة نفسها في الصعود والنزول فيها، وأما المنازل فيه فأغلبها من الأسمنت أو الفخار وسقوفها حمر أكثرها بالآجر الأحمر وهو الفخار أيضًا.

ميدان الملعب :

وهذا ميدان مهم جدًا واسمه (بالاسا لاستاديو) وبالاسا : ميدان ولا: أداة التعريف بالإسبانية و(استاديو) ملعب رياضي لكرة القدم أو (الاستاد) الرياضي كما ينطق باسمه بعض العرب المقلدين.

وأهميته تأتي من سعته ومن كونه يطل عليه الملعب الرياضي لكرة القدم والرياضة في أمريكا الجنوبية لها أهميتها العظيمة لأن القوم ليست لهم مثل عليا عالمية أو شبيهة بالعالمية يتمسكون بها ويسعون لتحقيقها كما يفعل الأوروبيون والأمريكيون الشماليون، لذلك حصروا أذهانهم في الرياضة فبرزوا فيها.

كما أن الأهم عندي في هذا الميدان وهو الذي من أجله وقف بنا الأخ زياد عليه هو وجود تماثيل وأنصاب ورسوم مجسمة ومنقوشة في وسطه تمثل حضارة السكان الأمريكيين الأصلاء في هذه البلاد قبل وصول الأوروبيين وكلها منحوتة من الحجارة.



في ميدان الملعب بجانب أنصاب ورموز للثقافة الهندية الأمريكية القديمة

ويقف السياح في هذا الميدان الذي هو في الحقيقة غير فاخر، كما أن أرضه غير مستوية مما يقلل من جماله وهو كله مبلط بالحجارة أي مفروش بحجارة ليست كبيرة، قد حلت فيه محل الأسفلت كما هي عليه الحال في سائر شوارع العاصمة ومبانيها كما تقدم.

وقد لفت نظري في هذه التماثيل التي أقيمت هنا ما لفت نظري في الآثار الحقيقية التي خلفها شعب الإنكا الأمريكي العظيم، وقد رأيتها في بيرو من شبه في هيئتها العامة، وبعض الأجزاء التفصيلية الصغيرة بما خلفه قدماء المصريين من الفراعنة مما جعلني أتساءل عما إذا كانت توجد صلة ما بين هؤلاء القوم من الأمريكيين الجنوبيين الأصلاء وبين المصريين وأن الأمر يتعلق بصلة بين الحضارتين لم نهتد إليها، أم أن الأمر كله من باب المصادفة المحضة ولكن

المصادفة المحضة مستبعدة لأن ظروف نشأة الحضارتين وأماكن وجودهما مختلفة فمثلاً عاشت الحضارة المصرية القديمة في أرض سهلية زراعية نهرية في حين عاشت الحضارة الأمريكية هذه في أماكن جبلية وعرة.

والجو كذلك مختلف جداً مابين أعالي جبال الإنديز الباردة ووادي النيل الحار وخاصة في الصيف.

إضافة إلى الشيء المهم جداً وهو الفارق الزمني مابين نشأة الحضارتين فقد كان يفصل بين ازدهار الحضارة المصرية القديمة والزمن الذي أسقط فيه الإسبانيون هذه الحضارة الأمريكية العريقة حوالي ألفين وخمسمائة سنة اللهم إلا إذا قلنا: إن هذه الحضارة الأمريكية (الانكوية) - نسبة إلى الإنكا - كانت موجودة مزدهرة من عهود قديمة وصلت في قدمها إلى عهد الحضارة المصرية الفرعونية واستمرت كذلك حتى أسقطها الإسبانيون وهذا مخالف لطبيعة الأشياء في ازدهار الحضارات وسقوطها، إذْ ليس من المعتاد أن تستمر حضارة ما مزدهرة طول ذلك العهد السحيق.

وتشتمل التماثيل التي أقيمت هنا على صور لآلهة للسكان القدماء ورموز لمعتقدات لهم عريقة ومن ذلك بوابة صغيرة اسمها عندهم (بوابة الشمس) التقطت لها صورة إلا أنها هي صغيرة وغير واضحة.

ومن الأشياء اللافتة للنظر وإن كانت لاتتعلق بالأمور القديمة أن فتاتين جميلتين من أصل هندي أو فيه شيء من الاختلاط مع الأوربيين بدليل أنهما تلبسان الملابس الحديثة كانتا قد سارعتا إلينا بالتحية، ثم الابتسام، ثم الاستعداد للإجابة عن الاستفسار عما في المكان وهما جالستان على جانب من جدار حجري يحيط بالتماثيل الهندية الموجودة في وسط الملعب، عندما انتهت زيارتنا للمكان أسرعتا أيضاً بتحية الوداع مع الابتسام فسألت الأخ زياد عن أمرهما: فقال؛ إنهما جلستا في هذا المكان الذي يرتاده السياح على أمل أن يجدا رفيقاً منهم يصطحب الواحدة منهما إلى غداء في مطعم أو ما أشبه ذلك، لأنه لا عمل لهما.

وبهذه المناسبة ذكر الإخوة العرب أن أولاد الزنا أو غير الشرعيين كما يعبر عنهم الآن موجودون بكثرة وبخاصة عند نساء الهنود.

ثم مررنا بمرآب للأخ زياد الصباغ يبيع فيه السيارات ويصلحها أسماه الشرق الأوسط (ميديو اورينت) بالأسبانية وهو واقع في جانب من حي (موريا فلوريس) ويعمل فيه عنده عدد من العمال من الهنود الأمريكيين ذكر أن رواتبهم في حدود ثلاثين دولارًا في الشهر، ولكن الحكومة بعد حركات العمال الأخيرة قررت إصدار قانون جديد يرفع أجر العامل إلى ستين دولارًا في الشهر.

الهبوط والصعود في لاباز :

انطلق الأخ زياد بسيارته الجديدة القوية الألمانية وهو يصعد ويهبط في شوارع هذه العاصمة الغريبة.

ومررنا بسور قديم مبني من الطين يشبه ماكان موجودًا لدنيا من الأسوار الطينية القوية، ولاعجب في ذلك لأننا رأينا في القرب من المطار بيوتًا طينية أيضًا.

وبجانب ذلك تلال عالية من الطين لايشك الناظر إليها من البعد في أنها تلال حجرية وهي خطرة على المرور عند نزول الأمطار الكثيرة لأن الطين ينزل منها مع المطر فيلوث الشوارع وقد اختلط بطينها حصى صغار يكون خطرًا على السيارات المسرعة إذا اجتازت الطريق دون أن تفطن إليه.



في إحدى الضواحي في مدينة لاباز

وذكر الأخ زياد أن الحكومة تلجأ إلى إغلاق بعض الطرق لهذا السبب عند نزول الأمطار الكثيرة.

وقد تكلفت الحكومة وضع أسلاك قوية على هيئة شباك على بعض التلال لتمنع وقوع الحجارة منها عند نزول المطر فلا ينزل إلا الطين الذائب.

وخرجنا إلى جانب من أطراف المدينة حيث ينقطع البنيان ولكن طبيعة المنطقة تستمر فتظهر واضحة عندما تخلو من البنيان، وقد رأيتها تلالاً طينية واقفة، تعجب من تماسكها وعدم سقوطها، لامن سقوط الطين والحجارة منها مع الأمطار وقد نمت عليها أعشاب غير عالية.

وجميع الطرق في هذه الضواحي مبلطة بالحجارة وليس فيها أزفلت لأن الأرض من تحته قد تلين فيتشقق ويتكسر بخلاف الحجارة التي إذا تحرك شيء منها أعيد تثبيته بسهولة.

وبعد أن التقطنا صوراً لهذه التلال نزل الأخ زياد إلى محطة لبيع الوقود فاشترى (لتر) البنزين باثنى عشر ألف بيزه ويساوي ذلك عُشْر الدولار أو ١٠٪ كما يقول عامة الكتاب، وهذا سعر رخيص جداً بالنسبة إلى كثير من البلدان وبالنسبة إلى البلدان الأمريكية الجنوبية المجاورة لبوليفيا.

والسبب في رخص وقود السيارات عندهم أنه مستخرج من بلادهم فبوليفيا تنتج النفط والغاز وتستهلك منه مايكفيها وتصدر شيئاً منه إلى البرازيل والأرجنتين.

عودة إلى وسط المدينة :

مررنا فيه بمنطقة فيها أبنية عالية كثيرة الطوابق (عمارات) وفيها وزارات من وزارات الدولة منها وزارة الداخلية والمركز العام للشرطة، ووزارة الدفاع.

وبجانب ذلك ميدان (أباروا) أو (بلاسا أباروا) وهو قائد عسكري بوليفي أبلى بلاءً حسناً خلال الحروب التي خاضتها بوليفيا ضد (تشيلي) وهو قائد حرب الباسفيك إبان الحروب التي وقعت بين أقطار أمريكا الجنوبية في عهد سابق.

في مقر الممثلية الفلسطينية :

كان موعد زيارة ممثلية منظمة التحرير الفلسطينية في بوليفيا في الثانية عشرة ظهراً وقد أزف ومن المقرر أن نلتقي بالأخ الوجيه أحمد الصباغ هناك أيضاً.

استقبلنا في مكتب المنظمة الأستاذ: (جورج سلامة) وهو مسيحي فلسطيني وهو ممثل المنظمة الرسمي أي رئيس بعثتها في (لاباز).

جلسنا في مكتبه في الطابق الثاني وتناول الحديث بالدرجة الأولى وضع المكتب خاصة ووضع الفلسطينيين هنا بصفة عامة وقد أثنى مدير المكتب على موقف حكومة بوليفيا وشعبها من الفلسطينيين بل ومن العرب عموماً إلا أنه قال إن ذلك لم يقابله موقف مناسب من البلدان العربية، فبوليفيا تريد علاقات أقوى وتبادلاً للبعثات السياسية، ولايوجد سفارات أو ممثليات دائمة في بوليفيا للبلدان العربية إلا السفارة المصرية وممثلية منظمة التحرير الفلسطينية.

وذكر الأستاذ (جورج سلامة) أنه من المستحسن في الوقت الراهن دعوة وفد اقتصادي يصحبه وفد صحفي إلى المملكة العربية السعودية لينقل للناس هنا ما يراه في السعودية، فهذا يسهل مهمتنا، ويزيد موقفنا قوة.

كما اقترح أنه في حالة عدم إرسال سفير سعودي إلى بوليفيا يمكن أن يكلف السفير السعودي في البرازيل بتمثيل المملكة العربية السعودية في بوليفيا بصفة سفير غير مقيم.

وذكر أن إمكانات التعاون الاقتصادي هنا متوفرة بل عظيمة كما أن استثمار رءوس الأموال هنا لمن يملكونها مربح، فهذه البلاد هي أول دولة في العالم في تصدير القصدير وهي تستخرج الذهب والكروم وكذلك اليورانيوم ومن المؤسف أن الذين يستغلون اليورانيوم هنا هم اليهود.

وكرر الأستاذ جورج سلامة قوله السابق في وجوب تمتين العلاقات الاقتصادية والسياسية مع بوليفيا من أجل تقوية الموقف العربي والوقوف في وجوه الجهات المعادية للعرب الموجودة هنا.

وذكر أن وزير خارجية بوليفيا الحالي (أدجار كاما سوا) قد أعرب له شخصياً عن رغبة بوليفيا في تقوية العلاقات مع المملكة العربية السعودية والكويت.

ثم تطرق الحديث إلى شئون شتى منها الموقف القوي الذي تتمتع به الجالية الفلسطينية هنا وأكثريتهم الساحقة من المسيحيين وقال: إن مركزهم الاقتصادي جيد جدًا في هذه البلاد، وإن منهم أثرياء وتجارًا.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى اللبنانيين سواء منهم من كانوا مهاجرين بأنفسهم أو من كانوا قد هاجر آباؤهم وولدوا في هذه البلاد، فحالتهم الاقتصادية جيدة، والشعب يقدرهم.

وبينما كنا في هذا الحديث الممتع مع الأستاذ (جورج سلامة) الذي يتميز بنظرة سياسية ثاقبة وتقدير جيد ومعرفة كبيرة بالأوضاع السياسية والاجتماعية في هذه البلاد وصل الأخ الوجيه أحمد الصباغ وهو فلسطيني من القدس كما تقدم ولكن الجديد في الأمر أن الأستاذ (جورج سلامة) قال لي: إن الأخ أحمد الصباغ ذو مكانة كبيرة في هذه البلاد، وهو الذي ساعدنا لدى المسئولين الكبار في الحكومة على الحصول على رخصة افتتاح ممثلية منظمة التحرير الفلسطينية في بوليفيا.

وقال: إننا نعتبره من كبار الإخوة الفلسطينيين الذين يقومون بجهود وطنية مشكورة، ولا أشك في أن كلام الأستاذ (جورج) ليس فيه شيء من المبالغة فالأخ أحمد الصباغ شخص محترم ذو عقلية راجحة، وتقدير سليم للأمور، وهو إلى ذلك قد أعطاه الله مالاً وثروة يمكن أن يستعملها فيما ينفع العرب عامة والفلسطينيين خاصة في هذه البلاد ولذلك هو عضو في المجلس الوطني الفلسطيني، وحضر الاجتماع الأخير للمجلس الذي عقد في مدينة عمان.



أمام مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في لاباز المؤلف على يمينه

جورج سلامة وعلى يساره أحمد الصباغ

إلى مطعم عربي :

نزلنا من مكتب الأستاذ (جورج سلامة) إلى مدخل مبنى ممثلية المنظمة الذي نرجو أن يتحول إلى السفارة الفلسطينية في هذه البلاد وأن تكون الحكومة الفلسطينية الحقيقية قد قامت والأرض الفلسطينية قد تحررت وما ذلك على الله بعزيز والتقطنا صوراً تذكارية أمام اللافتة الصغيرة التي تعلو مكتب المنظمة الذي يحمل اسم المكتب بالإسبانية تحتها العربية (منظمة التحرير الفلسطينية : ممثلية رسمية).

وهذا المكتب ضروري جداً في هذه البلاد وأمثالها من بلاد المهاجر الفلسطينية مثل تشيلي التي يوجد بها مهاجرون فلسطينيون كثر، وكذلك بيرو، فيمكن للمكتب أن يعتني بالإخوة الفلسطينيين المهاجرين ويحافظ على ربطهم ببلادهم الفلسطينية ويعتني أكثر بالثقافة العربية واللغة العربية التي تشدهم إلى ماضيهم وتحفظ عليهم أولادهم من الذوبان في هذا المجتمع المسيحي الذي يسهل ذوبانهم فيه لأنهم في أكثريتهم من المسيحيين الذين قد لايجدون حساسية في الانخراط فيه، وإن كان بعضهم يخالف مذهبهم المسيحي مذهب أهل البلاد الشائع فيها وهو الكاثوليكية فإن العبادة باللغة العربية لها وزن لاتعادله العبادة في كنائس تستعمل لغة غير العربية كما قد قال لي أحد المهاجرين من العرب المسيحيين.

وقد استشهد على ذلك بأن الجالية العربية المسيحية في الأرغواي قد استقدمت كاهنا من لبنان من أجل أن يقيم صلاتهم بالعربية وإن كان يمكنهم أن يذهبوا إلى الكنائس التي يذهب إليها المسيحيون من أهل البلاد.

ومن مظاهر الشعور بذلك أيضاً لدى المسيحيين الفلسطينيين أكثر من غيرهم من المسيحيين الآخرين أنهم قد أقاموا في تشيلي وحدها ثلاث مدارس عربية لتعليم أولادهم اللغة العربية واستمرار ربطهم عن طريق ذلك ببلادهم فلسطين.

في المطعم العربي:

وكلمة (عربي) هنا تعني أن صاحبه عربي أو (ابن عرب) على حد تعبير الإخوة المهاجرين في البلدان الأمريكية.

فالمطعم نفسه ليس عربياً بمعنى أنه لايقدم أكلات عربية وليس فيه من مظاهر العربية شيء كالكتابة العربية مثلاً، ولكن صاحبه ثري عربي استطاع أن يمتلك ثروة بل ثروات طائلة من العقارات والأراضي وافتتح هذا المطعم الذي هو أرقى مطعم في (لاباز) كما قال لي عدد من الإخوة العرب الموجودين هنا، ولكن هذا الأخ العربي الذي احتفظ بثروات مالية هائلة لم يستطع أن يجعل ابنه يحتفظ

بثروة مهمة جداً هي لغته العربية فقد جاء إلينا ابن كبير لذلك الرجل فسلم على أحمد الصباغ وجورج سلامة سلام معرفة وثيقة.

وعندما سلم عليَّ أكد المذكوران لي بأنه يعرف الإنكليزية والمعرفة بالإنكليزية هنا شيء نادر فكلمته بالإنكليزية وسألته عما إذا كان يعرف العربية لغة آبائه وأجداده فقال بشيء من الإحراج لا، إنني لا أستطيع أن أتكلم العربية.

وقد ذكرت من اسمه (دومنيك) وأصله من سوريا كما أن (جورج سلامة) من بيت جالا قرب القدس وأحمد الصباغ من القدس نفسها.

وكان الذهاب إلى المطعم بدعوة على الغداء من الأخ الكريم أحمد الصباغ أكلنا فيها هنيئاً وشربنا مريئاً على أحاديث نفيسة ومعلومات جديدة مفيدة استفدنا منهما فاستحقا مني الشكر.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام أخرج الأخ أحمد الصباغ دفتر الصكات (الشيكات) من جيبه ودفع الثمن صكا على البنك.

وقال الأستاذ (جورج سلامة): إن المرء إذا أراد أن يدخل مطعماً جيداً وأن يصرف قيمة طعامه بالنقود فإنه لابد من أن يحضر معه كيساً من النقود، لأن مايستوعبه جيبه من الأوراق المالية البوليفية لايكفيه للطعام.

وهذا أمر ليس فيه غرابة إذا كنت قد قرأت ماكتبته لك سابقاً من صرف الدولار الأمريكي الواحد بمائة ألف وخمسة وعشرين ألف بيزة، وإذا أكل الآكل في مطعم فاخر وجبة بعشرين دولاراً مثلاً وكان معه ضيف أوضيفان فإنه لابد من أن يحتاج إلى أن يكون معه من يعينه على حمل ثمنها إلى المطعم.

وهنا قلت للأخوة: ماذا يقول الناس فيمن يريد أن يذهب إلى السوق ليشتري مؤونة بيته لمدة أسبوعين مثلاً كما نفعل نحن في بلادنا أيحتاج إلى أن يصطحب معه حمالاً يحمل عنه النقود كما يحتاج إلى من يحمل عنه الأمتعة.

إلى أعلى بحيرة في العالم :

تحفل أقطار القارة الأمريكية الجنوبية بأشياء كثيرة من (أفعل) التفضيل فمثلاً في البرازيل أكبر أنهار العالم، وفيها أكبر كمية من الغابات تملكها دولة واحدة، وأشياء كثيرة ربما يصعب حصرها لعل من أقربها لنظر من يصل إلى البرازيل رؤية السيارات التي تسير بالكحول فهي أول دولة في العالم في استغناء جزء كبير من سياراتها عن مشتقات النفط و(البنزين).

وأما الأرجنتين فإن في عاصمتها بوينس آيرس (أطول) شارع في العالم و(أعرض) شارع في العالم وهي واقعة على أعرض نهر في العالم وهو نهر (لبلاتا).

وتشيلي لها أطول شاطيء في العالم تملكه دولة واحدة وهكذا.

وأما هذه البلاد البوليفية ففيها أعلى مطار في العالم وهي أكثر عواصم العالم ارتفاعًا، وفيها أيضاً هذه البحيرة التي سنذهب إليها ألا وهي أعلى بحيرة في العالم.

واسمها (تي تي كاكالاقو) ولاقو: لفظ إسباني معناه بحيرة وهي الكلمة الإنكليزية نفسها (ليك) لهذا المعنى، أما (تي تي كاكا)، فإنه اسم هندي أمريكي وهو ليس كذلك فحسب، وإنما يدل لفظه على أنه لقوم ذوي لغة تعتمد على المقاطع التي تتألف من متحرك واحد بعده ساكن، واللغة الصينية أكثر اللغات العالمية استعمالاً للمقاطع.

وقد يدل اللفظ (تي تي كاكا) على عدم العراقة في المدنية، وقد يعضد ذلك الشبه الواضح مابينه وبين ألفاظ إفريقية لقبائل غير متحضرة.

وعلى أية حال فإن طائفة من السكان الأصلاء هنا الذين هم الهنود قد تحضروا بالفعل وإنْ بقيت كلمات كثيرة في لغتهم أو في لغاتهم تدل على غير ذلك.

كان السفر إلى البحيرة على سيارة الأخ (خليل دياب) وهو فلسطيني من حيفا التي اغتصبها اليهود منذ عام ١٩٤٨م، وقد هاجر إلى هذه البلاد واشتغل بالتجارة وصاهر رجلاً بوليفياً ثرياً فأصبح مديراً لشركة كبيرة للاستيراد والتصدير، وهو يقود سيارته الغالية من طراز (فولفو) السويدي وصحبنا الأخ زياد الصباغ وشاب عربي آخر نسيت اسمه.

وتبعد البحيرة عن قلب العاصمة البوليفية مسافة ثمانين كيلو متراً.

وقد انطلقنا من فندقي في الرابعة والنصف عصراً فمررنا بالشركة التي يديرها الأخ خليل دياب ورأينا معرضاً واسعاً للبضائع التي تبيعها وأكثرها من أدوات السيارات وقد حفل المعرض بالعمال والكتبة.

وعرفنا الأخ خليل على مدير الحسابات وسكرتير الشركة وكبار الموظفين قائلاً لهم: هذا أخ عربي من المملكة العربية السعودية فرحبوا بنا جميعاً.

وذكر الأخ خليل أن عدد الموظفين العاملين عندهم في الشركة سبعون شخصاً من البوليفيين ورأيت بعضهم من ذوي الأصول الأوروبية الصريحة أو المتغيرة فهم ليسوا من الهنود الأمريكيين الذين لايخفى مظهرهم على ناظر.

على السهل المرتفع :

صعدنا التلال التي تحاصر العاصمة مع طريق المطار وكنت مشفقاً من عدم التمكن من التقاط مانريد من صور في البحيرة، وذلك بسبب ضيق الوقت ووجود سحاب بعيد كان يرسل وابله على تلك الأماكن، وأما العاصمة فإن السحاب موجود عليها ولكنه غير ممطر.

وقد أخبرني الإخوة أن هذا الوقت هو موسم الأمطار في هذه المنطقة فوقفنا على تلة عالية عندما قارب طريق المطار أن ينهي صعوده من العاصمة وصورنا صوراً للمدينة.



التقط المؤلف هذه الصورة للإخوة المرافقين في المكان المرتفع المطل على مدينة لاباز

ثم التقطنا لجبل (اليمان) الذي سقطت فيه الطائرة التي كانت قادمة من ميامي إلى (لاباز) في أول هذه السنة الميلادية وأخطا قائدها الحساب في ارتفاع الجبل الثلجي (اليمان) فارتطمت به الطائرة وسقطت في الثلوج ولم تستطع فرق الإنقاذ البوليفية التي كانت مجهزة بكمامات الأوكسجين وبالحلل - البدلات - المدفأة من الوصول إلى الجثث وذلك لكونها قد ابتلعتها الثلوج ولأن المنطقة الثلجية في الجبل هي منطقة انهيارات خطرة.

فأجل البحث عن تلك الجثث لمدة أربعة أشهر تخف فيها كثافة الثلوج فوق سفوح الجبل، ويقل خطر الانهيارات ويقولون إنهم سيجدون الجثث كما كانت عليه عند سقوطها إذْ لن يؤثر فيها مرور الشهور الأربعة لأنها محفوظة من التحلل والتعفن بسبب الثلوج.

هذا هو القول الرسمي الذي نشر وأذيع ولكن يشيع بعض الناس هنا أن السكان المحليين من السكان الأصلاء الهنود الذي يعيشون في الأماكن المرتفعة قد استطاعوا من دون أن تكون لديهم أقنعة للأوكسجين ولاحلل مدفأة أن يصلوا إلى بعض الركاب وأن يأخذوا مما عليهم من المقتنيات كالساعات ولا أدري صحة ذلك.

والتقطنا صوراً لهذا الجبل العاتي الذي يبلغ ارتفاعه خمسة وثلاثين ألف قدم وكان يجب على قائد الطائرة أن يكون حذراً عندما يحاذيه على ارتفاع خمسة وأربعين ألف قدم غير أنه أخطأ الحساب فاصطدم به ووقعت الكارثة.

وربما كان من سبب ذلك قرب موقع هذا الجبل من المطار الدولي فهو يرى منه بوضوح كما يرى من سائر أنحاء العاصمة ماعدا وسطها الذي أسميته قاع الحفرة لأنه في مكان منخفض.

ومن الغرائب في حادث هذه الطائرة أنه كان في أول يوم من أيام السنة الميلادية وأن الطائرة وهي قادمة إلى بوليفيا ليس بين ركابها راكب بوليفي واحد، بل كلهم من الأجانب.

ثم تركنا طريق المطار بعد أن استوينا في مرتفع فوق العاصمة وهو الذي فيه المطار ويكون بالنسبة للعاصمة كالسطح بالنسبة إلى غرف المنزل لارتفاعه واستوائه ولذلك يسمى هنا بالسهل المرتفع أو العالي وبالإسبانية: (ألتو) لهذا المعنى، وهو حقيق بهذه التسمية، بل هو أحق الأمكنة المرتفعة في العالم بها.

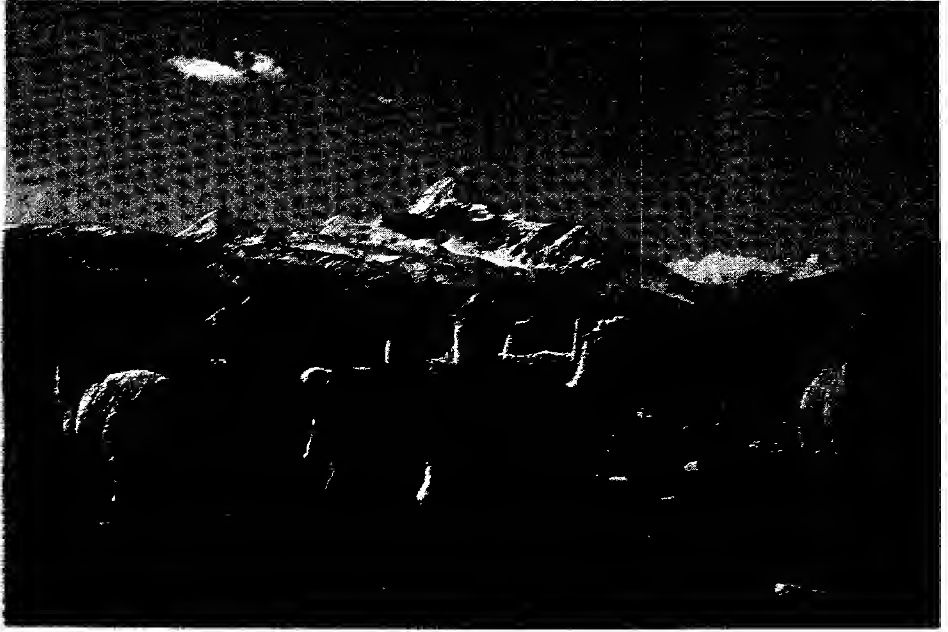
سرنا مع طريق أسفلتي رديء يمتد إلى حدود (بيرو) مع بوليفيا وهي قريبة هنا من هذه الجبال وقال أحد الإخوة إنه وصل إلى حدود بيرو مرة في مدة ساعتين ونصف، ولايذكر المسافة بالكيلو متر، وحتى القمامات التي تحرق في جوانب الشوارع الواسعة في كثير من البلدان الاستوائية المتخلفة وبخاصة في إفريقية رأيت لها شاهداً هنا في قمائم تحرق في مكان جمعها.

ويشمل الطريق الأزفلتي جزءًا صغيرًا من شارع واسع عليه بيوت الطين الأسود أو لبن الأسمنت التي أكثرها من طابق واحد وفيها طابقان، وفي الأجزاء الترابية من الشارع على يمين الأزفلت وشماله مجاري المياه وهي مكشوفة كما في المناطق الاستوائية مع أن هذا المكان يبعد عشر درجات جنوب خط الاستواء، ولما عجبت من قرب الحدود مع بيرو من هذه الجهة ذكرني إخواني بأن هذه المنطقة كانت في وقت من الأوقات جزءًا من (بيرو) وكانت تسمى (التو بيرو) بمعنى مرتفعات بيرو.

ولاشك في أن هذا عندما كانت بيرو مقرًا للاستعمار الإمبراطوري الإسباني وكانت تدار منها أجزاء كثيرة من بلدان هي الآن خارجة عن جمهورية (بيرو).

ومررنا على يسار الطريق بالمطار المحلي الصغير وفيه طائرات صغيرة مروحية قالوا: إنها تنقل اللحوم من إقليم (بني) الخصب في بوليفيا إلى العاصمة.

وقد اتسع السهل المرتفع وبدت قمم الجبال الثلجية في أي اتجاه نظرت إليه من الأفق البعيد فلا أكاد أصدق أنني في أمريكا الجنوبية وفي منطقة لاتبعد كثيرًا عن خط الاستواء بل أكاد أتصور أنني في آسيا وبالقرب من جبال الهملايا والسكان كلهم من الهنود الأمريكيين الأصلاء وكلهم كما قدمت ذوو أجسام غليظة وبخاصة النساء وكلهم أو كلهن قد رفضوا أو رفضن تقليد الملابس الأوروبية فعليهن ملابسهن الهندية الأمريكية الوطنية التي لا أشك في أنها هي القديمة في أساسها فهن يعانين من ثقل بعضها فوق بعض فمن ثقل الأجسام إلى ثقل الثياب إلى ثقل مايحملن على ظهورهن من أمتعة أو أولاد إضافة إلى ثقل التنفس في هذا المرتفع العالي الذي يبلغ ارتفاعه أربعة آلاف متر عن سطح البحر.



القمم الثلجية وحيوان اللاما من أكثر المناظر

شيوعًا في السهل المرتفع في بوليفيا

ولاشك في أن السكان الأصلاء الذين عاش أسلافهم هنا قرونًا طويلة قد تعودوا على هذا الأمر وتكيفت أجسامهم معه، وقد كنت قرأت في مجلة أمريكية منذ سنوات أنه ثبت بالكشف العلمي أن صدور هؤلاء الهنود من سكان الجبال العالية في الإنديز هي أوسع من المعتاد بكثير والمراد بذلك مايسميه الأطباء المحدثون بالقفص الصدري، وذلك من أجل أن يتسع المجال للرئتين أن تتمددا أكثر من المعتاد من أجل استنشاق كمية من الهواء أكثر من المعتاد عند الأماكن غير المرتفعة حتى تستخلص منها الرئتان الأكسجين اللازم للجسم.

وأكثر السيارات في هذا الطريق هي الحافلات التي يقبل القوم على ركوبها وهي غير فاخرة ولكنها ليست سيئة المظهر.

ومن الأشياء اللافتة للنظر أننا مررنا بطابور ممتد أمام محل قال الإخوة إن هذا الطابور لقوم من أجل شراء الخبز من الفرن لأن القمح الآن قليل فهو مستورد والحكومة تعينه، والعملة منخفضة.

السهل الخصب :

وهذا كله رغم كون هذا السهل الذي أسموه السهل المرتفع أوالسهل العالي (ألتو) بالإسبانية هو سهل خصيب ولقد رأيت الأعشاب والحشائش تكاد تشمله كله وقال الإخوة: إن هذا هو فصل الأمطار ولذلك تكثر الأعشاب البرية.



جانب من بحيرة (تي تي كاكا)

وفي هذا السهل يرى المرء قطعاناً قليلة من الماشية، من الأبقار والأغنام وأغنامهم ليس لها أليات رغم ضخامة الصوف الموجود عليها من أجل وقياتها من البرد وعلى ذكر قلة الخبز ذكر لي الإخوة المرافقون كما ذكر غيرهم من قبل أن إمكانات الزراعة عظيمة جداً فالبلاد فيها أنهار ومياه من الأمطار ومن ذوب الثلوج من الجبال وفيها أراض واسعة غير أراضي الجبال وصالحة للزراعة ولكن السكان لايميلون للعمل المتطور ولايحبون التجديد، ويمكن القول بأنهم يميلون للكسل لذلك بقيت أكثر الأراضي الصالحة للزراعة مهملة بدون تعمير.

ومر الطريق فوق وادٍ يسيل بالمياه ولكنه ليس مفعما بها وهو ليس نهراً بل مياه من سيول هطلت على المنطقة منذ وقت قريب.



هنديات أمريكيات يرعن اللاما في بوليفيا

والحيوان هنا موجود وما رأيت الكلاب في مكان أكثر منها هنا وأغلبها ضخم الجثة أسود اللون، ذو صوف كث من أجل أن يقيها من البرد.

وعندما أمعن الطريق في هذا السهل المرتفع صارت المنطقة ريفية خالصة فيها بيوت طين غير جيدة ورعاة يرعون الأغنام أو الأبقار بأعداد غير كبيرة.

وحتى الحمار هنا موجود ولا أدري كيف يصبر على برد هذه الجبال اللهم إلا إذا كان قد جلب من أماكن أقل بردًا ولكن ماذا عن تأثير البرد عليه؟

وحميرهم صغيرة الحجم رديئة النوع.

وهناك أيضًا أعداد من البغال وهي لازمة لمثل هذه البلاد الجبلية لأنها أصبر في السير على الجبال، وحمل الأحمال فيها من الخيل والحمير.

هذا إلى أن هذا السهل الذي نسير عليه والذي اسمه السهل المرتفع أو العالي ليس فيه جبال بمعنى أن أرضه مستوية، وإنما الجبال الشاهقة محيطة به وهو نفسه كالسطح لجبال عالية، ولذلك يرتفع عن سطح البحر بأربعة آلاف متر كما تقدم.



صورة تذكارية مع خليل دياب على يمين المؤلف وزياد الصباغ على يساره في الطريق إلى بحيرة (تي تي كاكا)

ويلفت نظر المرء إلى أن المنطقة ريفية خالصة إن كان ذلك يحتاج إلى مزيد من الإنتباه وجود بيت أو بيوت من الطين الخربة التي تركت فهي تشبه هنا بعض المناظر في الصحراء إلا أنها هي وجه الشبه الوحيد بين هذه البلاد الجبلية العالية وبين صحرائنا الودود السهلة.

والوصف العام الذي يمكن أن يطلق على هذه البلاد الريفية أنها غير متقدمة، ولانقول متأخرة لأن ذلك يعني أننا نعرف أنها كانت على حالة جيدة من التقدم، تأخرت عنها ونحن لانعرف ذلك ويؤكد في أذهاننا هذا الوصف قطوع في الطريق الأسفلتي وشقوق وخروق فيه لم تصلح، مع أن إصلاحها لايكلف كثيراً.

تسجيل السيارات :

وصلنا إلى بوابة رديئة البناء، مهملة قد وقفت السيارات عندها وأكثرها حافلات متوسطة الحجم والأزفلت عندها خرب.

فنزلت لرؤية بعض الهنديات الوطنيات اللاتي يبعن أشياء تافهة أو مأكولات خفيفة نزرة على عادتهن في بيع البضائع الصغيرة ولقد وجدت بائعة معها طفلها فحملته بين يدي من أجل التقاط صورة له غير أن الأم فطنت لذلك فأسرعت تنتزعه ولكن كان أحد الإخوة المرافقين أسرع منها فالتقط هذه الصورة التي تبين ذلك ولا أدري سبب عدم رغبتها في التصوير مع أنني منحت طفلها بعد ذلك قطعة صغيرة من النقود.



المؤلف يحمل طفلاً هندياً لالتقاط صورة وأم الطفل تسرع لتنتزعه
منه وبدا في أسفل الصورة كلب أسود كبير

كما كان في المحطة بقايا بيت من الطين وقفت عنده والتقطت صورة له وللقمم الثلجية التي تطل على هذا السهل المرتفع الفسيح.



بائعة هندية بجانبها طفلها الذي يحدق في المؤلف باستغراب

على سطح الإنديز :

أوغل الطريق في السهل العالي الذي لم أر له تسمية أصدق من تسمية (سطح الإنديز) ومع ذلك فهو سطح أخضر من الأعشاب الندية النامية.

ولاعجب من ذلك لأن هذا الوقت هو موسم الأمطار، ولذلك رأينا ودياناً تسيل بمياه المطر من تحت الطريق وإن كان سيلها قليلاً.

وتنتشر فيه قرى الهنود الأمريكيين التي هي من الطين مثلما كانت البيوت عندنا في القرى من الطين غير أنهم هنا يجعلون سقوفها ممالة قليلاً كما يفعل أهل شمال الصين وأهل تركستان الشرقية في بيوتهم الريفية الطينية فيميلون سقف البيت إلى أحد الجانبين من أجل أن تنزلق عنه الثلوج إذا نزلت، وتسهل إزاحتها كما تنزلق

عنه مياه الأمطار بطبيعة الحال، وقد ذكرت ذلك في كتابي: «داخل أسوار الصين» و«في مهد الترك».



بيت طيني عليه حوشه وأمرأة من أهل المكان تسير غير بعيدة من بقايا الثلج

وهنا لم أر الثلوج في هذا السهل حتى الآن ولكنها لاتغيب عن النظر فوق هامات الجبال الشاهقة المحيطة.

وتحول دون بعض القمم سحب سوداء تجود بمائها هذا السطح الإنديزي المنيع.

وبعضها عليه سحاب وقد سقطت شمس الأصيل عليه وهي تميل جهة الغروب فكسته لونًا من النور يأخذ بالألباب لاسيما إذا تنقل البصر مابينه وبين السحب السود وبين ذلك وبين قرى الهنود على الأرض.

منطقة الصيد :

قال الإخوة المرافقون: إن هذه المنطقة يكثر فيها الحمام البري والأهالي لايصيدونه لأنهم لم يتعودوا على ذلك ولأن شراء البندق ورصاصها يصعب عليهم قالوا: فكنا نخرج إلى هذا المكان ونصطاد فيه من الحمام ماتشاء من دون حد، ومع الحمام هنا تكثر الأرانب وهذا هو الصيد الكثير، وأما الظباء وأمثالها فإنها كثيرة في أماكن أخرى غير هذا المكان.

قالوا وبعض الأغنياء غير المسلمين يخرجون إلى أماكن معينة يصطادون فيها الخنازير البرية لأنهم يأكلونها.

وعورة الطرق :

أسميت هذا السهل الذي نسير فيه الآن بسطح الإنديز وليس معنى هذا أنه شامل لجبال الإنديز العظيمة الممتدة ولكنه سطح لجزء صغير منها فماذا عن الطرق فيما حول هذا السطح وتحته.

عندما وقفنا في المحطة التي تقف عندها السيارات وأهمها الحافلات سألت الإخوة عن الغرض من ذلك فأجابوا: إنه تسجيل السيارات وعدد الركاب التي تحملهم قالوا والغرض من ذلك هو معرفة السيارات الذاهبة إلى الاتجاهات المختلفة حتى يعرف ماقد يفقد منها، وذلك أن الطرق وعرة في هذه المنطقة الجبلية الهائلة وكثيراً ماتتدهور سيارات في مهاو من الوديان السحيقة بين الجبال فلايمكن الوصول إليها وبالتالي لايعرف شيء عمن كانوا فيها فلا يعرفون عددهم ولا لمن تكون السيارة.

أقول: لقد رأيت بعيني بعض الوديان السحيقة الوعرة بين الجبال الشاهقة المخيفة فذكرت أن مجرد تصور المرور بها هو أمر مفزع.

وقال الإخوة المرافقون: إنه قد يحدث أن تتدهور سيارة في أحد هذه المهاوي الجبلية التي لايمكن الوصول إليها فلا يبحث أحد عنها لأنهم يعرفون أنهم لايستطيعون الوصول إليها وإنما يضعون صلباناً فوق الجهة التي تدهورت فيها بقدر ركابها فإذا كان عدد الركاب المفقودين أربعة نصبوا أربعة صلبان بمثابة الشواهد على قبورهم لأنها كالتي توضع على القبور.

هذا وقد استمر سيرنا مع الطريق الإزفلتي الذي حسنت حاله، وربما كان ذلك لأنه ذاهب إلى بحيرة (تي تي كاكا) التي يقصدها السائحون القادرون من أهل البلاد.



التقط المؤلف هذه الصورة من السيارة وهي مسرعة للطريق وبعض

بيوت الطين في السهل المرتفع في بوليفيا

وكأنما تجاوب المكان كله مع تحسن الطريق فحسن منظر الأرض وازدادت كثافة العشب ومررنا فوق وديان تسيل بماء قليل من ماء المطر لاتلبث أن تقف وإلا فإننا لم نمر بأنهار في السهل نفسه وربما لاتكون موجودة فيه.

كما مررنا بقطعان من الأبقار معها راعياتها الهنديات كما تكون الأعرابيات في الصحراء مع أغنامهن غير أن أوجه الفروق هنا أكثر من أوجه الأشباه وأهمها منظر الهندية وهي تسير وسط ثيابها الكبيرة المتعددة كأنها الخيمة الصغيرة وتحت قبعتها التي لاتفارقها بمشيتها (الأوزية) المميزة.

وعلى ذكر الأبقار سألت عن قيمة اللحم البقري هنا؟ فقالوا: إنه مائتا ألف بيزة للكيلو وهذا يساوي دولارًا ونصفا أو خمسة ريالات ونصفا من ريالاتنا السعودية وهذا رخص بالغ.

ورأيت قطعة صغيرة مزروعة بالقمح أو الشعير لا أدري، ولكنني كنت أعجب لخلو هذه المنطقة الباردة من زراعة القمح في هذا الفصل الممطر الذي هو أكثر دفئًا من فصل الجفاف البارد في شتائهم الذي هو صيفنا ويكون عندهم في يونيو ويوليو وأغسطس.

وأخبرني الإخوة العرب هنا أن أبرد ليلة في السنة عندهم هي ليلة الحادي والعشرين من شهر حزيران يونيو - وهي كما تعلم من أكثر الليالي عندنا حرًا.

وقد جرت العادة عندهم على أن يوقد كل شخص منهم نارًا بالحطب أمام بيته في تلك الليلة ويسمونها (ليلة سان خوان) ويشمل ذلك العاصمة حتى يصبح جوها كدرًا يلفه الدخان، لأنه لابد من أن توقد النار بالحطب فيشتري الناس الحطب بأثمان باهظة لايبالون بذلك من أجل أن يشاركوا في إيقاد النار في بيوتهم في تلك الليلة الباردة من ليالي شهر يونيو الشاتي !

وقال أحد الإخوة: ما ظنك بمليون شخص هم عدد سكان العاصمة إذا أرادوا جميعًا أن يشتروا حطبًا لتلك الليلة وإذا أوقدوا النيران كلهم؟!

قرية الطين الراقية :

ومررنا بقرية بيوتها من الطين ولكنه جيد ومعتنى به وبعض البيوت من طابقين رغم كونها من الطين ولكنهم يضعون لحوائطها أساسات من الأحجار ويطلون البيوت بصباغ جيد ملون.

وأعتقد أن هذا بأمر من الحكومة لأننا الآن أخذنا نقترب من الوصول إلى البحيرة السياحية أعلى بحيرة في العالم.

ورأينا قطيعًا صغيرًا من الخنازير فذكر لنا الإخوة ماعرفته عن سكان هذه الأقطار الأمريكية الجنوبية من كثرة أكلهم للخنازير ولكن الإخوة أضافوا أنه حتى الهنود الريفيين يحبون أكل لحم الخنزير ويفضلونه على لحم الخراف والبقر وربما كان ذلك جريا على عادة لهم قديمة لسهولة تربية الخنازير وكونها تأكل الأقذار والخبائث أو من أجل أن لحمها كثير الشحم ومعلوم أن البلاد البادرة يحتاج سكانها إلى أكل الدسم حتى تتكون على الجسم طبقة من الدهن تساعد على منع دخول البرد وهذا أمر معروف حتى في بلاد المسلمين الذين لايأكلون لحم الخنازير ولكن بلادهم تكون باردة فيكثرون من الدسم في طعامهم مثل تركستان الشرقية التي ألحقها الصينيون ببلادهم وأسموها: (سينكيانج).

وهذا التفضيل لأكل الخنزير من هؤلاء الهنود الذين كانوا وثنيين ثم نصرهم الأوروبيون ليس من أجل غلاء لحم الغنم والبقر فإن الخروف المتوسط يباع بما قيمته عشرون دولارًا.

على مشارف البحيرة :

قبل الوصول إلى بحيرة (تي تي كاكا) ظهرت رواب جبلية صغيرة خلفها تلال أعلى منها، وإن كنا لانزال في السهل ولكننا أخذنا نقترب قليلاً من قمم بعض الجبال التي تحيط بهذا السهل وإن كنا لن نذهب إليها أو نقصد الاقتراب منها لأن البحيرة دونها والوقت متأخر.

وكنت مشفقًا من استمرار إطباق السحاب في هذه الساعة المتأخرة من النهار مما قد يمنعني من التصوير ولكن الله سبحانه وتعالى قد يسر أن أشرقت الشمس في جهة المغرب عند وصولنا إلى البحيرة وكان ذلك على أثر مطر من سحاب قد تجلت الشمس منه قبل قليل فصار المنظر رائعًا حقًا بل يصعب أن يصفه المرء لأنه يشمل شروق شمس المغيب على قمم هذه الجبال الثلجية العالية فاكتست الجبال بذلك

حللاً جمعت بين ذوب الذهب ونصاعة الفضة بل أين الفضة منها؟ وإنما هي ذوب النور الأبيض كما أن القمم المتطامنة قليلاً التي تقع بعيداً عن الضوء المباشر للشمس قد اكتست رءوسها مشيباً فجاء الخيال ليقول: إن هذه هي عمالقة القرون قد أشابت نواصيها السنون كما قال ذلك في قمم أخوات لها في جبال الهملايا في ساعة مثل هذه الساعة أو بعد هذه الساعة بقليل.

وجاء خيال آخر ليقول: إن هذا المشيب عند المغيب كان ليذكرنا نحن أبناء الشرق البعيد بأن مدنية هنود الإنديز إذا كانت قد شابت كما تشيب هذه القمم الشهب عند المغيب فإن مدنيتنا الشرقية أيضاً قد تشيب بل قد تذوب كما تذوب شمس الغروب.

وتركنا الخيال الذي أثاره منظر هذه الجبال وعدت إلى الأرض أستجلي منظرها، وأسأل خبرها فأجدها سهلاً خصيباً يضم بلداً قريباً فيه بيوت الطين، وجميع من فيه هم مثل سائر سكان هذا السهل الجبلي من الهنود الأمريكيين.



بقايا الثلوج على جانب الطريق في السهل المرتفع في بوليفيا

وقبل الوصول إلى البحيرة مباشرة صار الثلج منثوراً على الأرض منشوراً يمين الطريق وشماله لأن المنطقة أرفع من المناطق الأخرى التي مررنا بها من هذا السهل.

وكنا قد أغلقنا زجاج السيارة اتقاء للبرد فكان منظر الثلج على الأرض وإن لم يكن كثيفاً منظراً لطيفاً.

وعلى البحيرة تقع بلدة (ورينا) وهي بلدة هندية أمريكية أصلاً وفصلاً وفعلاً وقولاً فتسميتها من تسمية قبيلة هندية اسمها (الإمارة) أو (العمارة) كما يحلو لمن يريدون أن يكون لفظ اسمها مطابقاً لكلمة مستعملة في لغتنا العربية الحبيبة الغريبة في هذه البلاد العجيبة.

وقبيلة (الإمارة) الهندية هي إحدى قبيلتين مشهورتين في هذه المنطقة والثانية هي (كشوه)، وأهل هذه القرى لايتكلمون الإسبانية لغة البلاد الرسمية ولغة سائر المواطنيين إلا من خالط منهم المدنيين وإنما بقوا يتكلمون لغتهم الهندية القديمة.

وقال لي أحد المرافقين: إن كاتباً نشر بحثاً زعم فيه أن هناك ثلاثة آلاف كلمة مشتركة مابين اللغة العربية ولغة (الإماره) هذه.

وقد ضرب مثلاً على ذلك بكلمة أو كلمتين كان الاختلاف فيهما واضحاً وكانت المقارنة بينهما متكلفة.

وربما كان بعضها جاء بطريق المصادفة المحضة نظراً للبعد السحيق مابين لغة كل فريق وفريق.



اختفت البائعة الهندية في آخر لحظة فظهر المؤلف بجانبه بضاعتها

وإن كان يمكن القول باحتمال أن تكون بعض الكلمات العربية قد دخلت إلى هذه اللغة من اللغة الإسبانية التي كانت قد حفلت بها الإسبانية وبخاصة في أول عهد الاستعمار الإسباني للقارة الأمريكية الجنوبية حيث كانت الكلمات العربية في الإسبانية أوفر واستعمالها كان أكثر ولايزال قسم منها كبير حيًّا حتى الآن في اللغة الإسبانية في إسبانيا نفسها وفي اللغة المحلية في الوقت الحاضر في أمريكا الجنوبية.

البحيرة:

تجاوزنا بلدة (ورينا) التي تقع على ضفة البحيرة مما يلي الطريق قاصدين فندقًا سياحيًا في مكان مختار من البحيرة فكان أجمل مافي المنظر جداول صغيرة تنساب من تحت الطريق قادمة من الجبال إلى البحيرة ولا أدري أهي من مياه الأمطار أم من ذوب الثلوج ولكن المؤكد أن البحيرة تتغذى بالمياه من الإثنين ومنظر بط بري

أبيض كبير يسبح في البحيرة وقال الإخوة المرافقون: إنه يمكن للمرء أن يصيد منه ما استطاع لأنه بري غير مملوك لأحد.

وعلى شعاب البحيرة قوارب صغيرة من التي كان يستعملها السكان الهنود القدماء ولايزالون وهي تسير بالمجداف.

وفي الأماكن الضحلة من البحيرة نمت مقادير من نبات البردى الذي ينتفع به الهنود يستعملونه في أوجه من الاستعمالات المختلفة.

وقفنا في ساحة الفندق وهو صغير كتب عليه أن مستواه هو مستوى أربع نجوم ولكننا في عجلة من أمرنا ولن نضيع وقتا في الجلوس في هذا الفندق أوفي مقهاته المدفأة وقد شعر الرفاق بالبرد وناهيك بأمسية على ضفاف بحيرة وبعد مطر غزير جدًا وفي جو ثالج يحيط الثلج فيه بجوانب الطريق.

أما أنا فقد أنستني روعة المنظر كل شعور آخر بالبرد أو نحوه وأخذت أسرع أغتنم فرصة تجلي الشمس من بين السحاب لالتقاط الصور.



المؤلف واقف بجانب حيوان (اللاما) على ضفة بحيرة (تي تي كاكا)

فكان من المناظر الجميلة منظر حيوان (اللاما) المشهور الذي تتميز جبال الإنديز به، بل هو حيوانها المميز الذي يكون فيها كما يكون الجمل في الصحراء وإن كان الجمل يستطيع أن يعيش بعد أن ينقل إلى جو غير صحراوي ولو كان لايستطيع أن يتكاثر فيه ويتوالد بصفة طبيعية.



صورة تذكارية قرب حيوان اللاما مع خليل دياب وزياد الصباغ

أما حيوان (اللاما) هذا فإن موطنه هي الجبال العالية لايبتغي بها بدلا.

وبعد أن شبعنا تصويراً وتصوراً لهذا المنظر بل لهذه المناظر الخلابة أردنا شرب فنجان من القهوة على عجل في مقهاة الفندق إلا أننا وجدناها خالية من الرواد وقال العامل فيها: إن ذلك يحتاج إلى إعداد يستغرق بعض الوقت فكان الوقت لدينا أثمن من شرب القهوة.



لم ينفر حيوان اللاما عندما اقترب منه المؤلف

وذلك من أجل أن نعود وفي نور النهار بقية، بل حتى ثمالة قليلة.



قبل الغروب بيت طيني هندي أمريكي بجانب الطريق تحيط به مياه الأمطار في السهل المرتفع في بوليفيا

العودة إلى لاباز :

وعدنا هذه المرة مسرعين ولم نقف إلا عند رعاة من الهنود وعند واحدة كانت تسير مع الطريق الأزفلتي وحدها إلا أنها كانت تسير في عدد كبير من ثيابها التي يقال إنها سبعة وطلبنا التصوير معها فأبت فتركناها وشأنها.



طفلة بوليفية ذات أصل أوروبي تحمل صغير (اللاما)

والعجيب الغريب أنه عندما حل الظلام وصار المرء لايبصر فيه قدمه، بل عجلات سيارته إلا من خلال نور المصابيح كانت القمم الثلجية لاتزال نيرة ناصعة البياض ثم ظلت وهي كذلك ترى كأنما هي مشرقة، بنور من ذاتها مع أنها كان ينعكس عليها ضوء الشفق البعيد وربما كان هو الشفق الذي يخيم على أماكن منخفضة.



منظر من المرتفع البوليفي بعد غروب الشمس

الاجتماع بالمسلمين :

كان من أهم الأمور التي طلبت من الأخ أحمد جميل الصباغ المساعدة على تحقيقها الاجتماع بالإخوة المسلمين في لاباز وذلك للبحث معهم في كيفية العمل على تأليف جمعية إسلامية تضمهم، وتعمل بالتالي على إنشاء المسجد أو على الأقل استئجار مكان يكون مقراً إسلامياً لهم تؤدي فيه الصلاة ويتعارف فيه المسلمون فيما بينهم.

وأخبرني الأخ الكريم الوجيه أحمد الصباغ بأنه سيجمع عدداً منهم في بيته في مساء هذا اليوم، وإن كان قال كما قال غيره بأن عدد المسلمين في لاباز قليل رغم كثرة العرب وانتشار سمعتهم، وعظم نفوذهم في ميدان المال والاقتصاد وذلك لأن أكثرهم من المسيحيين.

الأعلى في الأسفل :

ذهبت مع أحد الإخوة بسيارته إلى بيت الأخ الصباغ في حي اسمه (كالاكوتو) ومع كونه لايبعد كثيراً عن الفندق بحساب مسافة الكيلات فإنه يبعد كثيراً بحساب الدرجات بمعنى انخفاضه عن قلب المدينة الذي يقع فيه فندقنا وارتفاع الفندق كثيراً عنه، والموقع هنا مهم جداً في هذه المدينة التي تتعدد فيها مواقع الأحياء السكنية بل حتى المرافق العامة.

والمزية هنا للموضع المنخفض للمرتفع كما هي عليه الحال في أكثر البلدان، فإذا كان الحي منخفضاً كان أفضل سكنى وأغلى ثمناً.

ولذلك صار هذا الحي (كالاكوتو) حي الأثرياء والأغنياء وعرف سكانه بأنهم كلهم من البيض وهذا الوصف ليس له مفهوم بأنه يوجد سود من أهل البلاد، وإنما مفهومه أنه ليس من سكانه أحد من الهنود الخلص الذين هم سكان البلاد الأصلاء لأنه غالٍ مرتفع عن متناول أيديهم وجيوبهم، نظراً لانخفاض مستوى المعيشة عندهم بالنسبة إلى رجال المال والأعمال التجارية الرائجة ومنهم الأخ الوجيه (أحمد الصباغ).

ويبلغ انخفاض هذا الحي عن قلب المدينة مائتي متر كما يبلغ انخفاضه عن المطار الذي هو أعلى مطار في العالم - كما تقدم - ستمائة متر.

والانخفاض في الموقع مهم هنا من أجل أشياء كثيرة أولها: تخفيف الضغط على القلب في مكافحته للحصول على الأوكسجين اللازم وثانيها: سهولة الهضم بالنسبة إلى الأماكن المرتفعة جداً.

ولاينبغي أن يظن ظان أن هذا من سذاجة القول، بل هو الصحيح المجرب في هذه البلاد وبخاصة بالنسبة إلى الغرباء الذين يظلون يعانون من صعوبة في الهضم لفترة من الزمن حتى يتعودوا على هذا الجو، ويصبح الأمر بالنسبة إليهم معتاداً لايستحق الاهتمام وثالثها: الدفء وهو أمر مهم أيضاً هنا فالمناطق المرتفعة

وبخاصة في قلب المدينة أو منطقة المطار هي باردة إلى درجة مزعجة لمن لم يتعود عليها ويستمر بردها طول السنة وإن كان يشتد في فصل الشتاء عندهم الذي هو فصل الصيف عندنا.

ولاشك في أن كل ماذكرته هنا هو نسبي ويكون الأمر أخف قليلاً في هذه المنطقة المنخفضة من الأماكن التي هي أعلي منها ولكن لايعني ذلك أنها مبرأة من مساوئ الموقع العالي أو أن الأمر فيها يصل إلى ما هو عليه في المناطق المنخفضة أو قليلة الارتفاع عن سطح البحر.

ويعتبر هذا الحي الراقي أسفل المدينة وهو أفضلها كما قلت.

دخلنا بيت الأخ أحمد الصباغ فوجدته بيتًا فاخرًا واسعًا حديثًا جلسنا في غرفة الجلوس في الطابق الثاني منه فوجدنا طائفة من الإخوة المسلمين قد حضروا فيه ومعهم من غير المسلمين الأستاذ (جورج سلامة) مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في لاباز، وفيهم اثنان من العاملين في السفارة المصرية.



أحمد الصباغ في بيته جالس في أيسر الصورة على يساره المؤلف فعدد من المسلمين في لاباز

وبينما كان يتم تقديم أطعمة خفيفة للحضور لأن وجبة العشاء الثقيلة لاتحتمل في هذه البلاد مع الأشربة المباحة تكلمت فيهم بكلمة بينت لهم فيها المقصود من قدومي إلى هذه البلاد والغرض من الاجتماع بالإخوة المسلمين هنا مع أنه لم يحضر منهم الإ حوالي أحد عشر شخصاً فيهم مدير مكتب المنظمة والموظفان في السفارة المصرية وأكثر الذين حضروا هم من الفلسطينيين ماعدا المصري (علي أبو النور) تاجر السيارات الذي هو كل الرعية المصرية أو كل الرعايا المصريين خارج السفارة في بوليفيا، وبينت لهم أنه لايجوز أن يهملوا أمور دينهم، فيبقوا بدون مسجد يجمعهم للعبادة والتلاقي والاجتماع علي الخير وأن من الأمور المهمة أيضاً النظر في موضوع أولاد المسلمين وحمايتهم من الذوبان في هذا المجتمع غير الإسلامي ووجود عاصم لهم من أن يكون مصيرهم مصير أبناء الجيل الأول من المهاجرين الذين ذابوا في أمريكا الجنوبية فخسرتهم البلاد الإسلامية وخسرهم العرب، بل خسرهم أهلوهم وأسرهم فضلاً عن الأمر الأهم من ذلك وهو مسئوليتهم أمام الله سبحانه وتعالى عن تضييع هؤلاء الأولاد.

وقلت لهم : إنه يمكنكم أن تؤسسوا جمعية إسلامية رسمية ولو كانت باسم ثلاثة أشخاص ينضم إليها فيما بعد من يرغب من المسلمين وأن تبدأ هذه الجمعية فوراً باستئجار مكان مثل دار صغيرة تخصص للصلاة، ولتعليم الأطفال والكبار أمور دينهم ونحن في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة مستعدون للمعاونة على ذلك بدفع جزء من الأجرة السنوية للمقر وبإرسال شخص جامعي يؤمهم في المسجد ويدرس أولادهم وحتي كبارهم أمور دينهم، ويرشدهم إلى كل مايحتاجون إليه في هذا النطاق مثل تجهيز الميت، وعقد القران، والإفتاء في الأمور الدينية.

واستنهضت هممهم بضرب المثل باليهود - وليس لنا مثل السوء وإنما المراد ضرب مثل من التاريخ فقد حرص اليهود في مهاجرهم التي تفرقوا فيها في أنحاء الأرض على أن تكون لهم مدارسهم الخاصة، وأن يعهدوا إلى علماء وأحبار من

قومهم بتعليم أبنائهم، وأن يبنوا كنائسهم - جمع كنيس - في كل مهجر وأن يعلموا أولادهم اللغة العبرية التي لم تكن لغة مستعملة استعمالاً رسمياً في أية دولة، بل كان عدد العارفين بها من اليهود قليلاً لأنها لابد من أن يتعلمها اليهودي منهم تعلما لأن كل يهودي يتقن لغة التخاطب في البلد الذي يقيم فيه ودافعهم إلى تعلم هذه اللغة هو دافع قومي ديني، أما اللغة العربية فإنها لغة حية، بل لغة عالمية لها وزنها بين اللغات العالمية وهي لغة رسمية في الأمم المتحدة وماتفرع عنها من الهيئات الدولية، ولذلك يتعلمها بعض الأجانب من أجل المال والنجاح في الأعمال التجارية التي تتعلق بالبلدان العربية فإذا تعلمها العربي فإنما يتعلمها بدافع ديني ثقافي وبدافع قومي ثم بدافع مصلحي أيضاً لأنه يكون قد تعلم لغة حية راقية تنفعه حتى في التعامل الاقتصادي مابين البلاد التي يقيم بها في مهجره وبين البلدان العربية.

ولمست فيهم تجاوباً مع الفكرة، وإن لم يظهروا لي التصميم على التنفيذ العاجل.



أثناء الاجتماع مع المسلمين في بيت أحمد الصباغ في لاباز

وتعللوا بقلة العدد، فقلت لهم: إن هذا لايجوز أن يكون مانعاً من التنفيذ، بل بالعكس ينبغي أن يكون حافزاً إليه، لأن العدد القليل يكون معرضاً للذوبان أكثر من العدد الكثير، ثم إنكم الآن قليل، ولكن يمكن أن تصبحوا عدداً أكبر بل كبيراً عندما يكبر أولادكم، ويهاجر إليكم من إخوانكم من يهاجر فبوليفيا لاتزال قليلة السكان وبحاجة إلى مهاجرين من البلدان العربية، ثم إن هناك فرصة أخرى قد تنتهز وهي دخول عدد من السكان الأصلاء من أهل البلاد في الإسلام وذلك ليس بعزيز على الله، ولاهو غريباً على الدين الإسلامي الذي دخل فيه الناس أفواجاً ولايزالون يدخلون في سائر أنحاء المعمورة.

ويومئذٍ تكاثرون الآخرين من غير المسلمين بإخوانكم الداخلين في الدين الإسلامي الحنيف ولكن دخولهم يحتاج إلى مكان للعبادة كما يحتاج إلى معلم ومرشد وهذا مانتعهد به لكم إذا أتممتم تأليف الجمعية الإسلامية بإذن الله.

وبعد جلسة ممتعة بالنسبة إليَّ استمرت حتي قاربت الساعة الحادية عشرة عدت مع أحد الإخوة إلى الفندق.

يوم السبت ١٤٠٥/٧/٩هـ - ١٩٨٥/٣/٣٠م

مغادرة بوليفيا:

دفعت لفندق قلوريا ما استحقه عليَّ لنزول يومين في الغرفة ووجبة عشاء وشيء قليل من الماء المعدني فبلغ ذلك رقماً مخيفاً هو مليونان وسبعة وأربعون ألفاً وقد كفاه مافي جيوبي من نقودهم مع أنني لم أصرف إلا ستين دولاراً لهذا الغرض.

وكانت موظفة الاستقبال في الفندق سألتني البارحة عما إذا كنت سأغادر صباح غد السبت حسبما هو مكتوب لديها فأجبتها بالإيجاب، فقالت: لقد رتبت ترتيباً أن تدفع أنت نصف أجرة (التاكسي) إلى المطار والنصف الآخر يدفعه شخص في الفندق سيغادره إلى المطار في الوقت نفسه وذلك مايساوي أربعة دولارات

٣

أمريكية، وأن يكون الانطلاق في السابعة صباحاً فقلت لها: لابأس عندي من ذلك، فأعطتني رقم سيارة الأجرة واسم سائقها وأكدت عليَّ في ذلك قائلة: إنها لن تكون موجودة في الصباح لأنها تعمل في الليل.

وعندما أردت توديع الأخ أحمد الصباغ الليلة البارحة أصر على أن يكون التوديع في المطار وأن يحضر إليَّ في الساعة السابعة في الفندق لينقلني بنفسه ويودعني من هناك.

وقد شعرت بالإحراج من الموعد الذي قطعته للموظفة وقررت أن أدفع نصف أجرة (التاكسي) رغم ذهابي مع الأخ أحمد الصباغ.

ولكن مر الموعد الذي كان مقرراً أن ننطلق فيه من الفندق وهو السابعة وكان من المقرر أن يحضر سائق سيارة الأجرة قبل ذلك ولم يحضر السائق ولم يحضر الشخص المسافر وحضر الأخ أحمد الصباغ في السابعة والربع وأركبني بسيارته إلى المطار.

كان الجو بارداً في هذا الصباح وقال الأخ أحمد: إن الجو يكون بارداً في الليل بفارق كثير عن النهار مع أن النهار يكون بارداً أيضاً.

وقال: إن درجة الحرارة في الصباح تكون في حدود سبع درجات مئوية تقريباً.

وسرنا إلى المطار مع الطريق الذي اعتدت سلوكه وقد كتبوا عليه بالإسبانية (التو) ومعناه العالي أوالمرتفع.

ولك أن تتصور وقع هذه الكلمة (المرتفع) أو (العالي) وأنت تنطلق من موقع يعلو عن مستوى سطح البحر بثلاثة آلاف وستمائة متر.

ومازال عجبي يتجدد من اختيارهم لمكان العاصمة هذا الصعب الذي لايزال المرء يشاهد وهو ينزل إليها أو يصعد منها تلال الطين الخطرة تحيط بها، وبيوت الفقراء والعمال في السفوح غير المستقرة لتلال عالية لاتصل إليها السيارات

وليست فيها طرق مسفلتة، وإنما يجاهد أهلها في الوصول إليها على أقدامهم مع أن أكثرها بيوت طينية سيئة المظهر.

ويزيد الأمر صعوبة وهي تقع على جوانب طريق المطار أحياناً أن الحكومة قد أقامت لهم جسوراً للمشاة يصعدون عليها حتى لايؤثروا في حركة السير على الطريق فتراهم يصعدون من موقع عال إلى موقع عال فترثي لحالتهم مثلما فعلت أنا ذلك.

ومن طريق المطار يشاهد المرء سحباً بيضاً منخفضة جداً عن سفوح التلال العالية، وذلك لأنها تقع فوق وديان منخفضة فتبدو وكأنها هي تحاول أن تتسلق أو تتعلق بهذه التلال العالية فلا تستطيع وناهيك بموقع لايستطيع بعض السحاب أن يصل إليه.

ودفع الأخ أحمد رسمين على الطريق أحدهما لاختراق طريق المطار وقدره ستة آلاف بيزة والثاني قدره وبيانه خمسة آلاف بيزة لدخول المطار بالسيارة وينبغي أن نتذكر هنا أن علبة الكبريت أي الثقاب تباع بثلاثة آلاف وخمسمائة بيزة فالمبلغان كلاهما ثمانية سنتيمات أو ٨٪ من الدولار ويساوي ذلك حوالي نصف ريال سعودي.

وجدنا أن الموعد المحدد لقيام الطائرة إلى (اسينسون) عاصمة بارغواي هو العاشرة إلا الربع لا التاسعة والنصف ولم يفتحوا المكاتب بعد.

وقضيت بعض الوقت مع الأخ أحمد الصباغ على فنجان من الشاي في مقهاة المطار التي هي صغيرة مزدحمة بالشاربين.

وقد التقينا بمدير المطار مصادفة فسلم عليه الأخ أحمد وهو يعرفه معرفة جيدة فقدمني إليه ودعاني لدخول غرفة كبار الزوار والبقاء فيها كالمعتاد فأبيت ذلك، لأنه يحرمني من مشاهدة تصرفات الناس على طبيعتها والاختلاط بالعامة من أفراد الشعب وإن لم أقل له ذلك.

كما عرفني الأخ أحمد بعدد من كبار الموظفين ممن صادفهم في المطار فهو معروف بوجاهته وعلاقته الطيبة مع الموظفين الكبار.

وكان حديث عن هذا المطار الدولي الصغير وكيف أنه لاينزل فيه إلا عدد معين من الطائرات الخفيفة الوزن وذات الحمولة المعينة، وذلك لقلة الأوكسجين فيه بسبب الإرتفاع الشديد.

وأنهينا إجراءات السفر بسهولة غير أنهم لم يسمحوا لنا بدخول قاعة المغادرة رغم ذلك، وكلما راجعتهم للدخول، قالوا: انتظر قليلاً.

وتبين لي بعد ذلك أن السبب هو صغر القاعة وأنه كانت هناك طائرة مغادرة في رحلة داخلية وأن القاعة لاتتسع لركاب كثيرين مع أنه تبين أيضًا أن الركاب الذين سيسافرون منهم قليل جدًا، والصعوبة جاءت عند الدخول إلى القاعة عندما أصر موظف الجوازات على دفع رسم المغادرة، ولما أريته جوازي وأنه سياسي، قال: إن الأمر يحتاج إلى الحصول على بطاقة من وزارة الخارجية تؤكد بعدم دفع الرسوم، وجاء منهم موظف كبير أفهمني ذلك، وكنت قد ودعت الأخ أحمد الصباغ وانصرف قبل ذلك.

فدفعت رسم المغادرة المقرر خمسة عشر دولارًا أمريكيًا.

إلى بارغـــــــــــــواي

من لاباز إلى اسينسون :

برحنا مطار (لاباز) الصغير مع طائرة تابعة لشركة ايسترن إيرلاين الأمريكية الشمالية وهي من طراز بوينغ ٧٢٧ قادمة من بنما.

ولم يركب معي إلى (اسينسون) عاصمة (بارغواي) إلا أربعة أشخاص من ذوي المظهر الأمريكي الشمالي ووجدت في الدرجة الأولى قبلي ثلاثة فقط.

وكان قيامها في العاشرة والربع متأخرة نصف ساعة عن موعدها المقرر في الأصل، وعندما نهضت كان المنظر الغريب الذي لايمحو روعته التكرار هو منظر الجبال العالية ذات القمم الثلجية التي يأتي في مقدمتها - في الارتفاع وليس في الموقع - جبل (اليمان) الذي يبلغ ارتفاعه خمسة وثلاثين ألف قدم.

وقد عجز السحاب عن أن يجلل قممها وإنما اقتصر على ستر أكتافها مما ذكرني بمنظر جبل كلمينجارو العتيد العنيد في إفريقية الشرقية مابين تنزانيا وكينيا.

ثم مررنا بالقمم الوعرة التي تتخللها الوديان السحيقة وهي التي مررنا ببعضها في القدوم إلى (لاباز).

وقد أعجزني سحاب فيها عن أن أصورها تصويراً جيداً.

ثم أطبق السحاب حتى صار المنظر تحت الطائرة كالرغوة في صحن الغسيل.

ضيافة الشِّيب :

والشيب : بكسر الشين جمع شائب، وليس المراد الشيب بفتح الشين الذي هو بياض الشعر وإن كان الأخير ملازماً للأول.

عندما أطبق السحاب على الأرض تحت الطائرة التفت إلى داخلها التمس فيها منظراً مريحاً فوقعت على منظر كنت قد لمحته في أول الأمر فاستغربته إلى حد عدم التصديق وهو أن المضيف الوحيد في الطائرة هو رجل هندي أمريكي يظهر أنه من سكان جنوب الولايات المتحدة جاءوا به على هذه الرحلة لإجادته اللغة الإسبانية مع الإنكليزية وهو ضخم الرأس والوجه قصير الرقبة في حدود الخمسين

من عمره لايكرر النظر الوقوع عليه إلا مضطراً فمن الطبيعي ألا يكون في المضيف شئ من جمال الخلقة التي يرتاح إليها الرجل عندما ينظر إلى المضيفة مثلاً.

ولكن من غير الطبيعي ألا يكون فيه شيء من وجاهة المنظر التي ينبغي أن توجد عند من يخدمون في محلات عامة من الرجال.

ومن الغريب أنه عندما حان وقت تقديم الطعام والوقت وقت غداء حضر من الدرجة السياحية رجل كبير السن أيضاً، بل أكبر من الأول وهو أمريكي شمالي معتاد المنظر بما يعهد في كبار السن من الأمريكيين الشماليين من ارتخاء الجسم، وتغضن الوجه، وأخذ يباشر الخدمة ولم يكن في الدرجة الأولى أية مضيفة.

ولا أدري السبب في كونهم يجعلون المضيفين من الشِّيب، ومن الأشياء المخالفة للعادة بل إن العادة تجعلها منافية للذوق أن هذا المضيف الكهل الذي سقط أكثر شعر رأسه عندما أحضر الغداء أحضر معه وردة أعتادت بعض شركات الطيران على تقديمها لركاب الدرجة الأولى مجاملة لهم.

وناهيك بوردة يقدمها كهل أصلع متغضن الوجه.

إنك لاتدري أترثي للوردة بين أصبعيه أم ترثي لحالك أم ترثي للذوق الذي ظلمه أهل هذه الطائرة.

وجاء الغداء مناسباً لولا أن الصحن الرئيسي كان شواء من شواء البقر قد غلفوه بشريحة خفيفة من لحم الخنزير ولما ناديت هذا المضيف الكهل وقلت له إنني مسلم لاآكل لحم الخنزير - بادر قبل أن أكمل كلامي يحاول أن ينزع شريحة لحم الخنزير من حول الشواء البقري وهو يقول: ها قد أبعدته عنك، مع أن لحم البقر قد شرب من لحم الخنزير لأنه شوي معه.

فذكرت في نفسي المثل : الكلب أنجس مايكون إذا اغتسل، وقلت له: ياهذا، أبعد عني (لحمك) وإذا كان لديك سمك فأحضره لي فقال: إنه لايوجد لديهم سمك فاكتفيت بأكل الخبز بالزبدة والسلطة.

وهذا مثل من الأمثال الكثيرة على تخلف شركات الطيران الأمريكية عن الشركات الأخرى في الضيافة على طائراتها وفي إرضاء أذواق المسافرين معها، وقد جربت قبله شواهد عديدة على ذلك.

وحتى الأشواك والسكاكين هي غير صقيلة، ولامزية في هذا المضيف الكهل إلا إجادته اللغة الإنكليزية.

ونظراً لعدم وجود منظر في داخل الطائرة أو خارجها يستحق الاهتمام فقد فررت من ذلك إلى الكتابة وعند ما انكشف السحاب عن الأرض بعد فترة كان المنظر بلاداً جبلية، ولاعجب في ذلك لأننا لم نزل نطير فوق جبال الإنديز.

وعند الاقتراب من النزول تغيرت طبيعة الأرض إلى أرض جبلية أكثر سهولة وجبالها أقل ارتفاعاً وخضرتها أشمل بل في وديانها غابات ملتفة.

تدنت الطائرة وأصبحنا بالفعل نطير فوق أرض مختلفة تماماً عن جبال الإنديز العالية الوعرة وبدا المنظر من تحت الطائرة ريفياً بهيجاً ترصعه بيوت ريفية غير فاخرة.



صورة التقطها المؤلف من الطائرة لنهر باراغوي قرب العاصمة



وديان قرب جبال الأنديز

وفيه نهر كبير يتلوى بشدة وهو يقطعه في خضرة بالغة، وخصب ظاهر وطرق ريفية ترابية ذات تربة تميل للبياض.

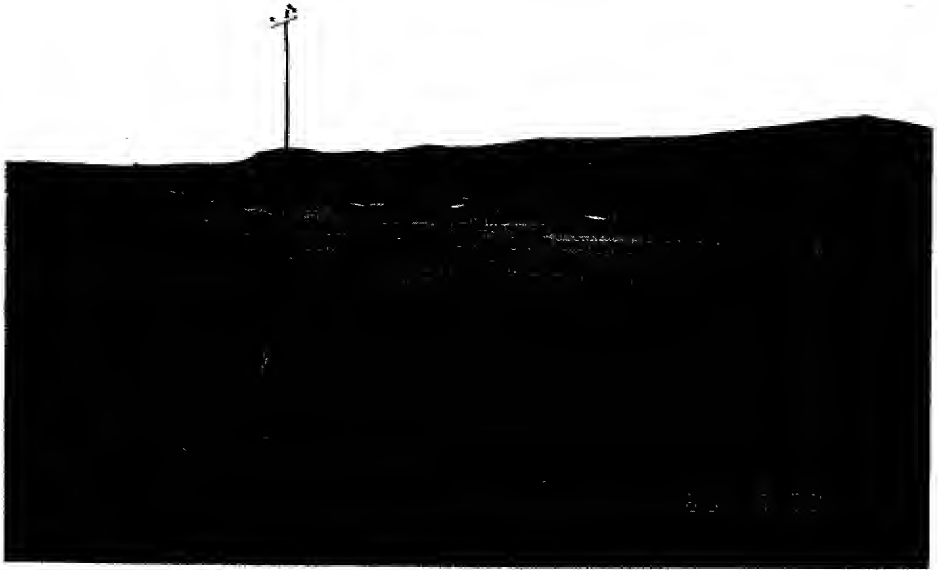
ثم تعدد منظر القنوات الكبيرة أو الأنهار الصغيرة المفعمة بالمياه في جو خصب، وكدر عليَّ المتعة بذلك سحاب ثقيل الظل، لم يلبث أن تجلى فأبصرنا نهر (بارغواي) الكبير.

في مطار اسينسون :

تدنت الطائرة إلى الأرض فبدأ نهر بارغواي بـهيج المنظر خصب الضفاف يقع في أرض سهلة مريحة للعين والفكر بعد منظر ريف لاباز الجبلي الوعر.

وفي الأفق البعيد تمتد مدينة (اسينسون) عاصمة (بارغواي) على الضفة الشرقية للنهر في موقع بهيج.

وقد بدت بيوت المدينة أكثرها حسن المظهر ذو سقوف حمر جميلة.



منظر من السهل الخصب (تصوير المؤلف)

وفي الثانية ظهراً هبطت الطائرة في مطار (اسينسون) عاصمة بارغواي بعد طيران دام ساعتين وأربعين دقيقة ولفت نظري في المطار وجود طائرات صغيرة كثيرة في المطار علمت بعد ذلك أنها طائرات خاصة مملوكة لبعض الأثرياء يتنقلون بها في أملاكهم الزراعية.

وتحف بالمدرج أعشاب برية تهتز سنابلها مما يدل على أنها في فصل الربيع عندهم وهو يكون في فصل الصيف وقد دخل فصل الخريف في هذه البلاد قبل أربعة أيام.

ومنظرها يبهج النفس، ويوحي باعتدال الموقع، وحتى منظر التربة هو جميل بالنسبة إلى تربة (لاباز) القريبة من مطارها.

والأهم من ذلك أن بناء المطار هنا أفخر من بناء المطار الدولي في لاباز عدة مرات فهو ثلاثة طوابق، وقد ألقموا باب الطائرة فم دهليز متحرك أفضى مباشرة إلى قاعة الوصول ووجدت عند البوابة طائفة يستقبلون أحد الركاب الذين كانوا معنا في الدرجة الأولى ومنهم نساء فأخذوا يصيحون من الفرح ويرحبون به بما لاأفهمه إلا أنهم يفعلون ذلك بأصوات مرتفعة تدل على عدم التزمت في المعاملة.

وداخل المطار جيد ولاسيما بالنسبة إلى مطار لاباز والناس الذين فيه نظيفو الثياب والأبدان.

وعند مكتب الجوازات كان جواز المسافر القادم يمر بأربعة رجال بعضهم لفحصه وبعضهم يختم عليه ولكن ذلك يتم بسرعة، وقال أحدهم وهو ينظر إليّ تارة وإلى جوازي تارة أخرى: (أرابيا سعوديتا) ؟ ولم يكن بحاجة إلى هذا السؤال إذْ الجواز بين يديه، ولذلك لم أرد عليه وهم لم ينتظر الجواب إذْ أعطاني الجواز بسرعة.

فانتقلت عنه إلى حيث انتظار الحقائب وكان الأخ علي الرحال رئيس الجمعية الإسلامية في مدينة (فوز دو قواسو) البرازيلية التي تقع على الحدود مع (بارغواي) قد أخبر الأخ محمد أبوفارس بالهاتف ونحن في سان باولو أنه سيهتف بالمسلمين في (اسينسوس) عاصمة البارغواي أن يستقبلوني في المطار فرأيت أشخاصاً نظيفي الثياب والأبدان يقتربون مني ويصافحونني فظننتهم أولئك الإخوة المسلمين، وكلمتهم بالعربية فلم يكلمني أحد منهم إلاَّ بالإسبانية بما مضمونه: أعطني بطاقات الحقائب وتبين أنهم من الحمالين الذين يريدون أن يحصلوا على أجرة نقل أمتعتي فخيبت ظنهم ولما جاءت الحقيبة كان مكان الجمرك غير بعيد منها فرأى ضابط الجمرك جوازي سياسيًا فعرضه على موظف أكبر منه، فرحب بي وأشار إلى جهة الخروج من دون تعويق.

وهكذا انتهيت بسهولة من هذا المطار الواسع الكبير بالنسبة إلى مطار (لاباز).

عندما خرجت كان المستقبلون من إخواني المسلمين موجودين بالفعل في المطار وعلى رأسهم الأخ الكريم (علي سعيد الرحال) نفسه الذي كلف نفسه السفر من البرازيل إلى البارغواي لكي يكون مع الإخوة المسلمين في استقبالي جزاه الله خيرًا.

وكنت لقيته قبل خمسة أشهر في مدينة (فوز دو قواسو) البرازيلية واطلعت على المسجد العظيم الذي يبنونه هناك، وقد ذكرت ذلك في كتاب «مؤتمرات إسلامية حضرتها» ومع الأخ علي غيره من الإخوة العرب المسلمين الذين يعيشون في (بارغواي) منهم الأخ يوسف رحال وخالد العميري.

في مدينة اسينسون:

عندما غادرت المطار ورأيت الأرض مستوية طبيعية والناس أيضاً بدا منظرهم بعيني هو المنظر الطبيعي فهم في مثل ألوان العرب الشماليين ومثلنا في تقاسيم الوجوه خيل إليَّ أنني بالفعل كنت في حلم عندما كنت في(لاباز) عاصمة بوليفيا

أعيش بين سكانها الأمريكيين الأصلاء من هنود الإنديز وفي أرضها الوعرة بل غير الطبيعية وقد أفقت من هذا الحلم الآن، لاسيما أن الدفء الشديد أو الحرارة في الجو هنا تعيدني أيضاً إلى الواقع الذي كنت فيه في البرازيل قبل الوصول إلى بوليفيا.

وبرؤية الأخ علي رحال معي هنا شعرت بالاطمئنان إلى أنني سأحصل على ما أريد الحصول عليه في (بارغواي) لأنه يعرف ذلك منى وسبق أن فعل ذلك لي في بلدته (فوز دو قواسو) في البرازيل.

سارت السيارة من المطار على طريق جيد الزفلتة تحيط به أشجار الظل، ثم وصل إلى بيوت ذات حدائق نضرة، بل إن خضرتها ذكرتني بمنظر الخضرة في المناطق الاستوائية رغم بعد مابين هذه البلاد وخط الاستواء ولكنها بلاد ندية خضراء.

ويبعد المطار عن قلب المدينة خمسة عشر كيلو متراً.

سلكنا شارعاً مهماً من شوارع المدينة اسمه شارع إسبانيا.



منظر من الجو لمدينة (اسينسون)

ومن المعروف أن إسبانيا هي رائدة الاستكشاف والاستعمار في هذه القارة الأمريكية الجنوبية ولاتزال اللغة الإسبانية شاهدًا عدلاً على ذلك، أما الأقوام الذين هم من أصل إسباني قح فإن عددهم ليس كثيرًا.

وهذا الشارع المهم في المدينة ليس واسعًا ولكنه جيد الزفلتة والأرصفة وتحف به دارات (فيلات) جيدة قالوا: إنها لكبار القوم وقد اشتهر قبل فترة بمقتل (سوموزا) الحاكم المطلق السابق (لنيكاراجو) في أمريكا الوسطى ولم يعلن عن معرفة قاتله حتى الآن، وقد قتل في شارع إسبانيا هذا من عاصمة (بارغواي).

دخلنا المدينة من هذا الشارع ولاحظت أن عدد الناس في الشارع قليل فقالوا: إن اليوم هو السبت وهو يوم عطلة لبعض المؤسسات ونصفه الثاني عطلة للجميع، وهذا ليس بغريب، وإنما الغريب ما أخبروني به من ساعات العمل اليومي هنا وهي أن القوم يتوقفون نصف النهار فيما يشبه القيلولة لمدة ثلاث ساعات من كل يوم وهي من الثانية عشرة حتى الثالثة ظهرًا، ثم يعاودن العمل في الثالثة حتى الثامنة مساءً، وهذا أمر غريب ربما كان سببه شدة الحر في الصيف في نصف النهار، وإلا فإن الصبر على العمل حتى الثامنة مساءً أمر متعب.

ويلاحظ المرء بسهولة جودة الزفلتة في الشوارع وهي مايخالف (لاباز) التي لاإزفلت في شوارعها وإنما هي مبلطة بالحجارة، كما أن الأرصفة هنا كلها جيدة إلاَّ أن الشوارع يغلب عليها الضيق بمفاهيمنا نحن السعوديين الذين نرى الشوارع الحديثة الفسيحة في بلادنا، وإن لم تصل هذه الشوارع (البارغويه) إلى درجة الضيق.

والسبب في أنها غير واسعة أنها قديمة نسبيًا وفي الوقت الذي أقيمت فيه كانت هذه السعة مناسبة.



شارع في أسينسون

ولاحظت شيئًا غريبًا أيضًا وهو وجود خط للقطار الكهربائي القديم (الترموای) ولايزال يعمل في شوارع محدودة وهم يحافظون عليه لقدمه وطرافته، وإلا فقد لاحظت أن الحافلات هنا كثيرة ومتعددة ولايجد القوم صعوبة في وجود وسائل مواصلات سواء في الحافلات أو سيارات الأجرة (التاكسي) التي هي مطلية بلون أصفر شبيه بالموجود في بلادنا ولقد شعرت بالحر وأنا في الملابس الثقيلة التي كانت علي في لاباز وزاد شعوري بذلك أن جميع الناس الذين أراهم الآن في الشوارع عليهم اللباس الصيفي وهو القميص مع السروال الغليظ (البنطلون).

قصد (الأخ يوسف رحال) بنا بيته وقال: إن الغداء جاهز لكم فاعتذرت إليه بأنني قد فرغت لتوي من تناول الغداء في الطائرة، وأفضل عندي أن أذهب الآن إلى الفندق فأغير ملابسي هذه الثقيلة وأسرع بإلقاء نظرة على هذه المدينة التي أدخلها لأول مرة.

فذهبنا إلى فندق كان الإخوة قد حجزوا لي فيه غرفة وهو فندق (تشاكو) ويقع في وسط المدينة.

عندما دخلناه سلم الإخوة على فتاة في مكتب الاستقبال سلام معرفة ومصافحة ثم التفتوا إليَّ يفسرون ذلك بقولهم: إنها (بنت عرب) أي: من أصل عربي ولكنها لاتعرف من العربية إلا كلمات معدودة كما هي حال أبناء المهاجرين العرب في هذه البلاد.

وأنزلوني في غرفة في الطابق الخامس لاتقل عن فنادق الدرجة الأولى بشيء وإن كان الفندق ليس من الفنادق الراقية بسبب صغر أفنيته وقاعاته.

وأهم من ذلك أن فيها شرفة عندما فتحتها وجدتها تطل من مسافة غير بعيدة على نهر بارغواي بجزر له خضراء في وسطه في منظر جميل استمتعت به ليس من أجل جماله فقط وإنما لأني استعدت ذكرى أماكن كثيرة كنت أطل فيها من شرفة غرفتي أو نافذتها على نهر مشهور في أنحاء متعددة من العالم مثل نهر الكنغو الذي كنت أطل عليه من فندقي في مدينة (برازافيل) عاصمة الكنغو وتقع شمالاً عن النهر ثم من مدينة كنشاسا في زائير وكنت أرى النهر نفسه من غرفة فندقي انتركونتننتال وأنا في الجنوب من النهر.

ومثل فندقي المسمى نهر البطة البيضاء في مدينة كانتون في الصين الذي يطل على مياه نهرين مجتمعين مختلطين في منظر رائع وفندقي في مدينة (ماناوس) عاصمة ولاية الأمازون في البرازيل الذي يطل على نهر الأمازون العظيم.

واستمتعت بالتقاط صورة له من الشرفة.



نهر بارغواي كما يبدو من شرفة الفندق

ورغم العطلة في هذا اليوم السبت فإنني لأزال أرى من الشرفة بعض المارة فأراهم أناساً معتادين بالنسبة لي من حيث هيئاتهم وألوانهم وكأنهم من سكان البلدان العربية بخلاف السكان في لاباز عاصمة بوليفيا، وأما الصرف فقد أخبرونا أن السوق الحرة أو التي تسمى السوداء هي التي ينبغي أن أصرف بها فالحكومة هنا لاتتعقب من يفعلون ذلك ولا تشدد فيه، وإنما تحدد سعراً إذا تجاوزه السعر الحر رفعته فصرفت الدولار الواحد بأربعمائة وخمسين قوارانای والقوارانای: هو اسم عملتهم هنا وهو مأخوذ من اسم قبيلة هندية من سكان البلاد الأصلاء الذين كانوا موجودين في البلاد قبل وصول الأوروبيين.

جولة في مدينة اسينسون :

اسمها أسباني معناه الانطلاق أونقطة الأنطلاق بعد التجمع وهي مدينة جيدة نظيفة كانت الجولة بسيارة الأخ يوسف رحال وقد صحبنا أخونا الكريم علي رحال أيضاً وهو الذي جاء من البرازيل إلى بارغواي ليكون في استقبالي.

بدأت الجولة في الرابعة والنصف عصراً، فسارت السيارة مع شارع في المدينة اسمه (شارع المكسيك) أفضى إلى ساحة اسمها على اسم دولة أمريكية جنوبية مجاورة هي (ساحة الأرغواي).

ومن الملاحظ أن المحلات التجارية مغلقة في مساء هذا اليوم السبت.

ثم انطلقنا إلى (شارع بالماس) وهوتجاري مستقيم إلا أنه ضيق فمررنا بساحة الشهداء يقصدون بهم الذين قتلوا في حروب سابقة بين هذه البلاد (البارغواي) من جهة وبين جارتيها بوليفيا والأرغواي من جهة أخرى.

وكل هذه الشوارع والساحات في القلب التجاري من المدينة وفيها مكاتب الشركات والمصارف (البنوك) وينبغي أن يذكر هنا أن هذه البلاد كأكثر بلدان القارة الأمريكية الجنوبية خالية من تأثير اليسارية أو القيود التي تحد من التجارة، فالتجارة فيها كلها حرة بالمعنى المفهوم، ولذلك كثرت فيها المصارف وفروع الشركات الأجنبية.

وفي هذا القلب التجاري لايمكن أن ينسى المرء أبناء العرب كما يسمونهم هنا في أمريكا الجنوبية على وجه العموم حينما يشيرون إلى المهاجرين أو أنسالهم فقد رأينا فندقاً كبيراً أشار إليه إخواننا وقالوا إنه يملكه ابن عرب اسمه الياس الرميلة لبناني الأصل.

ووجود الأثرياء أو الملاك من أبناء العرب في الأوساط التجارية وفي عالم المال والأعمال التجارية أمر ربما لايكون مستغرباً لأمثالي الذين يعرفون أن معظم العرب المهاجرين إلى هذه البلدان الأمريكية هم من التجار وقد جاءوا إلى هذه البلدان لهذا الغرض ونجحوا فيه ولعلى أستطيع أن أعقد فصلاً أوضح فيه السبب في نجاح المهاجرين من العرب في التجارة في أمريكا الجنوبية.

ولكن الغريب أن القوم هنا يحدثوننا عن نجاح آخر تحقق لأبناء العرب الذين هم في الحقيقة أبناء المهاجرين وليسوا المهاجرين أنفسهم فقد رقى بعضهم سلم الوظيفة والشهرة سواء في الجيش أو في الوظائف المهمة في الحكم وسوف يأتي حديث عن ذلك في فصل (العرب في بارغواي) بإذن الله.

قرب شاطئ النهر :

يقع فندقنا فندق (تشاكو) غير بعيد من نهر (بارغواي) الذي سمي باسمه هذا القطر كله وتقع عليه المدينة كلها وعليه ميناؤها المحلي وإن كان لايكفي لأن يكون ميناء عالمياً كما هو عليه الحال في عاصمة جارتها (أرغواي) التي تقع عاصمتها على نهر (لبلاتا) العظيم أعرض نهر في العالم كما سبق.

وقد رأينا بواخر نهرية كبيرة راسية في مياهه وأعداداً كبيرة من السفن الصغيرة الأخرى من أحجام مختلفة.

عند القصر الجمهوري :



مع علي رحال أمام القصر الجمهوري في أسينسون

وقفنا عند القصر الجمهوري وهو أبيض الطلاء كما هو عليه الحال في أكثر قصور رؤساء الجمهوريات في أمريكا الجنوبية وذو طراز أندلسي غير مكتمل الصفات، أي أنه ليس بذي الطرازِ الأندلسي الخالص وربما كان ذلك لكونه ليس عريقًا في هذه البلاد فأكثر القصور القديمة التي خلفها الإسبانيون في أمريكا الجنوبية والوسطى عندما جاءوا إليها مستعمرين هي على طراز إسلامي أندلسي خالص، لأن الإسبانيين انطلقوا إلى أمريكا الجنوبية يبحثون عن طريق مختصر إلى الهند من الغرب بدلاً من الشرق انطلاقًا من كون الأرض كروية بعد أن سقطت غرناطة آخر حصون المسلمين في الأندلس بأقل من عشر سنين وذلك بإرسالهم المستكشف المشهور (كرستوفر كولومبس) وعندما تم لهم ذلك كان طراز البناء الفاخر الذي يعرفونه بل أنه هو أنفس ماعندهم هو الطراز الإسلامي الأندلسي فبنوا عليه القصور الكبيرة في عواصم استعمارهم وبخاصة في ليما عاصمة بيرو التي كانت عاصمة للإمبراطورية الاستعمارية الإسبانية في كثير من بقاع أمريكا الجنوبية.

ولاتزال تلك القصور من أزهى الأبنية الموجودة في تلك البلدان ولايزال يسكن أكثرها رؤساء الجمهوريات، وتعتبر من الأماكن السياحية الهامة فيها.

أوقفنا سيارتنا عند مدخل حديقة واسعة تتقدم القصر فأشار إلينا جنود واقفون أن الوقوف هنا ممنوع فأخبرهم الإخوة أنني زائر غريب أريد أن أرى القصر والتقط صورة عنده فقالوا: إنه يمكنكم الوقوف في الشارع المجاور ثم العودة.

وهكذا التقطنا صورًا تذكارية مع الأخوة المرافقين ووجدنا وفدًا تلفازيًا لا ندري إلى أي بلد ينتمي ولكنه كان يصور مداخل القصر فصورنا وصورناه بطريق المصادفة ولاحظت أن جنودًا كثيرين كانوا يكنسون الشوارع المحيطة بالقصر الجمهوري وهم بملابسهم الرسمية، ولاأدري السبب ولم لم يقم بهذا العمل كناسو البلدية إلا أنني لاحظت وجود علم آخر مرفوعًا إلى جانب علم بارغواي الوطني ربما دل ذلك على أنهم ينتظرون ضيوفًا يحلون عليهم في القصر.



وبجانب القصر الجمهوري عدة دوائر حكومية وبالقرب منه حديقة رئيسية في المدينة اسمها (حديقة بوليفر) نسبة إلى سيمون بوليفر الذي تسبب في استقلال عدة أقطار في أمريكا الجنوبية عن الاستعمار منها فنزويلا وكولومبيا وبوليفيا وباسمه سميت دولة (بوليفيا) التي قدمت منها أمس.

وتطل على الحديقة مما يلي المدينة كنيسة كبيرة اسمها: «كا تدرال اسينسون» أي كنيسة اسينسون وكانت هي الكنيسة الرئيسية للعاصمة القديمة مما يدل على أن الجزء القريب من النهر، هو جزء قديم من المدينة، وإن كانوا قد جددوا بعض أبنيته.

ثم انطلقنا مع شارع (مارشال لويس) وهو شارع سكني فاخر تقع عليه عدد من السفارات من أهمها سفارة الولايات المتحدة الأمريكية وهي ذات حديقة واسعة يخيل إليك إذا رأيتها أنها حديقة عامة من سعتها.

ولاغرو في ذلك لأن للولايات المتحدة في هذه البلاد مصالح اقتصادية عظيمة وشركات تجني أرباحاً طائلة إضافة إلى مكانتها الدولية العظمى المعروفة.

وأكثر المنازل في هذا الحي على هيئة دارات (فيلات) من طابقين ذات سقوف حمر، ويلفت النظر فيه كما في داخل المدينة أن الأرصفة فيها جيدة، وبعضها فاخر وقل أن ترى رصيفاً في حالة سيئة وهذا يدل على العناية من المسئولين في البلدية والدولة، لأننا نرى في كثير من البلدان النامية أن حالة الأرصفة فضلاً عن حالة الشوارع تدل من أول مايراه المرء في أوساط المدن على حالة البلدة ونشاط إدارتها وقد يستشهد على ذلك بحالة الأرصفة في مدينة القاهرة التي لايستطيع الإخوة المصريون أن يفاخروا بها الآن بعد أن كانت من أنظف المدن العالمية.

وهذه البلدان الأمريكية الجنوبية حرص أهلها على أن تظهر عواصمهم بمظاهر لائقة وقد حصلوا على ذلك بالفعل والإزفلت في الشوارع جيد أيضاً فقل أن ترى فيه حفراً أو نقراً أو أماكن متقطعة إضافة إلى نظافة الشوارع وتشجيرها وبخاصة في هذا الشارع السكني الفاخر شارع (مارشال لويس).

وغير بعيد من السفارة الأمريكية يقع بيت رئيس الجمهورية الجنرال (كروستر) وقد حكم البلاد منذ ثلاثين سنة ولايزال يعتبر من أواخر جيل العسكريين أو الجنرالات الذي كان يحكم كل أقطار أمريكا الجنوبية تقريباً في الماضي وتقلص الآن حتى لم يبق في الوقت الحاضر إلا (بارغواي) وحدها.

التشجير والتزهير :



الزهور في أسينسون

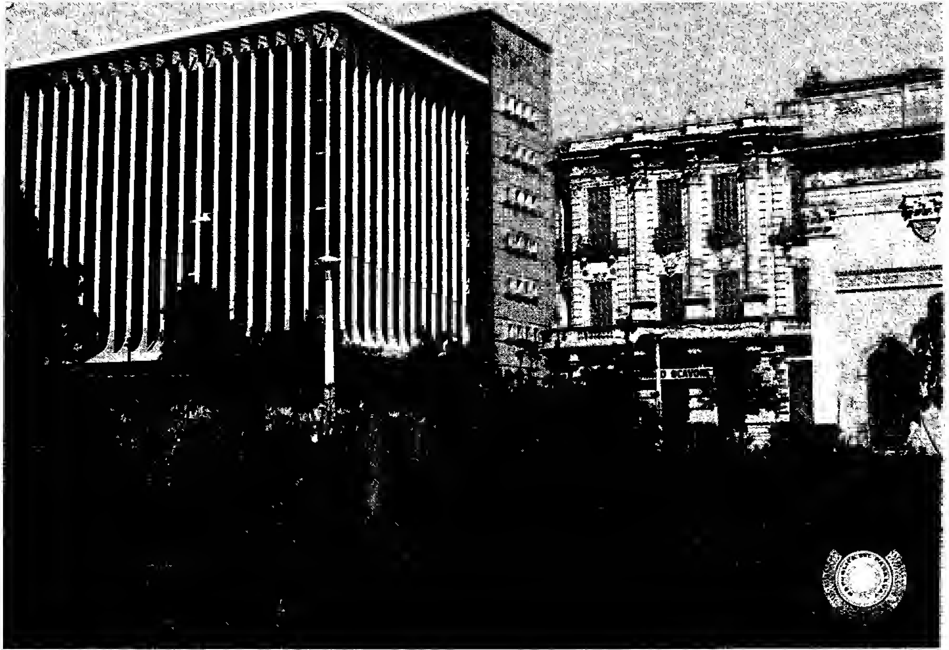
تحفل شوارع هذه العاصمة البارغوية بأشجار من أشجار الظل كثيرة قد غرست على حواشي شوارعها لايكاد يخلو منها شارع من الشوارع وإنما الاختلاف في كثافة التشجير أو قلته أو في العناية بالأشجار في الأحياء التي يسكنها الأثرياء وذووا الشأن من الناس.

إلى جانب بعض الأزهار التي نبتت في الحدائق العامة أو حتى في حدائق البيوت ذات الأسوار القصيرة فيكاد المرء وهو يسير في شوارعها السكنية يظن أنه يسير في حديقة خضلة الأشجار، نضرة الأزهار.

ولاشك أن من أهم أسباب ذلك اعتدال الطقس ووفرة الأمطار والرطوبة التي إذا أضيفت إليها هذه المياه الضخمة المتدفقة في نهر (بارغواي) الذي تقع عليه المدينة كان ذلك ثروة مائية ضخمة، وقد أخبرنا الإخوة المقيمون هنا أنهم لايفقدون المطر في كل فصول السنة وإن كان يختلف كثرة وقلة في بعض الفصول.

شارع الأرجنتين :

مررنا بحدائق متعددة في الشوارع وهي ممايعتنون به، وإن كان لايكلفهم شيئًا يذكر بالنسبة لما تكلفه الحدائق ويتطلبه غرس الأشجار في البلدان الجافة التي تشكو نقصًا في المياه مثل بلادنا.



الحدائق بجانب البيوت في أسينسون

ودخلنا في شارع الأرجنتين ونلاحظ من هذه التسمية وماسبقها كثرة تسمية الشوارع والميادين التي سميت بأسماء أقطار أمريكية جنوبية مجاورة أو حتى أسماء أقطار في أمريكا الوسطى مثل (المكسيك).

وعلى شارع الأرجنتين منازل لعلية القوم ووجهائها من الوزراء والنواب.

وهو شارع سكني طويل نسبيًا.

والنظرة العامة إلى الناس الذين يسكنون هذه المدينة أنهم بيض ولكنهم ليسوا شقرًا فهم من أهل جنوب أوروبا الذين اختلط بعضهم ببعض، ولم يختلطوا اختلاطًا له تأثير ظاهر بالسكان الأصلاء الذين يسمون بالهنود الذين تغلب السمرة عليهم.

وقد أكسب الجو السكان البيض هنا شيئًا من السمرة جعلتهم يشبهون سكان البلدان العربية الشمالية مثل سوريا ولبنان وتونس إلا أن بواطنهم تختلف اختلافًا كثيرًا عن ساكني البلدان العربية المذكورة وذلك من خلال ما رأيناه من ظواهرهم وماسمعنا عن أخبارهم من الإخوة العرب المقيمين في هذه البلاد فهم حدثونا أن الحرية الاجتماعية عندهم ليس لها حدود وأن الدولة لاتتدخل لحماية الأخلاق أو ما يغار منه الرجل الغيور.

ولقد رأيت النساء الآن في هذه الشوارع وغيرها وقد تخففن من الملابس في هذا الجو الحار ولاتكاد تستثني منهن واحدة في هذا الأمر.

ثم وصلنا إلى شارع يعتبر من مداخل المدينة الرئيسية لمن يقدم من الريف أو حتى من البرازيل وهو يعج بالحافلات القادمة من الريف ومن أطراف المدينة، وهي حافلات غير فاخرة وفيها سيارات نقل صغيرة وكبيرة وأقل مافيها السيارات الصغيرة المريحة وقد جعلوا فوق الشارع جسرًا صغيرًا للمشاة وكتبوا عليه بالإسبانية (بونيفدوس) وهي تعني مرحبًا بالعربية أو (خير مقدم).

في سوق شعبي :

ذكر لي الأخوان المرافقان أنه بالقرب منا يقع سوق شعبي مزدحم فرغبت الاطلاع عليه رغم مافي الوقوف من مشقة على صاحب السيارة لكثرة السيارات وصعوبة العثور على موقف خالٍ حوله، وهو على هذا الشارع الرئيسي الذي يدخل إلى المدينة منه وليس على ميدان واسع مثلاً.

وكنت أؤمل أن أرى فيه مما تنتجه البلاد من الفاكهة والخضروات والأعشاب الغريبة خصوصاً ونحن الآن نعتبر في منطقة نائية من قارة أمريكا الجنوبية النائية عن بلادنا العربية ولكن الأمر لم يكن كذلك.

إذْ رأيت أن أكثر مافيه هو من المصنوعات الخفيفة كالأحذية والألبسة ونحوها، وأما ما نطلبه فإنه معتاد وهو واقع في جزء من هذا السوق الذي يتألف أكثر مافيه من بضائع مصنعة.

ومن ذلك نوع معتاد من البصل يبيعون الكيلو الواحد منه بربع دولار أمريكي، ونوع من البطاطس أسود اللون يبيعونه بربع دولار أمريكي للكيلو الواحد، أو مائة وعشرين قواراناي الذي هي اسم عملتهم في هذه البلاد.

وكذلك من الأطعمة الكثيرة فيه طحينة الذرة، وشيء من (اليام) الذي يشبه الكاسافا وهو عروق نبات تنبت في باطن التربة كما ينبت البطاطس ويستعمل غذاء رئيسياً لعدد من الشعوب الإفريقية الواقعة تحت خط الاستواء وذكروا لي هنا أن الذي يشتريه ويستعمله هنا هم الهنود السكان الأصلاء وعرضوا البيض ويبيعون الاثنتي عشرة منه بثلثمائة قواراناي ويساوي ذلك ريالين ونصف.

وكذلك رأينا تفاحاً مستورداً من الأرجنتين، وأحذية مستوردة من البرازيل.

وكان الزحام عندما دخلناه في حدود الخامسة والنصف على أشده فلا يكاد المرء يشق طريقه بين الناس، ومن الملاحظ أن جميع الباعة فيه من النساء فهن بهذا الفعل يشابهن الإفريقيات وأهالي جنوب آسيا الشرقي مع أنهن يخالفنهن في اللون فكلهن من دون استثناء من البيضاوات من سائر أهل البلاد.

ولاحظت أن من عادتهن المسارعة إلى محادثة الرجال والجرأة الكبيرة على ذلك، فما أن أقف لأتأمل شيئًا حتى يسارعن بالحديث وربما تنضم الجارة في السوق إلى جارتها في أبتغاء الحديث والفرجة على هذا الغريب الذي يحدق فيما لايحدق فيه الآخرون ممن خبروا بضائع السوق ومافيه.

وحتى المشتريات أكثرهن من النساء، ولايوجد فيه إلا قلة قليلة من الرجال.

ومن النظرة العامة لهذا الحي الذي يقع فيه السوق أنه معتاد فلا هو بالفاخر ولابالرديء وأن الشعب المزدحم هنا يعتبر من الشعوب البيضاء.

شارع الولايات المتحدة :

خرجنا بأنفسنا من هذا السوق المزدحم ومن الطريق التي توصل إليه وهي أشد ازدحامًا منه حتى عثرنا على موقف السيارة التي كان سائقها وصاحبها الأخ يوسف رحال قد بقي فيها لأنه لايستطيع مغادرتها بسبب عدم وجود الموقف المنظم.

فسارت السيارة حتى دخلت في شارع رديء ليس بواسع، اسمه (شارع الولايات المتحدة).

وأغلب الشوارع هنا متقاطعة وفيها إشارات المرور يما يعوق الإسراع في السير، ولكن هذا أمر لابد منه في وسط المدينة المزدحم.

أما الجسور فإنها على وجه العموم قليلة جدًا حتى في الضواحي المتسعة التي تسهل إقامة الجسور فيها.

وأرض المدينة القديمة ليست مستوية، بل فيها انخفاض وارتفاع غير حاد وقد زفلتوا شوارعها وهي على حالها لأن بيوتها المتعددة الطوابق (العمارات) قد أقيمت وهي على هذه الحالة، على شاطئ النهر.

وهذه الساعة من ساعات الأصيل هي أولى بالذهاب إلى شاطئ النهر وتنسم هوائه العليل، لاسيما إذا كان ذلك في الحديقة أو بين النخيل وإن كان نخيلاً غريباً عن بلادنا العربية بل هو نخل دخيل، لايشارك نخلنا إلاَّ في هذا القدر القليل من الاسم الذي لابد أن تكون معه صفة مميزه ومن شكل مشابه ولايماثل.

كانت الوقفة على شاطئ نهر (بارغواي) في جزء منظم من حديقة (سيمون بوليفر) وهو معتنى به لأنه واقع في القسم الفاخر من المدينة الذي يقع على النهر وإن كانت هناك أقسام أخرى من المدينة واقعة على ضفة النهر ولكنها غير فاخرة بل إن أطرافها مهملة.

وهذا الجزء يطل عليه مبنى مجلس النواب الذي يعتبر قديماً عندهم بسبب حداثة التاريخ المتمدن في هذه البلاد فقد أخبرونا من باب التنويه بذلك والإعجاب به أن تاريخ بنائه كان في عام ١٨٤٧م.

وفي هذا الجزء من الحديقة مقاعد خشبية متناثرة جميلة الطلاء حسنة المظهر، وعليها طوائف من الشعب من الذين يحبون أن يقضوا الأمسية في هذه الحديقة المنسقة، بجانب نهر بارغواي وقد بلطوا الممرات في حديقة (سيمون بوليفر) هذه تبليطاً جميلاً فكان مايلي مجلس النواب منها وهو يعتبر ركناً مهماً من الحديقة قد بلطوه ببلاط ملون وأما الأجزاء الأخرى فإن ممراتها مبلطة بطريقة معتادة.



الشارع المبلط عند حديقة سيمون بوليفر

ولقد شعرت بسرور عظيم هنا من أجل اعتدال الجو وجمال المناظر والأهم من ذلك هو الشعور بأنني قد دخلت بلاداً غريبة عليّ بعيدة عن بلادي، وأخذت أستجلي معالمها وأطلع على نواحيها بمثل هذه السهولة وبصحبة هؤلاء الإخوة من المسلمين العرب المهاجرين إلى هذه البلاد الذين نفعتنى صحبتهم لأنهم يتكلمون العربية، ويمكن الاستفسار منهم عن كثير مما يشكل عليَّ من أمرها بخلاف ما لو كنت قد تجولت فيها مع حافلة من حافلات السياح التي يتكلم مرشدها بالإنكليزية ويكون معه جمع غفير من السياح لايتمكن الواحد منهم من أن يستفسر منه عن كل مايريد، ولايستطيع أن يطلب منه إعادة مايحتاج من كلامه إلى إعادة، وقد أمضينا وقتاً على شاطئ النهر وصورنا ماشئنا فيه من الصور.



مع الأخ علي رحال في المنطقة الجيدة القريبة من نهر بارغواي

وسألت الأخوة عن هذا الميناء الذي أراه كبيرًا على هذا النهر أيكفي ميناء للبلاد؟ فأجابوا: إنه ليس ميناء عالميًا لأنهم أرادوا أن يكون لهم ميناء بحري يتصل اتصالاً مباشرًا بأعالي المحيطات - كما يقال - فأعطتهم البرازيل ذلك في ميناء (باراناقوا) في جنوب البرازيل على الميحط الأطلسي وقد ذكرت الكلام على (باراناقوا) في كتاب «على أرض القهوة البرازيلية» والمراد بإعطائهم الميناء البرازيلي أنهم أباحوا لهم وذلك وإلا فإنهم لم يملكوهم إياه بطبيعة الحال.



قرب الميناء النهري على شاطئ نهر بارغواي

وتجولنا في حديقة (سيمون بوليفر) وبخاصة ماكان منها منسقًا تنسيقًا خاصًا مما هو قريب من مجلس النواب فرأيت شجرًا لها هيئة قريبة من هيئة نخيل الزينة ولها طلع شبيه بطلع النخل إلا أنه طويل مسترخٍ استرخاء متناسقًا حتى يشبه شعر المرأة الطويل المرسل.

فالتقطت صورة تذكارية للأخوين المرافقين تحت هذه الشجرة وسألنا عنها الشرطي الذي كان واقفًا قريبا منها من جملة جنود من الشرطة كانوا واقفين في أركان مجلس النواب من الخارج على صفة الحراسة فلم يعرفها، وتطوع اثنان كانا واقفين فأجابا بأن اسمها (بالميرا) وهذا اسم نوع من النخيل وإن تكن بعيدة عن نخيلنا المباركة.



شجرة بالميرا في الحديقة التي يقع عليها مجلس النواب في بارغواي

في مقهاة بارغوانية :

جلسنا في مقهاة نظيفة مثل سائر المرافق العامة هنا من مقهاه ومطاعم ومشارب نجدها نظيفة بل في غاية النظافة وشربنا شايا فيها واسمه عندهم (تاي) مثلما هو بالفرنسية وهذا هو اسمه بالإسبانية وأما اسمه بالبرتغالية التي هي لغة أهل البرازيل فإنه (شاه) القريبة من كلمة (شاي) العربية العامة وهي الأكثر قرباً من كلمة (شاهي) العامية في بلادنا.

وكانت المقهاة تقابل بناء ضخماً من حوالي عشر طبقات ذكروا أنه مقر وزارة المواصلات والأشغال العامة.

والبناء حديث ضخم إلا أنه واقع على شارع ضيق وهذا عيب من عيوب الأبنية الكبيرة الضخمة.

قضينا بعض الوقت في هذه المقهاة في تبادل مفيد للأحاديث المتعلقة بأهل هذه البلاد وبخاصة منها المتعلقة بأحوال العرب المهاجرين السابقين منهم واللاحقين.

حديث عن القبيلة في بارغواي :

لم أكد أستقر في غرفتي في الفندق حتى هتف بي هاتف ذكر أن اسمه عبدالعزيز حاج أحمد وأنه (ابن عرب) يريد أن يقابلني.

نزلت إليه في قاعة الجلوس فبادرني قائلاً يعرف بنفسه: إنني عربي سوري من الرقة في سوريا اسمي عبدالعزيز حاج أحمد وأنا من (سخانة شمر) وأخوالي آل فلان من قبيلة عنزة، فكانت هذه مفاجأة لي إذْآخر ماكنت أظنه أن أجد من يحدثني عن القبائل العربية أو انتسابه إليها في عاصمة بارغواي التي يكفي للتعريف بالعربي عند أهلها أن يقال : إنه عربي لايفرقون في ذلك بين عربي من المغرب الأقصى أو من عمان مثلاً.

وبعد حديث معه قلت له: إنني شاهدت من شرفة هذا الفندق الذي أسكن فيه لافتة على فندق مقابل اسمه فندق دمشق أو (داما سكو هوتيل) فسر لذلك وقال: أنا كنت صاحب ذلك الفندق وقد بعته على آخر واستبدلته بفندق آخر في شارع اسمه شارع (لويس هريرا) فأزمعت أن أسمي فندقي باسم (فندق أبي هريرة) على اسم الصحابي الجليل أبي هريرة ولكن بعض الإخوة من العرب ثنوا عزمي عن ذلك وقالوا: إن بعض الناس قد يظنون أن هذا تحريف لاسم صاحب الشارع، وقال: إن هناك أمرًا آخر منعني من تسمية فندقي بفندق أبي هريرة الصحابي الجليل وهو أن نسبة من العرب المهاجرين إلى هذه البلاد هم من غير أهل السنه

ولم يقل: إن النصيرية الذين يشتركون مع الشيعة في هذه المسألة وهي عدم موالاة الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه هي السبب في ذلك.

وقال لقد أسميت فندقي الجديد باسم فندق سوريا وإنني أسعى الآن إلى إنشاء مركز إسلامي فيه وأرجو مساعدتكم على ذلك.

وبعد حديث طويل ذكر الرجل فيه أنه مهاجر سوري وإنه تزوج هنا من (بنت عرب) لاتعرف العربية، اتفقنا على زيارته في فندقه، وتفقد المركز الإسلامي الذي يقول إنه أنشأ نواته في فندقه صباح بعد غد الاثنين.

تمشية ليلية :

لم يكن لدي ما أفعله في هذه الأمسية والبلدة غريبة بالنسبة إليّ ولم أستسغ أن أطلب من الإخوة الذين بقوا معي في النهار أن أتعبهم في الليل أيضاً فخرجت أتمشى فيما قرب من فندقي الذي يعتبر في وسط المدينة بعد أن أخذت بطاقة الفندق معي لئلا أضل السبيل عند الرجوع إليه، أو أنسى اسمه عندما أريد أن أبحث عنه.

فكان أول ماصادفته حديقة جامعة كبيرة رأيت الناس رغم كون الوقت ليلاً قد ملأوا أركانها وأكثرهم من الأسر التي خرجت لتقضي جزءاً من أول هذه الليلة التي يسفر صباحها عن يوم عطلة هو يوم الأحد.

فكان جلوسهم محتشماً وكانت الحديقة على كونها مكاناً عاماً معتماً هي من أحسن مايقضي المرء فيه من الأمكنة ساعات من ساعات الليل لهدوئها واحتشام من فيها ولم أر فيها مايكون في مثيلاتها من أي شيء يخدش الحياء، وينافي الآداب العامة عند أمثال هؤلاء القوم.

ثم خرجت إلى شوارع المدينة فأطلقت لقدمي العنان، ولفكري الخيال، وجعلت أتنقل من شارع إلى شارع، ومن زقاق إلى زقاق والقوم في أثناء ذلك من مشاة ومن غيرهم يقلون في الشوارع فهم مثل الثلج الذي قيل إن بائعه كان ينادي عليه في بغداد ويقول: «أيها الناس ارحموا من رأس ماله يذوب».

فرأس مال الإنسان هم الناس الذين يتفرج برؤيتهم وهم هنا يقلون بسبب تقدم الوقت في الليل، وذهاب أكثرهم إلى النوم ماعدا شوارع مخصوصة فيها المقاهي

والمطاعم ولكن ليس مما يستحيا منه في أمثال هذه البلاد شيء فلم ألاحظ في وسط المدينة شيئًا غير معتاد حتى المارة والمارات لايلاحظ المرء أية ريبة في تنقلاتهم.

ولقد رأيت في ركن من أحد الشوارع سائق سيارة أجرة قد أضاء المصباح الذي يعلو السيارة ووقف بالقرب منه ينتظر الراكبين فحييته وتحدثت معه حديثًا نزرًا ملفقًا من كلمات من الإسبانية يحسنها دوني وكلمات من الإنكليزية أحسنها دونه، وقلت له من بين ماقلت وهو ليس ممن يستحيا منه أيضًا: إن الأمكنة هنا كلها شريفة، وطبيعية ولايلاحظ الغريب شيئًا مريبًا فيها، فأجاب: نعم إن الأمر كذلك وهذا هو الذي عليه قلب المدينة، ولكن هناك أماكن مخصوصة متعددة لمن يريدون من السائحين أن يذهبوا إليها وإنني بها خبير، فقلت له وكيف ينظر الناس إليها وإلى من يدخلون فيها؟

فأجاب: نظرة معتادة ليس على ذلك زيادة، فالمرء حر في أن يدخل ما يشاء من الأماكن إلى من يشاء من الأناسي مادام أنه لم يضر غيره ولم يخالف القوانين، وليس في الدخول إلى تلك الأماكن مايكون كذلك.

ثم قال: وهناك أشياء وأشياء وراء دخول تلك الأماكن فتستطيع أن تجد فيها من يؤنسك أو من يصاحبك إلى فندقك.

فقلت له: شكرًا على إفادتك ولاشكر على نصيحتك وبيني وبينك هذا الليل البهيم الطويل ثم تركته وانطلقت عائدًا إلى الفندق.

يوم الأحد ١٠/٧/١٤٠٥هـ - ٣١/٣/١٩٨٥م

إلى جزيرة الهنود:

طلبت من الإخوة في هذه البلاد أن أرى هنودًا خُلَّصًا من هنود البارغواي الذين كنت أعرف من قبل إنهم موجودون في بعض المناطق وكانت لهم صولة وجولة في البلاد قبل مجيء الأوروبيين يكفي للتدليل عليها أن اسمها واسم جارتها (أرغواي) مأخوذ من لغة هؤلاء الهنود المسماة (قواراني) وتعني هذه التسمية بلغة قواراني لغات الهنود هنا: الطائر المنقط أي أن اسم النهر عندهم هو (نهر الطائر المنقط) بل كانوا هم أهل البلاد الأصلاء لايشاركهم في ذلك أحد غيرهم آنذاك.

وهم هنا لايرون بشكل ظاهر في العاصمة، وإذا رأى المرء أحدهم فقد يكون هندياً مختلطاً بهؤلاء الأوروبيين المتغيرين فيكون متغيراً مثلهم.

وقد أخبروني أن للهنود جزيرة في نهر (بارغواي) قريبة من العاصمة اسمها: (ايزيلا دي لوس انديوس) وأنهم لم يكونوا رأوها قبل ذلك وإنما سمعوا بها سماعاً لذلك سيكون في ذهابهم معي فائدة لهم وتلبية لرغبتي.

مر علي الأخ خالد عبده عميري وهو شاب مسلم سني من البقاع في لبنان بسيارته التي يقودها بنفسه ومعه أخونا الكريم (علي سعيد رحال) الذي حضر من البرازيل إلى (باراغواي) أو الباراغوي كما يحلو لبعض الأخوة من العرب أن يعرفوا هذا الاسم بإدخال (ال) التعريفة العربية عليه.

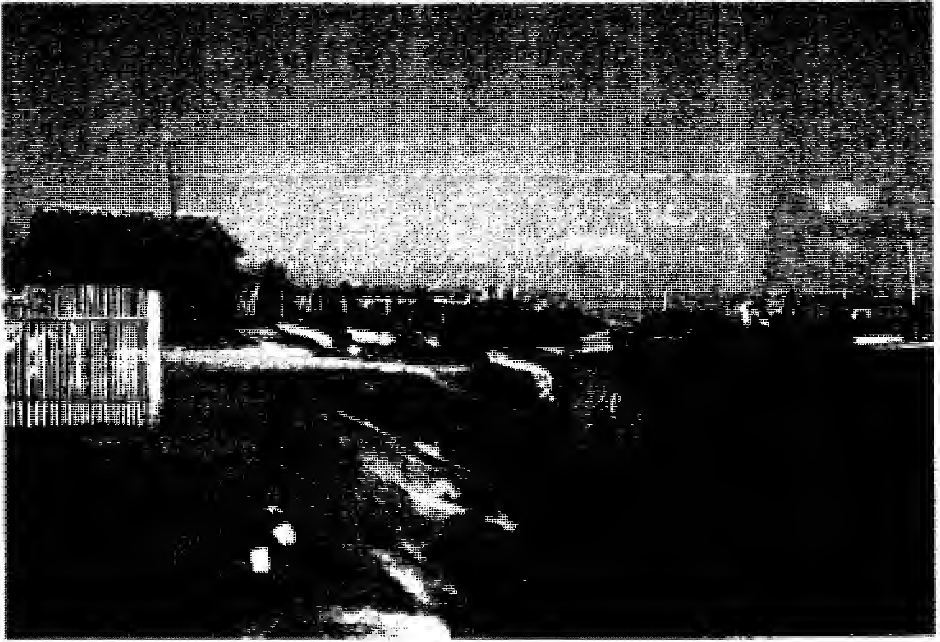
انطلق الأخ خالد بسيارته قاصداً ضاحية من البلدة غير بعيدة من فندقنا (تشاكو) الذي يقع غير بعيد -أيضا- من ضفة نهر (باراغواي) واخترقنا الجهة القريبة من فندقنا وهي الفاخرة في المدينة ثم تجاوز ذلك قاصداً ضاحية ريفية مهملة من المدينة وهي واقعة في جهة الشمال منها إلا أنها حافلة بالأشجار الطبيعية الضخمة وأرضها ذات أعشاب كثيفة متشابكة وكلها وحشية أي : ممماينبت عفواً ولم يزرع إلا أن الطريق إلى هذه الضفة من النهر في الضاحية مرصوف بحجارة دون أزفلت.



الحي غير الجيد في أسينسون

وأوقف سيارته على ضفة النهر في انتظار القارب النهري الذي سيحملنا مع السياح إلى جزيرة الهنود التي اسمها بالإسبانية كما سبق (ايزيلا دي لوس انديوس) فايزيلا: جزيرة و(دي) أداة إضافة تقع بين المضاف والمضاف إليه ولوس هي: «ال» التعريفية إذا دخلت على كلمة تدل على الجمع، وانديوس: هنود.

وفي الساعة التاسعة جاء قارب بخاري صغير عليه سقف يقي من الشمس وهو خشبي رث وقد أقبل من النهر وكأنما انشق عنه الماء، فلم نكن نراه من بعد ولعله جاء من منعطف وقد امتلأ بالركاب تقريباً وحمولته ثلاثون راكباً.



القارب السياحي على مرسى شاطئ نهر بارغواي

عنوان الكتاب :

وكان سائق القارب وجابيه عنواناً على سكان الجزيرة فهما من الهنود الأمريكيين ومن منزلة وسطى مابين هنود الأمازون الذين يوجدون في المناطق الاستوائية في البرازيل وفي فنزويلا وهم من أحط أنواع الهنود الأمريكيين من حيث التفكير والوجاهة في المنظر وبين هنود الإنديز الذين يوجدون في جبال الإنديز الشاهقة في بيرو وبوليفيا والأكوادور وهم أكثر رقياً وأكثر وجاهة وأجمل أشكالاً إضافة إلى أجسامهم التي لايوجد فيها نحيل إلا مافيما ندر.

ولكي أقرب إلى القارئ الكريم منظر هؤلاء الهنود (الباراغوانيين) إن لم تكن سبقت له رؤية أحد الفريقين أقول إنهم يشبهون الجنس المغولي إلا أنهم أقل بياضاً وجمالاً فهم أقرب مايكونون إلى السمر من التايلنديين لولا أنهم أغلظ أجساماً من التايلنديين بقليل.



على ضفة نهر بارغواي في الوسط علي

رحال وإلى يمينه خالد عبده العميري ويساره المؤلف

سار القارب جهة الشمال فوق مياه من النهر لونها يميل إلى الحمرة القاتمة (أي البني الفاتح) إلا أنه لايصل إلى لون النهر الأسود في الأمازون مثلاً الذي يصل لون مياهه أحياناً إلى لون القهوة الخفيفة كما ذكرت ذلك في كتاب: «على ضفاف الأمازون» وتأملت النهر فرأيت فيه بواخر صغيرة ومتوسطة والتقطت صورة من النهر لمدينة (اسينسون) التي تقع على ضفته وهي تبتعد عن النظر.



نهر باراغواي عند أحد ضواحي العاصمة اسينسون

وتجلى الطمع أو ما أسميه عدم النظام في هذه الرحلة إلى جزيرة الهنود عندما أعلن لنا الجابي النفقات التي يجب على الراكب أن يدفعها وهي غريبة تضمنت مايلي:

٣٠٠ قواراناي أجرة الركوب في القارب.

١٠٠ قواراناي عند إرساء القارب في الجزيرة.

٢٥٠٠ قواراناي حلوان أو (بخشيش) للعمال الذين يعملون في القارب والجزيرة كما قال الجابي الذي هو أحدهم.

ويساوي الدولار الأمريكي أربعمائة وخمسين قواراناي كما سبق وعلى هذا تكون المبالغ غير كبيرة إلا أنه تبين أن المسافة للجزيرة قريبة لم يزد زمنها على عشرين دقيقة وأن هذه المصاريف الغريبة ليست هي كل شيء كما سيأتي.



التقطتها من القارب وهو يسير في نهر بارغواي

أما الركاب فإنهم من جنسيات مختلفة ففيهم زوجان من الأرجنتين وأناس ذووا مظهر أوروبي يحملون أدوات تصوير تلفازية ربما كانوا سياحًا أو فريقًا من التلفزة وقد تأملت وجوه اليابانيين مقارنة بوجوه هؤلاء الهنود الأمريكيين في هذه البقعة النائية من أمريكا الجنوبية فوجدت أوجه شبه بينهما كثيرة مما يرجح القول بأن أصولهم كانت من الشرق الآسيوي إن لم يرد على ذلك السؤال الذي يرد على الذهن وهو من أين أتى أولئك إلي الشرق الآسيوي؟ وإذا كانت الإجابة عليه صعبة فإن القول بأنهم نشأوا في أمريكا وكانت أشكالهم مقاربة لأشكال أولئك الآسيويين الشرقيين يصبح معقولاً مثلما يقال في سكان جزر جنوب المحيط الهادي الذين هم من السود وحمل ذلك بعض الناس على القول بأنه ربما كانت أصولهم

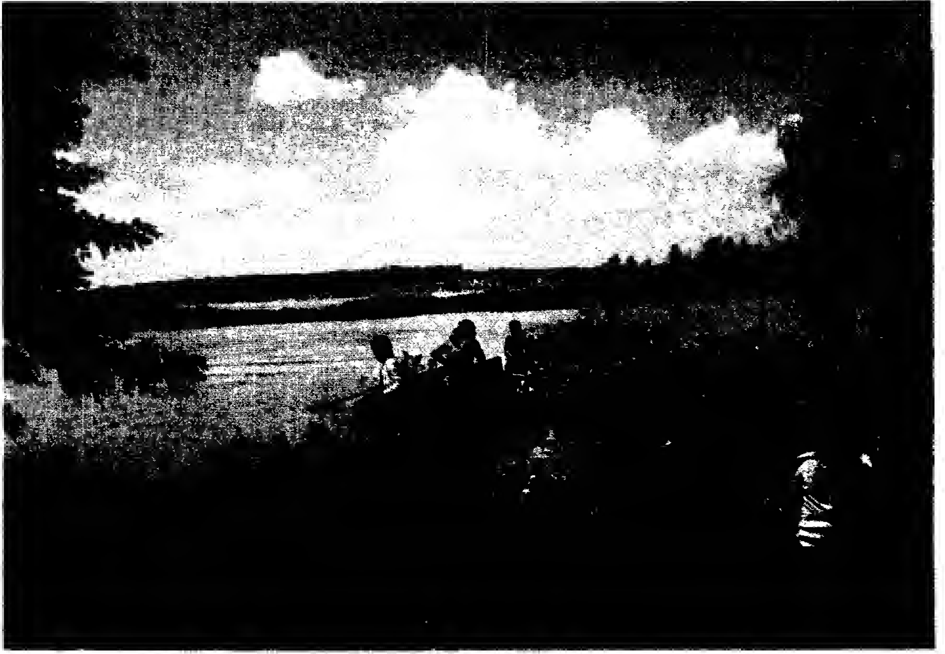
الأولى قد هاجرت من القارة الإفريقية إلى هذه الجزر لمجرد جامع اللون الأسود في السكان وهذا يتناسى أن ظروف البيئة التي وجدوا فيها في جنوب المحيط الهادي تشبه إلى حد كبير ظروف البيئة فيما وراء الصحراء الإفريقية جنوباً من القارة الإفريقية، ولاأدري لم لايسرع إلى الذهن عندما يرى المرء قوماً بيضاً فيسأل عما إذا كانوا من الأوروبيين وإذا ما رأي قوماً سمراً يسأل عما إذا كانت لهم قرابة بالعرب أو الهنود.

والواقع أن السبب في ذلك أن الأوروبيين والعرب قد رأوا أشكالاً من الأقوام الذين يشابهونهم في اللون ويخالفونهم فيما عدا ذلك حتى وقر في أذهانهم أن مجرد التشابه في الألوان وبعض التقاسيم في الوجوه لايدل بالضرورة على التقارب في الأصول فضلاً عن وحدة تلك الأصول.

وأكثر التشابه مابين هؤلاء السياح اليابانيين الذين هم معنا، وبين هؤلاء الهنود البارغوانيين هو في تقاسيم الوجوه وفي أشكالها المميزة مثل بروز الوجنتين وصغر العينين وإلا فإن ألوان اليابانيين هي بيض بالنسبة إلى ألوان هؤلاء الأمريكيين السمر.

عند الإرساء في جزيرة الهنود :

كان أهم مايميز ساحل الجزيرة في المنظر عندما وصلنا إليها أعشاباً مائية نابتة على سطح الماء بكثرة، وأطفال للهنود يستقلون قارباً منحوتاً من الأخشاب ربما كان لايختلف كثيراً عما كان يستعمله أجدادهم قبل وصول الأوروبيين إلى أمريكا.



عند الوصول إلى جزيرة الهنود

ومنظر غريب لطيف وهو أن أطفالاً من أطفال الهنود رأيناهم تحت شجرة كبيرة نابتة على الشاطئ وقد طوقتها مياه النهر الضحلة وبعضهم يسبحون تحتها في النهر وبعضهم كانوا قد صعدوا فوق الشجرة فلما رأوا قاربنا قد أرسى أسرعوا يتقافزون في الماء وانتهزت هذه الفرصة فأخرجت المصورة أريد أن ألتقط لهم صورة وهم يسبحون إلا أنهم عندما أوشكت على التقاطها وهم يعرفون ذلك من تجربتهم مع السياح غاصوا في الماء حتى خيل إليَّ أنه ابتلعهم وطويت المصورة آسفًا ثم بدت لي فكرة ذكية أعجبت بها وهي لماذا لا أصوب المصورة نحوهم وأتركهم حتي إذا خرجوا صورتهم وهكذا فعلت إلا أنهم أخذوا بفكرة أخرى ذكية لتفادي ذلك وهي أن يطل بعضهم برأسه من الماء ثم يخبر جماعتهم وهكذا يتنفسون واحدًا واحدًا أو اثنين اثنين ولذلك لم أستطع أن أصورهم إلا عند ما أمرهم الدليل

أن يكفوا عن الغوص لأنني وقفت وحدي في القارب بعد أن نزل الركاب الآخرون منه.



أطفال الهنود بعضهم على الشجرة وبعضهم غائص في مياه النهر

ضريبة الصور :

عندما أرسينا في الجزيرة لم نكد نسير خلف الدليل قليلاً حتى وجدنا صفا من فتيات الهنود كلهن من الشابات وقد تزين ولبسن ألبسة مغرية وبعضهن قد نقشن وجوههن بالأصباغ كما كانت تفعل نساء الهنود القدماء.

وقد سارعن إلى الركاب يتوددن ويبتسمن يطلبن أن يلتقطوا صوراً لهن مع السياح.

وقد تبينت السبب عندما أعلن الدليل أن ثمن أية صورة يلتقطها السائح هو مائتا (قواراناي) ويساوي ذلك نصف دولار أمريكي وقال الدليل: إن هذا المبلغ يدفع للذي يلتقط السائح الصورة معه لأنهم في هذه الجزيرة ليست لديهم موارد للرزق إلا ما يحصلون عليه من السياح.

وقد عرفت أن سبب تزاحم الفتيات ونساء أخريات على التصوير هوالحصول علي قيمة الصورة إلا أنهن يبالغن في ذلك وربما كان ذلك بسبب أن بعض السياح يشجعونهن على ذلك الفعل، فكن يقتربن من السائح عند التصوير إلى درجة الاحتضان.

وقد اصطف صف منهن في حدود العشر وأخذن يدعون السياح لالتقاط صور تذكارية معهن وهذا أمر غريب تزول غرابته إذا تذكرنا أنهن يتقاضين نقوداً عن كل صورة تلتقط لهن قدرها مائتا (قواراناي) أي ما يقل قليلاً عن نصف دولار أمريكي، هذا والمنظر في الريف الذي أرسينا فيه هو ريف مهمل أو يكاد يكون كذلك ليس فيه من آثار المدنية الحديثة شيء ظاهر ربما كان ذلك مقصوداً لكي يبقى للجزيرة مظهرها السياحي الذي يشعر بأنها تمثل الحياة الهندية القديمة.

ثمن الحياء :

لا أستطيع الجزم بأن فتياتهم يستحين في الأصل ولكنهن يبعن ذلك بدرهيمات قليلة ربما كن من أول أمرهن ممن عدمن الحياء كلية، فالذي رأيناه الآن من أمرهن يدل على ذلك فقد كن يتزاحمن على السياح يحاولن أن يلتقط السائح صورة لهن وكن في هذه المرةِ يكن فرادى وجماعات غير المرة الأولى التي كن فيها صفا صفا عند أول دخول السياح.

وإذا رضي السائح بأن يلتقط الصورة معهن والرضا منه هو لأنه هو الذي يدفع النقود - جعلن يلصقن أجسادهن به، وذلك من أجل أن يرى الصورة غيره فيأتي لجزيرة الهنود هذه وينفق مايستطيع أن ينفقه من نقود وكن قد صبغن وجوهن بصباغ أو أصبغة متعددة زعموا أن ذلك مما كانت الهنديات الأصيلات يفعلنه في القديم.

شيء مخجل :

والمخجل في الأمر منظر رأيته منهن عندما انصرفنا مع الأخوين (علي رحال) وخالد عميرة وبعض السياح، والتفتنا ننظر إلى الدليل وبقية الرفقاء وإذا بصف منهن قد خلعن كل ملابسهن العليا التي على صدورهن وهي قميص نسائي قصير الأكمام وظهرن بهذه الصفة ليس على صدورهن شيء يسترها وإنما هي مجردة من اللباس.

وهن يتضاحكن ولايبالين وأسرع أحد الرفيقين يستطلع الخبر فعرف أنهن فعلن ذلك استجابة لطلب أحد السياح الذي دفع لهن ألف قواراناي وهو مبلغ يساوي أكثر قليلاً من دولارين اثنين.

وقد حدا بالسائح إلى ذلك معرفة تقاليدهن، دون أن يكون محبة النظر إليهن وهن على تلك الحالة من العرى لأن (باراغواي) وجيرانها من البلدان الأمريكية الجنوبية ليست في درجة من المحافظة تجعل أهلها يشتاقون إلى هذا المنظر، وإنما دفعه إلى ذلك محبته في أن يعرف إسراعهن إليه جهاراً نهاراً وسط الزحام من السياح وقومهن الهنود.

وهكذا رأينا ثمن الحياء غير الموجود لدى عشر منهن لايزيد على دولارين أمريكيين إلا قليلاً وبعد قليل من ذلك لحق بنا الدليل وقال لبعضهم وهو يؤمن على ذلك أتحبون أن تتفرجوا برؤية صدور هؤلاء الفتيات مقابل مائة (قواراناي) للواحدة فاستبشعنا ذلك وانتهرناه!

أين الدعوة الإسلامية؟

المسلم المخلص لدينه يتذكر الدعوة الإسلامية على كل حالة لكن القوم هنا لفتوا نظرنا بأفعالهم لأشياء عديدة.

أولها أننا رأينا على البعد بناء كبيراً وجيهاً بالنسبة إلى بيوت الهنود وهو مستطيل على هيئة سنام فسألنا عنه فأخبرونا بقولهم: إنه كنيسة للأهالي.

ولم يكن على هيئة الكنيسة، ولا ما يقرب من ذلك وليس له برج وليس فوقه صليب فاستفسرت عن ذلك فقالوا: إنها كنيسة بوذية سبب وجودها أن أحد الكوريين البوذيين حضر إليهم ودعاهم إلى البوذية فتحول كثير منهم عن مسيحيتهم الهشة أو لنقل عن وثنيتهم فصاروا بوذيين وعمروا هذه الكنسية وأخذوا يتعبدون بها.

ومنها هذا الفراغ من الدين والضلال البعيد الذي لاشك في أنه لو وجد دعاة إلى الإسلام يدعونهم لسارعوا إلى الدخول فيه لأن الإسلام دين الفطرة وهو الذي يعمر القلوب بالطمأنينة والرضوان حتي مع الفقر والحرمان.



مع الدليل السياحي الهندي بالقرب من الكنيسة البوذية في جزيرة الهنود

وتساءلت كما في هذا العنوان عن الدعاة إلى الإسلام؟ وكان الجواب محزنًا بل مفزعًا لأننا هنا قد فقدنا حتى رأس المال فصار المسلمون على قلتهم يذوبون في المسيحيين فكيف بنا نرجو منهم أن يدعوا إلى الدين؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

بيوت من التاريخ :

سرنا نتبع الدليل في الجزيرة وسط بيوت غير منتظمة وكلها على هيئة أكواخ بنيت من الأخشاب بطريقة رديئة تدل على الفقر وقلة ذات اليد.

وليس المراد من ذلك مجرد إلفات النظر إليها لأننا رأينا واحدًا أو اثنين منها للقادرين أحسن حالاً من سائرها.



بيوت الهنود في الجزيرة

فهي مقامة من الخشب والخرق وبعضها مستور بقماش ملفق وبعضها بالخشب وأكثر مايبنون البيت حول شجرة كبيرة من الأشجار التي نبتت بطبيعتها فيستفيد أهل البيت من ظل الشجرة للجلوس ويعلقون عليها بعض الأشياء المهمة ومن ذلك أن ربة بيت قد علقت على الشجرة حبلاً وضعت في أسفله قماشاً لفت فيه طفلاً لها رضيعاً وجلست بجانبه تصنع حاجتها وتهز هذا الحبل ليتأرجح بالطفل كلما احتاج إلى ذلك.

وأكثر ما رأيتهم يبنون البيوت بالقرب من مياه النهر وذلك من أجل غسل الأواني والثياب من مياهه القريبة ولقد رأيت واحدة منهن تغسل ثياباً لها وقد قعدت علي الماء الضحل فوق الرمال.

وحتي الأطفال الصغار تراهم يلعبون في مياه النهر الضحلة فتجزم بأن هؤلاء القوم كانوا منذ القديم قد اعتادوا على الحياة الطبيعية بين الماء والغابات أي أنهم كانوا من سكان الغابات الذين يعتبرون من البدائيين غير المدنيين.

وعندما شعرت الفتيات أن الأغراء بالصور معهن قد انتهى بادرن إلى حمل بضائع صغيرة لهن من قلائد من الأصداف أو أشياء تافهة من الأخشاب وجعلن يعرضنها على السياح كما يفعل بقية القوم من أطفال، ونساء غير شابات يعرفن أن السياح لايحبذون التصوير معهن، وبعض الفتيات ممن هن في مظهر أحسن كن يتابعن السياح على أمل أن يطلب أحد التصوير معهن.

وأذكر أن واحدة منهن عندما رأيتها تتابعنا تذكرت التايلنديات فهي لاتكاد تختلف عنهن فقلت لأحد الرفيقين ممازحاً اسألها عما إذا كانت لاتمانع في الزواج من عربي ينقلها إلى بلاده البعيدة؟

فكان جوابها السكوت مع شيء من الارتباك (والبكر أذنها صماتها).

منذ أربعين سنة :

كان دليل الرحلة الهندي الأصيل الذي ليس في وجهه أي شبه بالهنود الآسيويين رغم كون اسمه يدل علي أنه إسباني عريق (دومينقو فريتوا) وإنه قد اعتنق المسيحية عن طريق آبائه وأجدادهم كان بوذيًا وليس مسيحيًا وهذا غريب فهو ممن اتبع هذا الدين البوذي الذي جاء به الكوري إلى جزيرتهم وبنى لهم فيها معبدًا بوذيًا وكان يحدثنا عن تاريخ وجود هؤلاء الهنود في هذه الجزيرة فقال إنه كان منذ أربعين عامًا فقط حين خصصتها الحكومة لهم فهم لايحبون الاختلاط مع غيرهم لأنهم قدموا من ريف سحيق ويقصد بذلك غابة ألفوا حياتها، ولايستطيعون أن يجدوا لهم مكانًا ملائمًا في هذه المدنية المعقدة، فعاشوا في هذه الجزيرة التي مواردها كلها من السياحة وحرصوا على الاحتفاظ بالعادات والتقاليد الهندية الأمريكية التي كان عليها أسلافهم منذ القديم.

وكان يتبعه طفل لايكاد يفارقه من بين أطفال القرية الكثر الذين يتبعون السياح فسألته عنه فأجاب أنه ابني واسمه (ماكا) وهذا اسم غير مسيحي كما هو ظاهر بل هو اسم بوذي.

وكنا نوغل في أرض الجزيرة سيرًا على الأقدام وسط أرض الجزيرة التي كانت ذات سماء صافية ترسل أشعة من أشعة الشمس حامية اتقاها سائر السياح بقبعات معهم وصرنا نحن نضع أيدينا فوق رءوسنا ثم نستريح على ظل شجرة نمربها، والأشجار في الجزيرة كثيرة وإن كانوا قطعوا بعضها من وسطها من أجل الانتفاع بالأرض في إيجاد الفراغ الذي يحتاجونه.

وقال الدليل : إن الجزيرة وهي واقعة كما ترون في نهر (باراغواي) الكبير لاتزيد مساحتها علي ثلاثمائة وخمسين هكتارًا ومجموع سكانها لايزيد على سبعمائة نسمة.



عجوز هندية بجانب كوخها

القوس والحية :

مررنا بأحد الأكـواخ فرأينا شيخاً هرماً قد هـده الزمان ، لكنه لم يخـرج من قلبه الطمع أو هو محبة التكسب للعيش كما قال الدليل إذْ كان يحمل في إحدى يديه قوساً هندياً قديماً أصيلاً وفي اليد الأخري يمسك بحية كبيرة .



بجانب الهندي الهرم الذي معه القوس والحية

وذلك مما يلفت النظر إليه بطبيعة الحال غير أن الذي يلفت النظر أيضًا وربما أكثر من ذلك هو منظره نفسه فقد لبس لباس الهنود القدماء وصبغ بطنه البارز بأصباغ غريبة مما جعل السياح يتسابقون لالتقاط الصور معه وهي صور كما قلنا كلها بالثمن ، وكنت منهم وإن لم أحظ بصور واضحة كما أردت .



الشيخ الهندي يضع يده على كتف المؤلف بعد أن تخلى

عن الحية وعلى يساره الأخ علي رحال

وكذلك كان الأمر مع عجوز هندية عارية الصدر كريهة المنظر تلبس خرزاً وأشياء غريبة لم أرد التصوير معها.

ومن تكرار المنظر زاد الانطباع عنهم بأنهم يشبهون سكان الهند الصينية مع ميل إلى الشبه بالمغول إلا أن نساءهم ذوات صدور بارزة في الأصل مثل هند جبال الإنديز رغم كونهن يشبهن فيما عدا ذلك من سائر ملامحهن ومظاهرهن نساء هنود الأمازون وإن أختلفن عن الفئتين.

وعاد الدليل بنا من داخل الجزيرة إلى المعبد البوذي الذي رأينا اسمه مكتوباً عليه بالإسبانية في مكان بارز (كنيسة البوذيين الهندية : ماكا) وهي مغلقة لم

نستطع رؤية داخلها ومن الغريب الذي رأيته هنا منظر بئر يحيط بـه الماء وضفة النهر ذي الماء الخضم غير بعيدة وربما كانوا أرادوها لماء الشرب خاصة في أيام الفيضان حيث تكون مياه النهر غير صافية.



بئر في جزيرة الهنود وسط المستنقع

وبعد أن استجلينا ما استطعناه من هذه الجزيرة الهندية الأمريكية وأعتقد أننا رأينا فيها كل مايريد السائح أن يراه كانت العودة إلى القوارب ولكن كان السكان وبخاصة من الأطفال والعجائز يتبعوننا ببضائعهم الصغيرة بل الحقيرة التي يعرضونها.

العودة إلى اسينسون :

ليس في العودة من شيء جديد إلا أن أحد السائحين اليابانيين الذي كانوا معنا عند ما عرف أننا من العرب أخرج ورقة وكتب اسمه باللغة العربية (أنواوا) ولما أخبرته باسمي كتب أيضاً بالعربية (محمد) وقال إنه تعلم العربية في اليابان وهذا غريب لأنه غير مسلم.

وكانت بنا حاجة إلى استراحة على فنجان من الشاي فكانت في مقصف وهو مطعم أيضاً وهو نظيف مرتب كسائر مطاعمهم والعاملون فيه على غاية من النظافة والذوق مما لايكاد ينقضي منه عجبي وهو كون هؤلاء الأمريكيين الجنوبيين قد استطاعوا أن يوجدوا لهم هذه العواصم الجميلة الحافلة بالمرافق الممتازة ومع ذلك ليس لهم من الذكر بذلك فضلاً عن أن يكون لديهم به من الفخر مايكون لقوم من الشرقيين بأماكن في بلادهم لاتساوي عشر معشار ماهو موجود عند هؤلاء الأمريكيين بل إن الأوروبيين الأمريكيين ممن يملكون تصنيف الناس وتبويبهم من بين متقدمين ومتأخرين يعتبرون هؤلاء الأمريكيين الجنوبيين من القوم النامين وليسوا من المتقدمين وقد أصبح لهذه الكلمة مدلول عالمي لايزين بل يشين إذْ تدل في بعض الأحيان على القوم المتأخرين.

هذا مع أنهم أو طوائف منهم لاتقل مظاهر حياتهم في النظافة والنظام والتمتع بخيرات الحياة عن الأوروبيين أو الأمريكيين الشماليين.

ولكنهم كانوا يريدون أنهم ليسوا مثل هؤلاء في الصناعات والاختراعات والتصرف بالأموال واستغلال موارد البلاد فيما يصلحها من أعمال وهذا صحيح لأن أكثر الأمريكيين الجنوبيين يعيشون حياة قد توصف بأنها حياة الشعراء الذين يهتبلون اللذة الحاضرة ولو كانت قليلة على المتعة المنتظرة ولو كانت جليلة ولايحسبون للغد حساباً كما يفعل الأوروبيين.

وقد وجدنا هذا المقصف عامراً بالرواد بل إن كثيراً منهم قد حضروا معهم أطفالهم وذلك لأن اليوم هو الأحد يوم العطلة الأسبوعية التي يتناول فيه كثير من الناس طعامهم وشرابهم خارج منازلهم.

والموسيقى تصدح بأغان أسبانية صميمة من فرقة حية تعزف الألحان التي تنساب في المكان تشنف الآذان لاسيما آذان من قارب ابنة الحان وربيبة الدنان.

في مطعم راق :

إقتصرنا في هذا المطعم على شرب الشاي لأن لنا موعداً مع الأخ يوسف رحال لتناول الغداء في مطعم آخر.

وكان الأخ يوسف رحال قد دعانا لتناول طعام الغداء في مطعم اسمه (لابري فريدا) أي المطعم المفضل وجدناه تقليدياً فاخراً بمعنى أن أكثر مافيه مؤثث ومرتب على هيئة قديمة حتى إنه ليس فيه مصعد وإنما درج مفروش بسجاد فاخر.

وصاحبه سويسري الأصل ووجدنا أكثر الآكلين فيه من ذوي المظهر الأوروبي وأخبرونا أنه في مثل هذا اليوم الأحد يزدحم حتي لايكاد المرء يجد فيه مكاناً.

وكان الطعام جيداً والخدمة ممتازة.

في شرفة الفندق :

وجدت فسحة من الوقت للاستراحة في الفندق الذي أسكن فيه وهو (تشاكو) فكان أجمل مافيه الجلوس في شرفة تطل على جزء من القسم القديم من مدينة (اسينسون) ويرى المرء منها نهر (بارغواي) العظيم كأنه النيل، بل هو أوسع منظراً، وأقرب إلى المنظر الطبيعي لأنه لاتوجد عمارات شاهقة مطلة علي ضفتيه، وإنما المنظر الريفي الخلاب في العمارات الشاهقة بعيدة عنه نوعاً ما، وإن كانت المدينة واقعة علي ضفته الجنوبية.

وذكرت وأنا أرى هذا النهر عدة جلسات تأمل كنت قد قضيتها في فنادق تطل على أنهار في أماكن مختلفة من العالم منها نهر كانتون أو نهرا كانتون حيث تمتزج مياه النهر بمياه البحر في خضم عظيم، وتطل عليها من شرفة فندق الأوزة البيضاء فترى القوارب في الماء تكاد تكون أكثر من السيارات في شوارع مدينة كانتون وقد ذكرت أمر الرحلة إلى الصين في كتاب: «داخل أسوار الصين . . .»

كما ذكرت مقامي في فندق حديث كنت نازلاً في غرفة في الطابق التاسع منه تطل على نهر الكنغو من جهة الشمال ثم انتقلت بعد ذلك مباشرة إلى مدينة (كنشاسا) المجاورة فنزلت في فندق انتركنتننتال فيها في غرفة تطل على النهر نفسه ولكن من جهة الجنوب لأن المدينتين متقابلتان على نهر الكنغو.

ولقد راقبت سحابة عابرة وهي تجود هذا النهر بمياهها الباردة ربما لتطفئ بها حرارة القايلة في هذه المدينة الحارة وبينما كنت أنظر إلى الشارع أمامي إذا بي أرى مايذكرني ببلادنا في لافتة لم أفطن إليها من قبل مكتوباً عليها بالإسبانية (هوتيل داماسكو) أي: فندق دمشق وعرفت بعد ذلك أنها على فندق صغير كان يملكه أخ عربي سوري فباعه واستأجر فندقًا آخر سماه (فندق سوريا).

حديقة الحيوان :

وقد ذهبنا إليها بصحبة الأخ (يوسف رحال) الذي حملنا بسيارته فدفعنا رسم الدخول مائتي قواراناي وكان أول مايدخل الإنسان إليه من الحديقة (متحف المحيطات) وهو مهم غير أن الوقت لدينا قليل إذ لم نصل إليها إلا في الخامسة والنصف ومع ذلك رأيناها مزدحمة بالزائرين وهو متسعة ومشجرة بعض أشجارها عادية نسبة إلى عاد بمعنى قديمة وليست من الأعتياد وهي تشبه في مظهرها حديقة الحيوان في القاهرة من حيث تباعد الأقفاص فيها ووجود مساحات خضر بينها.

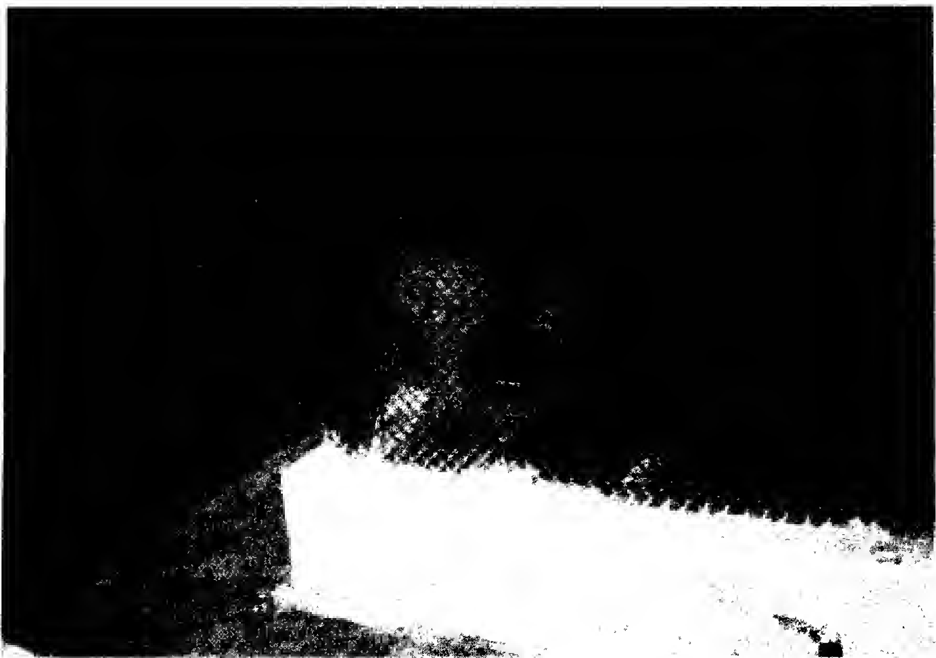
فكان من الأشياء الغريبة التي هي أمريكية أصلية صقر أمريكي قوي كبير قالوا:

إنه يتغذى على فراخ من الطيور ينقض عليها ومنها فراخ الدجاج.



ببغاوات في حديقة اسينسون

وطيور أمريكية خالصة ملونة من الببغاوات ولها أصوات جميلة وهي ذات أشكال وألوان زاهية رائعة.



الطاووس الغريب

ثم طاووس من نوع خاص له قُبزة في رأسه وهي الكومة الصغيرة الواقفة من الريش اسمه (بالوما) وقد صورته وهو يحتك أي يحك رأسه برجله.

قرود في حجم الفأر :

ومن أغرب ما رأيته في الحديقة نوع من القرود الصغيرة الحجم بحيث لايزيد حجم الواحد منها عن حجم كف الإنسان وهي إذا رأيتها علي البعد خيل إليك أنها في حجم الفئران لاتزيد على ذلك قالوا إنها أمريكية خالصة لاتوجد في غير هذه القارة الأمريكية الجنوبية وإن مواطنها هي بيرو وبوليفيا والبرازيل.

ولعل مما دلني على صحة ماذكروه أنني لاأذكر أنني رأيت مثيلات لها في أي مكان آخر من العالم.

ومادمنا بصدد الحديث عن هذه القرود أو الحيوانات الصغيرة التي لها هيئة القرود فإنني رأيت يرابيع - جمع يربوع - وهو الحيوان الصحراوي المعروف عندنا رأينا طائفة منه، أو من حيوانات مماثلة له وهي في حجم الفأر فأردت تصويرها من أجل المقارنة مابينها وبين يرابيعنا الصحراوية ولكنني لم أستطع الإقتراب منها لأنها كانت تهرب كلما اقتربت منها.

ومن الأشياء الغريبة أيضًا - في عالم الطيور بالذات - ببغاوات خضر غريبة قالوا: إن موطنها هو الأمازون في البرازيل.

ونوع من البوم - جمع بومة - وهو أمريكي ضخم جدًا بالنسبة إلى حجم البوم الموجود في بلادنا.

ثم طاووس وحشي بمعنى أنه بري غير مستأنس وهو أمريكي جنوبي خالص أيضًا لأمريكيته فهو من هذه البلاد البارغواي ومن الأرجنتين والغريب فيه أنه أسود اللون وليس لذيله ألوان زاهية كالطواويس المعتادة.

ثم نوع من الحمام كبير الحجم يبلغ حجم الحمامة الواحدة منه ضعف الحمام المعتاد.

وسباع غريبة :

من عالم الطيور انتقلنا إلى عالم السباع وهي عوالم مختلفة لاتمنعها من الاختلاط إلا الأقفاص وأما الأماكن فإنها تكاد تكون مختلطة.

ومنها نمر أمريكي أدهم اللون - أي ذو لون بني - وهو أملط أي ليس على ظهره شيء من الشعر ونوع من (التفه) وهي السنور البري المتوحش وهو يشبه ما هو موجود لدينا في براري المملكة إلا أن هذا النوع الأمريكي أصغر حجمًا ، ولقد رأيت واحدة منها في هذه الحديقة لاتختلف عن واحدة أذكر أننا اصطدناها بالبندقية نظنها على البعد أرنبا وذلك في عام ١٣٧٥هـ وفي مكان لايبعد عن مدينة بريدة أكثر من خمسة وعشرين كيلو مترًا.



السنانير البرية المتوحشة

ومن الحيوانات الغريبة المنظر بالنسبة إليّ أنواع من آكل النمل وكلها أمريكية الانتماء.

ونوع من الوبر وهو حيوان أقل حجماً من الأرنب المعتاد ويوجد عندنا في نجد وحشياً يصطاده الناس من الجبال كما وجد نوع منه مستأنس يربى في البيوت في القصيم، إلا أن الموجود هنا هو أصغر من الموجود منه عندنا.

ثم ماعز بري أسود اللون وهو وحشي غير مستأنس ولايكاد المرء يلمح على البعد فرقًا ما بينه وبين نوع من الماعز الأهلى في بلادنا إلا أن الغريب في هذا الماعز الذي كتبوا عليه أنه أمريكي أصيل أنه يثغي كما تثغي الشاه وليس كما تثغى العنز.



الماعز الوحشي الذي يثغي كما تثغي الشاة

وهناك عالم عجيب من عوالم الماء لم يمنعنا من استقصاء النظر إليه إلا ضيق الوقت ومنه سلاحف أمريكية غربية منقطة ذات ألوان مختلفة.

وفي الساعة السادسة والنصف أصدروا إشارة تدل على أن موعد إغلاق الحديقة قد أزف ولم تكن الشمس قد غربت بعد بل لايزال في النهار بقية فانصرف النظر ونحن نتصرف إلى البوابة الخارجية من الحيوان إلى بني الإنسان في هذا المكان الذي حفل بكثير من المتفرجين في يوم العطلة يوم الأحد فأبصر الشعب هنا كما أبصره في باقي أنحاء المدينة شعبا أصله البياض ولكن الشمس أكسبته سمرة تميل إلى الحمرة لا إلى الكدرة كما أكسبه الموطن شيئًا أهم من اللون وهو البساطة في التفكير، والنظرة إلى الناس نظرة المساواة أو عدم التمييز، بل هي نظرة الإنسان إلى نفسه بمنظار الإنسان المعتاد الذي لايحس أن أهل البلاد يتميزون عن غيرهم حتى من الوافدين بشيء يجعلهم الأفضلين.

فكانوا كثيراً مـا يسألون عما يلفت أنظارهم من أمر الحـيوان ، وكانوا يشاركون غيرهم التعجب مما يثير الانتباه والـناس - كما كان يقال في المثل - أشباه ، ولله في خلقه شئون.

أعلى قمة في المدينة :

مديـنة (اسيـنسون) عـاصمة بـارغواي ليسـت في منـطقة جبليـة وإنما هي عـلى أرض لايكـدر استوائـها إلا بعض التـلال المتطامـنة، غيـر أن في ضاحيـة منها تـلة عالية يشرف من يصعد إليها على المدينة كلها.

ذهبنا إليها نسابق الشمس نخشى أن تغيب قبل أن نصل وسبقنا الشمس وصعدنا إلى هذه التلة التي يتوجها نصب عالٍ في هامتها أسموه (نصب النصر والسلام).

وكانت فرصة لتصوير جزء من المدينة من هذا المكان المرتفع الذي يشرف عليها وتـتجلى منه للنـاظر طـبيعتـها الخـضراء الـتي يـجلل جزءاً مـن ضـواحـيهـا نـهـر (بـارغواي) الـعظـيم في مـتسعـات مائـية تحيـط بمجـراه أو تـتفـرع مـنه وكـأنهـا المستـنقعات الهـائلة ولكنـها موشحة بالخـضرة ومزنرة ببـيوت حديثة جـميلة بهـيجة الطلاء.

وكان (المـتفـرجون) كـثيراً فـي هذا الأصـيل لأن المـكان جمـيل والـيوم هـو يوم الأحد، وكلهم نظيـف الثياب ، نظيف البدن قد تخفف من الـثياب بسبب الحر إلا أن ذلك لم يخرج عن حد المألوف عندهم.



وقد كتبوا على النصب عبارات متعدده بالإسبانية ترجم لي مرافقاي بعضاً منها عبارة تقول «المدارس هي التماثيل الصادقة التي تقدمها للحرية» وعبارة أخرى تقول «الحرية لاشيء بغير التزام القانون» وعبارة أخرى تتكلم عن القانون والوحدة الوطنية وفي المكان تماثيل رمزية عديدة منها تمثال لأحد سكان هذه المنطقة من أمريكا الجنوبية الأصلاء الذين يسميهم الناس هنا بالهنود وقد ألبسوه لباساً يشبه لباس الفراعنة لأن ذلك كان هو الشائع لديهم قبل وصول الأوروبيين إلى هذه البلاد.

ولقد كان المنظر جميلاً ذكرني بمنظر تمثال عيسى عليه السلام المقام على قمة جبلية في مدينة (ريو دي جانيرو) في البرازيل إلا أن هذا أكثر منه تطامناً، وأقل تكلفة.

ومن قمة القمة في هذه التلة ويصعد إليها على درج قصير التقطت صوراً متعددة للمنطقة.

ثم أعجلنا مغيب الشمس عن استكمال مانود استكماله من ذلك.

ليل الحدائق :

قبل الكلام على الليل يحسن أن أذكر شيئًا يتعلق بالنهار نهار غد فقد رأيت مدير الفندق وضع في غرفتي رسالة تقول ما معناه أيها النزيل الكريم إن التوقيت الشتوي سيبدأ في بلادنا غدًا الإثنين الأول من أبريل وذلك بتأخير الوقت ساعة واحدة، فينبغي أن تؤخر ساعتك لهذا الغرض ولن يتغير شيء من مواعيد الطعام أو غيرها في الفندق إذا أخرت ساعتك على هذا التوقيت.

كنت أقرأ هذه الرسالة عندما دخلت من الخارج وأنا أتصبب عرقًا قبل أن أشغل مكيف الهواء في الغرفة وأسأل نفسي أين الشتاء؟

وهذه لفتة طيبة من إدارة الفندق لأن بعض نزلاء الفندق وخاصة من الأجانب ربما يكونون غير عارفين بتغيير توقيت هذه البلاد.

وعندما شعرت بأن هذه الليلة هي آخر ماتبقى لي من الليالي في هذه البلاد الودود (بارغواي) أطلقت لرجلي العنان في هذا المساء عندما فارقت حرارة الشمس جو هذه المدينة وتجولت فيما يسمى بالسنترو بالإسبانية وهو وسط المدينة فرأيت بناية ضخمة ذكرت أن أحد المرافقين قال لي عندما مررنا نهارًا إنها لابن عرب من أسرة (سابا) في سوريا أي يملكها رجل من أصل عربي وهي ذات شكل متميز بضخامتها واتساعها.

كما تعرفت على بناية كبيرة أخرى يملكها رجل عربي الأصل من أسرة (البصاص) في محافظة حماة في سوريا أيضًا وكلاهما مسيحي.

ولم أر جديدًا فيما تجولت فيه لأنني سبقت لي الجولة فيه حتى على قدمي، ولكن طاب لي السير فيها رغم ذلك بسبب المتعة في مجرد المشي وعدم التكدير من أي شيء يقابلك.

والسير في هذه المدينة ممتع حقًا، لأنك واجد في أية جهة اتجهت إليها من المدينة حديقة ذات مقاعد مريحة تستريح عليها إذا تعبت، وتتفرج وأنت جالس برؤية الذاهبين والمغادرين فيها فضلاً عن الجالسين.

يوم الإثنين ١٠ رجب ١٤٠٥، أبريل ١٩٨٥م :

بينما كنت أتناول طعام الإفطار في هذا المطعم الفاخر في الفندق مرت في الشارع فرقة موسيقية عسكرية تعزف ألحانًا موسيقية شجية وهي ذات عدد كبير أخبرونا أن السبب في ذلك أن هذا اليوم هو اليوم الأول من أبريل وهو يوم عطلة لمناسبة ما أسموه عيد البرلمان.

ومن المعتاد أن يخطب رئيس البلاد وهو الجنرال (الفريدو كروستر) خطبة تذاع من التلفاز والإذاعة.

ويلاحظ هنا أنه جنرال أي عسكري وهو من جيل العسكريين الذين حكموا أقطار أمريكا الجنوبية كلها تقريباً وقد تناثروا حتى لم يبق منهم الآن إلا (بارغواي) وتشيلي، وأما البقية فقد تنحوا فيها عن السلطة للمدنيين وهذا الجنرال يحكم البلاد منذ إحدى وثلاثين سنة وله حزب يسمى الحزب الأحمر من أجل شعار الحزب وليس لأنه يساري فهو أبعد مايكون عن اليسارية فضلاً عن الشيوعية، بل سياسته عكس ذلك تماماً، وقد كان الجنود الذين رأيناهم يعزفون في غاية من نظافة الأجسام، وجمال الهندام.

في فندق سوريا :

حضر إليَّ الأخ (عبدالعزيز حاج أحمد) وكان قد طلب لي الذهاب إلى فندق سوريا الذي يديره كما قال من أجل الاطلاع على (المركز الثقافي العربي الباراغواني) ويقع الفندق على شارع مهم في المدينة اسمه شارع لويس هاريرا على اسم أحد قادة البلاد القدماء.



عند مدخل فندق سوريا في أسينسون

ووجدت الفندق أشبه مايكون بفنادق دمشق القديمة فهو من مستوى الدرجة الثالثة وفيه غرف تفتح على باحة مكشوفة يمكن للنزلاء أن يخدموا أنفسهم فيها.

وقدم إليَّ زوجته بأنها (بنت عرب) وقد جاءت تحمل صبيًّا صغيراً هو ابنها الوحيد إلا أنها لاتعرف من العربية إلا كلمات محدودة لاتستطيع أن تتفاهم بها مع العرب فأمرها - بالإسبانية - أن (تسوي) لنا قهوة عربية بالهيل، وهكذا قال لي بالعربية.

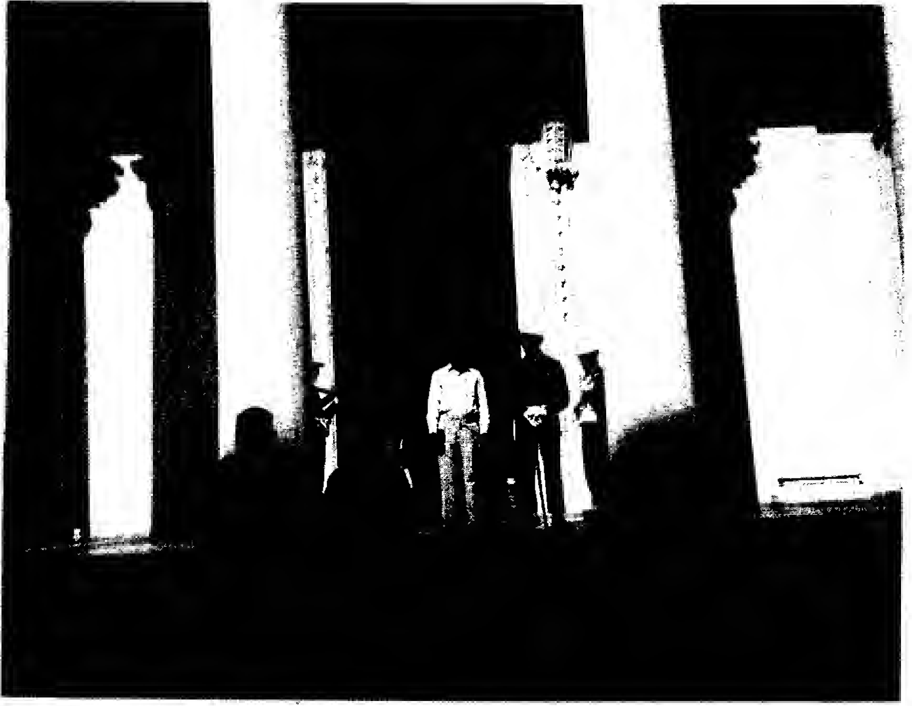
شربنا القهوة على حديث من حديث العرب العام في هذه البلاد وحديث من الحديث الخاص المتعلق بالأخ عبدالعزيز أحمد نفسه.

ثم أراني غرفة صغيرة في مقدمة الفندق مما يفتح على الشارع قال: إنه يطمح إلى أن تكون مركزاً ثقافيّاً عربيّاً بمعنى أن تضم مكتبة ومنشورات عن البلدان العربية تسهم في تحسين صورة العرب في عيون أهل هذه البلاد وأذهانهم إلا أنها بمحتوياتها هي من حيث الكيفية والمقدار أبعد ما تكون عن تحقيق ذلك، واعتذر الأخ عن ذلك بسبب نقص الإمكانات وعدم وجود الأعوان حتى إنه لاتوجد سفارة عربية واحدة في هذه البلاد وإنما كل اتصالاته هي بالسفارات العربية في البلدان المجاورة كالبرازيل.

وعدت إلى فندقي أتمشى مع الأخ عبدالعزيز فرأيت طوائف من طالبات المدارس قد اختاروهن من النظيفات الجميلات وهن في هذا اليوم الذي هو يوم عطلة يجمعن من الناس التبرعات لمؤسسات عديدة رأيت من أهمها (جمعية مكافحة الخمور) و(جمعية مكافحة المخدرات) وجمعيات دينية كل مجموعة من الفتيات تنتمي لجمعية معينة وقال الأخ عبدالعزيز: إن هناك مكاناً يحسن أن أريك إياه يقع في جانب من حديقة كبيرة ويضم أخباراً وصوراً لرؤساء البلاد وزعمائها كما يضم ضريحاً تذكارياً لقتلى من قتلاهم في حرب جرت بين بارغواي، وبين الأرجنتين وبوليفياعام ١٩٣٢ - ١٩٣٥م وحرب جرت بينهم وبين البرازيل.

وقد رأيناهم احتفوا احتفاء كبيراً بهذا المبنى الذي هو مقام على طراز روماني قوطي ذي قبة رومانية ظاهرة وعلى حيطانه صور لرؤساء البلاد وزعمائها وبعض القديسين عندهم.

وقد رضي الجنود الذين يحرسون ويقفون خارجه أن يلتقط الأخ عبدالعزيز لي صوراً معهم بل سروا بذلك عندما أخبرهم بأنني عربي فالعرب لهم مكانة مرموقة في هذه البلاد.



مع الجنود الذين يحرسون مبنى المتحف

وفي وسط المدينة يجد المرء ما يذكره بالعرب في بعض العمارات وهي الأبنية الكبيرة المتعددة الطوابق التي يملكها أبناء العرب أو بعض المحلات التجارية.

وقد مررت هنا بمحل تجاري لفتت اللافتة التي تعلوه نظري ونصها بالإسبانية (لوبانو نوفياس) فسألت الأخ عبدالعزيز عنها فقال. ما معناها (عرائس لبنان) وهو محل لبيع الأقمشة يملكه أحد اللبنانيين.

أنموذج عربي من البارغواي :

منذ وصلت إلى البارغواي وأنا أحاول أن أجتمع مع عدد من العرب المقيمين هنا منذ مدة طويلة لأسألهم عن أحوال العرب في الماضي ومقارنتها بالحاضر.

ورأى أخي وصديقي الأخ (علي سعيد رحال) أن يجمعني برجلين من هؤلاء العرب القدماء أحدهما مسلم والآخر مسيحي.

وبدأ بالمسلم :

ذهبنا إليه في حانوت له كبير مليء بالأقمشة ويعمل فيه عدد من الموظفات فوجدنا الرجل مسناً وذكر لنا اسمه وأنه من منطقة بعلبك، وما لم يقله لنا عرفنا عنه فيما بعد وهو أنه شيعي المذهب.

بادرته بالسؤال عن أحوال العرب هنا في القديم فبادرني بالجواب بقوله: العرب ماتوا؛ فقلت له: قد يكون هذا مفهوماً بالنسبة إلى عرب من الجيل الأول أنهم ماتوا لكن إذا مات العرب الأوائل فإن المفروض أنهم يكونون قد نسلوا من أولادهم وأحفادهم من يرثون عنهم عروبتهم في هذه البلاد وقد يكونون أكثر منهم عدداً فقال: ولكن أولادهم ليسوا عرباً إنهم (بارغواي) لأنهم لايعرفون العربية ولا الدين، فقلت له ما السبب في ذلك؟ فقال: لأن العرب الأولين كانوا ماشيين غلط.

فسألته عن حاله هو فذكر أنه قدم إلى البارغواي منذ خمس وخمسين سنة وأنه تزوج من مسيحية إيطالية فنشأ أولاده مسيحيين لايعرفون عن الدين الإسلامي شيئاً ولا من اللغة العربية حرفاً.

ثم إضافة ما هو أنكى وأشد إيلاماً وهو قوله: إنهم ثمانية ثلاثة صبيان وخمس بنات، وكلهم (تعمدوا) عند الدخول إلى المدرسة لأنهم لابد لهم من التعميد عند دخول المدارس ومعنى التعميد أنهم قد أصبحوا من الناحية الرسمية من المسيحيين.

قلت له: وماهو موقف أولادك الآن إذا ذكروا أصلهم وجهلهم به؟ قال: إنهم يقولون كما يقول أبناء العرب الأوائل كلهم: الحق على أهلنا، أي أن الملامةعلى أهلنا الذين لم يعلمونا.

ثم قال : المسلمون من العرب كانوا كثيرين في السابق أما الآن فلا.

فقلت له: ماداموا كانوا كذلك ألم تفكروا في إنشاء جمعية إسلامية، أو تفكروا في بناء مسجد واستقدام مدرس مسلم لأولادكم من البلدان الإسلامية؟

فقال: لا.

قلت له وكيف تجتمعون ويعرف بعضكم أحوال بعض؟ قال: كان هناك النادي اللبناني والنادي السوري أو الاتحاد العربي وأكثر الذين انضموا إليه هم من المسيحيين.

فقلت له: هذه فرصة لكي تصلوا العيد والجمعة في أحد الناديين، فقال: ولكننا لم نفعل ولم نكن نعمل شيئًا، فلم نكن نصلي العيد فضلاً عن الجمعة فقلت له: وصيام رمضان! فقال: لانعرف الصيام ولم نكن ندري عن دخول شهر رمضان ولا خروجه.

وواصل حديثه المحزن قائلاً: ولا أرى أيضًا في المستقبل مايبشر بالخير للمسلمين هنا، فقلت له: ولكن إخوانكم في البرازيل والأرجنتين قد نهضوا الآن يحاولون أن يصححوا الغلط الذي ارتكبه جيلكم القديم إذْ أخذوا يبنون المساجد ويقيمون فيها الفصول الدراسية التي تعلم الصغار والكبار أمور دينهم.

وضع مؤسف :

إن هذا الذي ذكره هذا العربي الذي فرط في دينه وأولاده هو أنموذج مؤسف لما وصل إليه الحال بالمهاجريين العرب الأوائل الذين نسوا أنفسهم ونسيهم إخوانهم المسلمون في المواطن الإسلامية في ذلك الوقت فكانت النتيجة ضياع جيل أو أجيال من أبناء العرب المهاجرين في أمريكا الجنوبية أختلفت أعدادهم باختلاف أعداد آبائهم المهاجرين فكانت أكبر الخسارة في الأرجنتين وبعدها البرازيل وتأتي (بارغواي) في المؤخرة من حيث عدد الضائعين من أبناء المسلمين وإن لم تكن في المؤخرة من حيث درجة هذا الضياع في السوء.

والواجب علينا نحن المسلمين في المواطن الإسلامية أن نسعى الآن سعياً حثيثاً نتعاون عليه بكل إمكاناتنا لكي نوقف الضياع والذوبان الذي يجتاح أبناء المسلمين المهاجرين في الخارج وبخاصة في أمريكا الجنوبية وأن نأخذ بأيدي الإخوة المسلمين العاملين على تلافي ذلك الضياع بفتح المدارس الإسلامية وبناء المساجد وتأليف الجمعيات الإسلامية.

وقد بدأت حركة مباركة في هذا الاتجاه ولله الحمد تجلت أهم مظاهرها في البرازيل في الوقت الحاضر، وقد أخذت المملكة العربية السعودية زمام المبادرة إلى مساعدة الإخوة المسلمين مساعدة إسلامية خالصة ومن أهم ذلك تشجيعهم على إنشاء جمعية إسلامية تعني بأمور المسلمين وتوجه إليها المساعدات وتقوم على بناء مسجد جامع أو مركز إسلامي في العاصمة رغم ماذكروه عن قلة عدد المسلمين فيها وأن المسلمين يوجدون أكثر من ذلك في مدينة (بيورتو برزدنت ستروزنز) القريبة من مدينة (فوز دوغواسو) البرازيلية.

ولكن الواجب في الحقيقة هو واجب المسلمين القادرين في العالم وليس مقتصراً على واحد كالمملكة العربية السعودية.

وأنموذج مسيحي :

بعد هذا الحديث المحزن الذي سمعناه من ذلك الشيخ الذي يبلغ الخامسة والسبعين من عمره عن أحوال المهاجرين الأوائل من المسلمين إلى بارغواي غادرنا المحل التجاري الكبير الذي يملكه إلى محل تجاري أكبر يملكه عربي آخر مسيحي من أجل سماع مالديه عن العرب الأوائل في هذه البلاد.

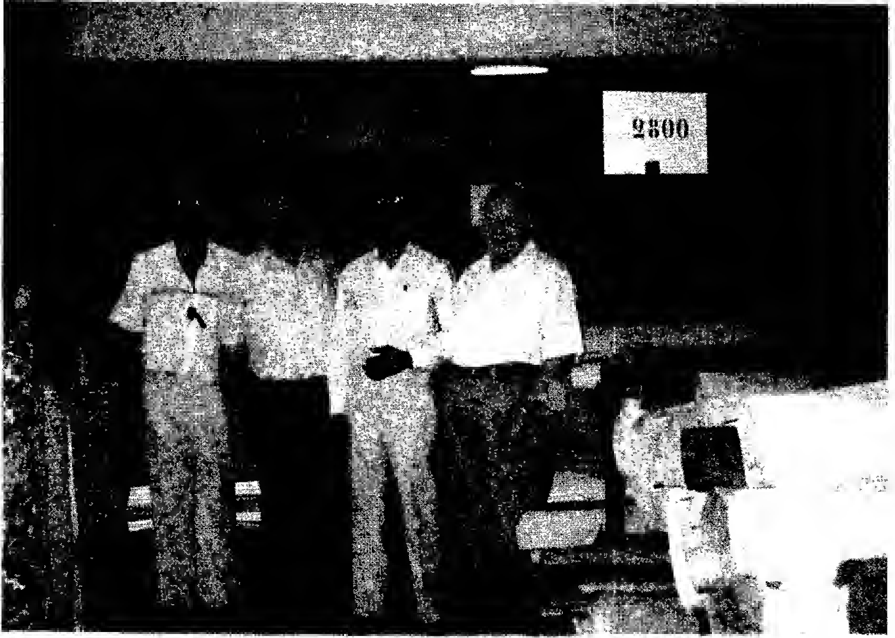
وقبل أن نصل إلى محله ذكرنا إخواننا المرافقون ومنهم الأخ علي رحال رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية في مدينة (فوز دو غواسو) البرازيلية الواقعة على الحدود مع البارغواي وهي التي قامت ببناء المسجد الجامع في المدينة أن هذا العربي المسيحي قد تبرع للمسجد الجامع بثلاثة آلاف دولار أمريكي ولم تمنعه

مسيحيته من ذلك بل قالوا لي وهو يسمع إنهم قد أشكل عليهم التصرف بشيكات سياحية بالدولار الأمريكي كنت قد قدمتها لهذا المسجد الجامع في (فوز دو غراسو) تبرعًا من رابطة العالم الإسلامي أسوة بغيره من المساجد في البرازيل، ووقعت في بعضها في غير محل التوقيع المعتاد سهوًا، فلم يقبلها البنك الرسمي إلا بعد مراجعة وقبلها هذا التاجر المسيحي (إبراهيم بيطار) وقال: مادامت من مسئول في رابطة العالم الإسلامي، فإنها لابد صحيحة، وبالفعل صرفها لهم، وصرفت له بعد ذلك.

دخلنا إلى المحل العربي المسيحي فإذا به كبير جدًا واسع حافل بالبضائع المختلفة التي تتعلق أكثرها بالألبسة وفيه عدد من العاملين من بينهم إبنان شيخان – في السن – لصاحب المحل الذي قدموه لنا فإذا به لايكاد يفترق في المنظر عن ابنيه إنه (إبراهيم بيطار) من حودة في سوريا.

قال: إنه قدم إلى بارغواى منذ خمس وستين سنة وعمره آنذاك عشرون سنة فهو الآن في الخامسة والثمانين وإنه عندما أراد الهجرة إلى بارغواي طلبًا للرزق استدان أجرة نقله بالباخرة ولم يكن معه أي شيء عندما وصل هذه البلاد وأنه الآن يملك عقارات يبلغ عددها عشرين مابين بناء متعدد الطوابق (عمارة) إلى حوانيت وبيوت ومنازل أخرى ولديه هذا المحل التجاري الكبير وأنه لايشتكي شيئًا في أمور تجارية.

ثم انضم إلينا اثنان من أبنائه الذين كلهم كما قلت في سن الشيخوخة وهم يفهمون العربية لكنهم لايتكلمون بها لأنهم لم يجدوا من يعلمهم، بخلاف والدهم فإنه لايزال يتكلم العربية جيدًا، وسألته عن موضوع الدين؟ فقال: إن أولاده لايذهبون للكنيسة بانتظام وقالوا: إنني أود أن يزور أولادي سوريا ويجددوا العهد بموطنهم العربي الأصيل غير أنهم لايعرفون العربية وهذه ستكون مشكلة بالنسبة إليهم.



مع إبراهيم البيطار في متجره على يمينه المؤلف فاثنين من العاملين في المتجر

وقيل لنا: أن زوجة إبراهيم بيطار قد امتنعت مدة عن الموافقة على تزويج ابنها الأكبر إلا بفتاة من أصل عربي وقد وجدتها في المحل إلا أنها ضعيفة في العربية.

مغادرة بارغواي:

أسرعنا في مغادرة الفندق الودود فندق (تشاكو) ودفعنا الأجرة لموظفة الاستقبال (بنت العرب) بدون عربية ومررنا ببيت الأخ يوسف رحال فتناولنا طعام الغداء الذي كان كله عربياً لبنانياً كان من أهم مافيه الكمية الشهية من اللحم المفروم الشهي ورقاق الخبز الجيد وأنواع اللحم المشوي والتبوله.

ثم خرجنا للمطار.

وقد وقف ضابط الجوازات هنيهة يتأمل جوازي السعودي متعجباً منه لأنه لم ير جوازًا سعوديًا من قبل.

وفي الساعة الرابعة والثلث كانت طائرة الخطوط الجوية البرازيلية (فارج) تغادر مطار اسينسون قاصدة مطار مدينة (فوز دو غواسو) البرازيلية المجاورة والطائرة من طراز ايرباص وليس في الدرجة الأولى إلا شخص واحد غيري وغير الأخ الكريم (علي رحال) الذي حضر إلى (بارغواي) من البرازيل من أجل أن يكون في استقبالي وأن يساعدني على إنجاز ما أريد إنجازه في البارغواي.

ومن المقرر أن تواصل الطائرة سفرها من (فوز دو غواسو) إلى سان باولو ثم إلى مدينة (ريو دي جانيرو).

وعندما ارتفعت الطائرة ارتفاعًا ليس شديدًا لأن المسافة لاتستغرق أكثر من خمس وثلاثين دقيقة ظهر نهر البارغواي بطياته المتعددة وفروعه الكثيرة واستمر يساير الطائرة أكثر مدة طيرانها.

ثم هبطت الطائرة في (فوز دو غواسو) وودعت الأخ الكريم (علي رحال) الذي يسكن في هذه المدينة.

وواصلت سفري إلى (ريو دي جانيرو) المدينة البرازيلية السياحية الأولى التي سوف أغادرها بعد فترة إلى باريس ثم إلى مدينة جدة.

وقد قضيت في مدينة (ريو دي جانيرو) وقتًا قصيرًا وددت أن لو كان أطول لأن هذه المدينة البرازيلية الكبيرة تعتبر جنة للسائح لما يجده فيها من طعام جيد رخيص وجو معتدل يميل إلى الحرارة بحيث يمكنك أن تستغني عن كثير من الملابس وشعب بسيط ودود حسن المعاملة وشطآن رملية قليلة النظير في العالم. والله أعلم.

قبل انقطاع الحديث عن بارغواي

الموقع :

تقع دولة بارغواي في وسط القارة الأمريكية الجنوبية تحدها البرازيل من الشرق والأرجنتين من الجنوب والغرب وبوليفيا من الشمال.

وتبلغ مساحتها ٤٠٧,٧٥٢ كيلو متر مربع.

وهي دولة داخلية ليست لها سواحل على البحر.

واسمها (بارغواي) اسم هندي أمريكي أصيل مأخوذ من اسم أداة من أدوات الحرب البدائية القديمة عندهم اسمها: (بارغوا) و(وي): وصلة في الكلمة وكانت مستعمرة إسبانية نالت استقلالها عن أسبانيا عام ١٨١٤م.

العرب في بارغواي :

يبلغ عدد سكان (اسينسون) عاصمة البلاد ستمائة ألف نسمة، من مجموع سكان الدولة الذي يصل إلى ثلاثة ملايين ونصف وأكثر العرب فيها هم من المسيحيين وأكثرهم من المسيحيين السوريين بخلاف أكثر أقطار أمريكا الجنوبية المعروفة كالبرازيل وبوليفيا التي يؤلف المسيحيون اللبنانيون أكثر العرب في أغلب أماكنها.

وأبناء العرب في هذه البلاد لهم نفوذ عظيم أكبر من نسبتهم العددية في البلاد بكثير فمنهم موظفون كبار وفيهم ضباط في الجيش لهم أهمية عظيمة في إدارة شئون البلاد.

حتي سمعت قولة لبعض (البارغوانيين) غريبة وهي قولهم إن الذين يحكموننا هم الألمان والعرب.

يريدون بالألمان رئيس البلاد (فريدو استروزنر) وهو ألماني الأصل ظل يحكم هذه البلاد منذ (٣١) سنة حكماً عسكرياً حتى الآن.

وبالعرب صهره زوج ابنته ويدعى الآن اومبرتوديب واسم والده (خليل ديب المقدم) وهو من محافظة حماة في سوريا.

ومن أبناء العرب الذين تبوأوا مراكز مهمة في الجيش والإدارة الجنرال (ابرهام عبيد) أبوه مسلم والجنرال (سليم جوبي) وأصل اسمه (سليم الايوبي) أبوه مسلم أيضاً من مدينة دمشق وهو المسئول عن شئون الجوازات والجنسية في البلاد كلها، ومنهم الناطق باسم الحكومة (دنيبال فرناندو) وأبوه مسلم لبناني من القرعون، وقد نبغ من أبناء العرب القدماء مهندسون وأطباء يملكون مستشفيات لهم خاصة مشهورة بالرقي واكتمال الآلات والأدوات ومن ذلك أن الطبيبين الذين يشرفان على صحة الرئيس هما من العرب المسيحيين، وأكثر العرب المسيحيين في البارغواي هم من أصول سورية والكثير منهم هم من أهل حماة بخلاف اللبنانيين فإنهم أقل هنا من السوريين.

وقد ضيع أبناء العرب القدماء هؤلاء لغتهم العربية فصاروا لايعرفون منها شيئا والسبب في ذلك ظاهر من انقطاع الصلة مابينهم وبين البلدان العربية ومن عدم وجود تعليم عربي لهم، ومن عدم استعمال العربية هنا.



المؤلف مع أحد التجار العرب في متجره في اسينسون وعلى يساري الأخ علي رحال

هذا بالإضافة إلى نجاح العرب المعروف في الأعمال التجارية حيث يملكون الأبنية السكنية الكبيرة (العمارات) والفنادق والمحلات التجارية وحتى المصانع التى تنتج الملابس وغيرها.

ولبعضهم مصارف (بنوك) أو مشاركة في المصارف وتدل كلمة عربي عندهم على المهارة والكرم، ومحبة اجتذاب الآخرين حتى قالوا في أمثالهم: إذا أردت أن تأخذ من العربي شيئًا فخلصت من ذلك من دون أن يأخذ منك شيئًا فأنت ماهر.

ولايجد العرب المهاجرون حتى في الوقت الحاضر أية صعوبة في الوصول إلى (بارغواي) فسفاراتهم ماتزال تمنح العرب سمات الدخول إليها بسهولة.

مما جعلها تصبح ممرًا للعرب الذين يريدون الهجرة إلى بلاد لاتريد مهاجرين في الوقت الحاضر كالبرازيل والأرجنتين وذلك لكون الحدود بين البلدان الثلاثة سهلة الاختراق بل تكاد تكون مفتوحة للجميع وقد رأيت بنفسي عندما كنت في مدينة (فوز دو قواسو) في ولاية بارانا في البرازيل حيث تلتقى حدود الدول الثلاث، حيث رأيت الدخول من البرازيل إلى الباراغواي يكاد يكون دون إجراءات أو نظرفي الجوازات لمواطني الدولتين ولمن يحملون إذنًا بالإقامة فيهما.

على أن إخواننا العرب ذكروا لنا أن الحدود بين البارغواي والبرازيل لاتشدد حتى على الذين لايحملون أية أوراق رسمية فتسمح لهم بالدخول إذا كانت لهم واسطة ذات نفع أو تتغاضى عن ذلك.

والشعب في هذه المنطقة يحب العرب، ولذلك لايشكو العرب أي شيء من هذه الناحية، ولايشعرون بأن أحدًا منهم يتعصب ضد العرب.

المسلمون؟

والمسلمون هنا عددهم ليس كبيرًا كما في البرازيل والأرجنتين وذلك من واقع الفارق في حجم البلدان الثلاثة ومن واقع كثرة المهاجرين إذْ كانت الحالة الاقتصادية في البرازيل والأرجنتين جيدة عندما بدأ المسلمون الهجرة إليهما ولكنها الآن ساءت بل صارت تزداد سوءًا عامًا بعد عام.

إلاَّ أن المسلمين الذين كانوا وصلوا إلى البلاد منذ سنوات الازدهار وكونوا لهم مالاً يتاجرون به مازالوا بخير من الناحية الاقتصادية بخلاف الذين قدموا إليها حديثًا من دون أن يكون لديهم رأس مال يبدأون به العمل التجاري فأنهم يتعثرون في أمورهم التجارية بل لايستطيعون المضي فيها مما يحمل بعضهم على العودة إلى البلاد التي جاء منها.

ويقدر عدد المسلمين بهذا البلد بحوالي خمسة آلاف نسمة بدأت هجرتهم إلى البارغواي مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي طلبًا للرزق، ويتمركز معظم المسلمين الآن في مدينة «بورتو برزدنت ستروسنر» التي تقع على حدود البرازيل حيث يعملون بالتجارة ويؤلف المسلمون فيها حوالي مائة أسرة، وتعد هذه المدينة من أقوى المدن في البارغواي حيث إنها مدينة حرة ومن ثم جلبت إليها العديد من الجنسيات بغرض التجارة والسياحة.



منظر من مدينة (بورتو برزدنت ستروستر)

وحالة المسلمين في البارغواي يرثى لها فقد ضاعت أسر بكاملها وفقد المسلمون هويتهم بسبب انقطاعهم عن العالم الإسلامي بالإضافة إلى عدم اهتمامهم بأمورهم الدينية، وعدم وجود أي مؤسسة تعني بأمور المسلمين.

فالمسلمون هنا بحاجة إلى التوجيه والنصح والإرشاد، وبحاجة إلى الاتصال بالجهات العاملة في حقل الدعوة في الحواضر الإسلامية، كما يتطلعون إلى إنشاء مركز إسلامي في بلادهم ليس في العاصمة وحدها وإنما أيضاً في مدينة ستروسنر المهمة من الناحية الاقتصادية.

والمسلمون في العاصمة (اسينسون) يؤلفون مابين ٥٠ إلى ٦٠ أسرة وأكثرهم من أهل السنة وفيهم شيعة من أهل لبنان.

ولكنهم في مدينة بورتو برزدنت ستروسنر أي ميناء مدينة الرئيس ستروسنر وهو رئيس البلاد في الوقت الحاضر فهم أكثر عدداً من المسلمين الموجودين في العاصمة إذْ يبلغ عددهم فيها مائة أسرة على وجه التقريب كما سبق.

ولاتبعد هذه المدينة الحدودية إلا مسافة ٣ كيلو مترات عن جامع (فوز دوقواسو) المدينة الحدودية البرازيلية التي بني المسلمون فيها جامعاً فخماً ذكرته في كتاب «على أرض القهوة البرازيلية» من سلسلة «الرحلات البرازيلية» ولذلك يذهب بعض المسلمين الذين يحرصون على أداء صلاة الجمعة إلى هذا الجامع رغم وقوعه في دولة أخرى هي البرازيل.

وحالتهم الدينية محزنة جداً وقد ذكرنا أمثلة على ذلك في اليوميات فليس لديهم مسجد واحد ولامقبرة خاصة للمسلمين وليس لديهم شيخ أو مرشد يؤمهم في الصلوات ويرشدهم إلى أمور دينهم.

ولاشك أن المسئولية في ذلك تقع علينا وعليهم فهم لم يتحركوا للاتصال بإخوانهم المسلمين في البلدان المسلمة القادرة على مساعدتهم مثل المملكة العربية السعودية ومصر.

ونحن نتحمل جزءاً من المسئولية لكوننا لم نبادر إليهم فنقدم إليهم المساعدة الدينية قبل أن يطلبوها منا.

وعلى أية حال فإن هذا الأمر المؤسف لاينبغي أن يثني العزم عن العمل الآن في إنقاذ مايمكن إنقاذه في حالهم وفي حال غيرهم من الإخوة المسلمين المفرطين بأمور دينهم في المهاجر وهذا مانحن بصدده الآن - ولله الحمد - والله المستعان على كل حال.

اللغة :

اللغة الشائعة هنا هي الإسبانية لغة أمريكا الجنوبية كلها ماعدا البرازيل فهي وحدها من بين دول القارة تتكلم البرتغالية ولكن البرازيل وهي دولة واحدة تعادل كل أقطار أمريكا الجنوبية مجتمعة على وجه التقريب من حيث مساحة الأراضي ومن حيث عدد السكان.

واللغة الإسبانية التي يتكلم بها أهالي أمريكا الجنوبية ومنهم أهل البارغواي يمكن القول بأنها أكثر نقاء من اللغة أو اللهجة التي يتكلم بها أهل إسبانيا في الوقت الحاضر.

لأن لغة المستعمرات هي اللغة القديمة التي كانت شائعة في إسبانيا إبان الحقبة الاستعمارية التي بدأت في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

ولذلك يسمع المرء ألفاظًا عربية كثيرة في هذه اللغة حتى لقد حدثني أحد الأخوة في الأرجنتين أن استاذًا جامعيًا من أصل عربي أحصى الألفاظ العربية أو ذات الأصل العربي في اللغة الإسبانية المحكية الآن في الأرجنتين فوجدها تبلغ ٢٨٪ من ألفاظ اللغة.

واللغة الثانية في (البارغواي) هي (القوارانية) وهي لغة لبعض السكان الأصلاء الذين كانوا موجودين في البلاد قبل وصول الإسبان إليها وهم الذين يسمون بالهنود الأمريكيين وبعضهم نسميهم هنا بهنود الإنديز وإن كانوا لايسكنون في تلك الجبال، ولكن أبناء جنسهم يسكنون فيها فهي مجاورة لبلادهم.

وليس معنى كون (القوارانية) اللغة الثانية في البارغواي كون عامة الشعب يعرفونها فذلك غير صحيح لأن عامة الناس لايعرفون منها شيئاً ولكنها اللغة الثانية أي الأخرى التي لايزال يتحدث بها السكان وبخاصة منهم الذين يعيشون في الغابات والبراري المنعزلة.

ودولة (بارغواي) هي الوحيدة التي تدرس اللغة القوارنية هذه رغم وجود امتداد متقطع للذين يتحدثون بها في البلدان المجاورة للبارغواي.

وذلك لكون الذي يتعلم منهم ويعيش بين أكثرية السكان يجد نفسه مضطراً للتحدث باللغة الشائعة عند الأكثرية وهي الإسبانية عند جيرانه ماعدا البرازيل فهي البرتغالية.

التمثيل السياسي :

لايوجد تمثيل «دبلوماسي» متبادل بين بارغواي والبلدان العربية ماعدا قناصل معتمدين للبنان ولسوريا.

كذلك لايوجد تمثيل (دبلوماسي) لبارغواي مع أية دولة إسلامية.

وبعض سفراء الدول العربية الإسلامية المعتمدين في البرازيل يقومون بإجراء الاتصالات التي تحتاج إليها حكوماتهم من مقارهم في برازيليا أو يسافرون لذلك إلى البارغواي.

وبعضهم عينته حكومته سفيراً لها غير مقيم لدى البارغواي إلى جانب عمله في البرازيل.

المحتويـــــات

الموضـــوع | الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة

إلى بوليفيا

الموضوع	الصفحة

إلى بارغواي

الموضوع	الصفحة

قبل انقطاع الحديث عن بارغواي